وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية
جامعة الجــزائــر 2_ أبو القاسم سعد الله _
قســم التاريـــخ

المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي

(524-668هـ/1129-1269م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
رضا رافع

إشراف الأستاذ الدكتور:
بشــــار قــــويــدر

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصــــفة
أة.دة. لطيفة بن عميرة	أستاذ التعليم العالي	جـامعة الجزائــر2	رئـــيســـا
أ.د. بشــار قــويــدر	أستاذ التعليم العالي	جـامعة الجزائــر2	مشـرفا ومقـــررا
أ.د.محمد الأمـين بلـغيـث	أستاذ التعليم العالي	جـامعة الجزائــر1	عضـــوا مناقشا
أ.د. عبد العزيز فيلالي	أستاذ التعليم العالي	جـامعــة قسنـطينـة	عضـــوا مناقشا
د. بـوعـلام صاحـي	أستاذ محاضر – أ –	جـامعة الجزائــر2	عضـــوا مناقشا
د.عبدالحميد خالـدي	أستاذ محاضر- أ –	جـامعة الجزائــر2	عضـــوا مناقشا

السنة الجامعية : 2017/2016 م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى الوالدين الكريمين: تحية إحترام وتقدير وإجلال . . .

فاللهم ارحمهما كما ربياني صغيرا، واجعلني بارا لهما . . .

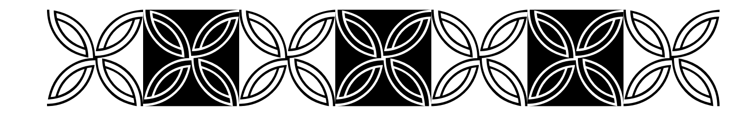
إلى عائلتي الصغيرة والكبيرة . . . .

وإلى ابنتي ابتهال . . .

وإلى كل الأساتذة وطلاب العلم . . .

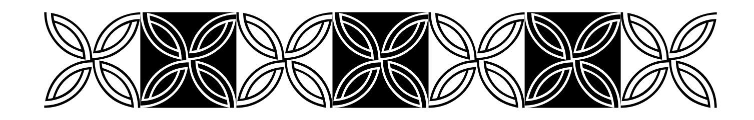
أهدي هذا العمل.

رضا رافع



تشكرات

لله عز وجل الحمد والمنة والشكر على أن سهل لي طلب العلم، ثُم إنه مــن تمام الشكر لله أن أشكر ذوي الفضل علي وأولاهم بعبارات الشكر والتقدير أستاذي الفاضل الأستـاذان الأستاذ الدكتور: عبد العزيز محمود لعرج، الذي بدأت معه العمل والأستاذ الدكتور:بشار قويدر الذي أنهيته معه،سائلا المولى عز وجل أن يهبهما الصحة والعافية وحُسن الأعمال والقبول ، كما أشكر الأساتذة الموقرين: أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم القراءة والتصويب والتصحيح والمناقشة، فلهم أسمى عبارات الشكر والتقدير والإمتنان، وجعلها في ميزان أعمالهم الصالحة. كما أشكر كل من مد لي يد العون بمكتبات الجزائر والمملكة المغربية والجمهورية التونسية، دون أن أذكر أسمائهم فجزاهم الله كل خير في الدارين.



مقدمـة:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، أما بعد:

إن الدارس للدولة الموحدية التي حكمت المغرب والأندلس لما يقرب من قرن ونصف قرن، ليقف معجبا أمام عظمة هذه الدولة وموقعها في العصور الوسطى، نظرا لما ابتكرته من فنون جميلة وآداب رفيعة، هذبت الذوق وارتقت بالإنسان المغربي الأندلسي، بل وأفادت العالم أجمع آنذاك، ولا ينكر فضلَ ما وصلت إليه من رقي إلا جاحد، ولكن في الوقت نفسه يرى هذا الدارس عديد المواضيع والأطروحات لا تزال بِكرا، والأدهى من ذلك أن البحث في بعضها يُعد من المحظورات، على الأقل من ناحية الطرح، ونقصد به النظرة المضادة للتاريخ الرسمي الذي كُتِب للسلاطين وبفضلهم[1] ، وركز على الإنجازات وما شابهها، ووجّه نظره إلى عِلية القوم، أو الخاصة، ناسيا أو متناسيا السواد الأعظم من العوام ، الذين صنعوا التاريخ بكل أبعاده .

وقد يجد الباحثون الحجة في الإحجام عن هذا النوع من الدراسات، بقلة المادة العلمية أحيانا وانعدامها أحايينا أخرى، بالرغم من أن ثُلة من الباحثين آثروا الحفر والتنقيب بما توفر لهم من مادة علمية لاستكشاف أغوار تاريخ الغرب الإسلامي عموما وإليهم يعود قصب السبق في فتح نوافذ يلج منها كل مهتم، من خلال مصادر تبدو جديدة في حلتها، ونقصد المصادر التي توصف بأنها لا تزال عذراء، سواء كتب النوازل أو المناقب والتصوف أو الرسائل الديوانية وغيرها، فصارت مصادر قديمة جديدة للمؤرخ الذي يريد البحث عن إشكاليات جادّة يثير بها نقاشا تاريخيا جديدا .

---

(1) حول هذا الموضوع ينظر: جاك لوغوف ، **التاريـــخ الجديـــد**، ترجمة و تقديم محمد الطاهر المنصوري، منشورات المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1، 2007، ص. 24 وما بعدها .

انطلاقا من هذا التصور، ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات اهتمت بالتطورات الإقتصادية والإجتماعية في المدينة الإسلامية عموما، وبالغرب الإسلامي خصوصا[1]، وأراد أصحابها في كثير من الأحيان التركيز على الجزئيات، واستجلاء البقع المعتمة من خلال سد الفجوات التي يتركها المؤرخ الرسمي الذي يُعتمد عليه في الغالب، وبالتالي تجاوز التاريخ الحدثي الذي ساد في أدبياتنا التاريخية فترة من الزمن.

إختيار الموضوع وأهميته:

في هذا الإطار يندرج موضوع الدراسة الموسوم بـ: **المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، الذي يبدو في ظاهِرِه دراسة إقتصادية بحتة، ولكن الواقع غير ذلك تماما، فهو من المواضيع القليلة التي تجمع بين الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية والدينية في آن، لسبب بسيط وهو تتبع أوضاع أرباب المهن والصنائع والحرف الذين يشكلون نسيج المجتمع ككل، والقول أن أهل المهن والصنائع والحرف من العامة فقط قولٌ مُجانِبٌ للصواب، وإن كانوا يمثلون السواد الأعظم، فهم ليسوا كلهم، بحكم وجود مِهن إنفرد بها العِلية من القوم، على شاكلة القضاة والوزراء وغيرهم، بالرغم من أن معظم الدراسات المتوفرة ركَّزت على الجوانب الإقتصادية فحسب، من هنا جاءت الضرورة بدراسة شاملة متكاملة، حيث لم نعثر على دراسة تناولت جل الصنائع والحرف خلال العهد الموحدي، وبهذا فهدف الدراسة إحصائي تاريخي، ثم تحليلي إستنباطي، مع المقارنة بين ما ورد في كتب الحسبة النظرية، وما أوردته مصادر التاريخ المتنوعة، وإن كانت هذه الأخيرة لا تشبع

---

[1] على سبيل المثال لا الحصر، دراسات إبراهيم القادري بوتشيش، عصمت دندش، محمد المغراوي، احمد المحمودي... وغيرهم كثير .

النهم، لأنها لم تُـعِر اهتماما لمن أسمتهم بالعوام، ولم يكونوا من صانعي التاريخ المكتوب .

ورغم الإدراك بعدم الإلمام بالكم الهائل والكبير بمجموع المهن والصنائع والحرف، التي شهدها العصر الموحدي بالعدوتين، حتى أن بعض المهن لم يُـكتب له الحياة في مصنفات المؤرخين، إضافة إلى إشكالية تصنيف الكم الهائل من المهن والصنائع والحرف إلا أن محاولة جمعها في دراسة مفردة يُـعد عملا مهما من الناحية الإحصائية على الأقل، ليكون دون ريب قاعدة لدراسات أخرى، كما أن تسليط الضوء على بعض المهن التي اعتبرت محظورة أو منبوذة، يفتح المجال لدراسات تستعين بعلوم مساعدة على غرار علم النفس وعلم الإجتماع وغيرهما، مع اليقين أن الأحكام القطعية لا مكان لها في كثير من الأحيان على حد قول أحد الباحثين[1]، نظرا لأن المصادر المتاحة لا تتعدى إشارات عابرة في كثير من الأحيان .

كما أن تتبع الصنائع والحرف يبرز دون شك ذلك التنوع الحضاري بين العدوتين، وتلك المساحة الشاسعة من الإحساس الجمالي الذي ميز الصانع والحرفي في الغرب الإسلامي، وبرز من خلال الإنتاج المادي، الذي وصلنا بعض آثاره الخالدة، وكذا الحضور الديني في كثير من الصروح، سواء في الأبنية أو الفخار أو الخشب أو الحديد، أو في النسيج والتطريز والنقوش والخطوط والعملات، وحتى في الأطعمة والأشربة والألبسة، الشيء الذي خلد الموروث الحضاري العريق للدولة الموحدية، وهو دون شك حافز فعال ومهم في معالجة هذا الموضوع، من خلال البُعد التاريخي والأثري في آن.

---

[1] ينظر، عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب** ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ج2، ص. 14 .

الدراسات الحديثة :

من خلال البحث عن الدراسات الحديثة المتعلقة بالحرف والمهن والصنائع، عثرنا على بعض الدراسات المتخصصة بحقبات تاريخية معينة، أو بإقليم مخصوص، ففي الفترة القديمة نجد مثلا:

دراسة بن مبارك نسيم ،الصناعة في نوميديا 203 ق م– 46 ق م، مذكرة ماجستير في القديم، جامعة قسنطينة، 2009 – 2010.

دراسة حمداش فهيمة، الصناعات الحرفية في قرطاجة (814 ق م– 146 ق م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 .

أما في الفترة الحديثة والمعاصرة نجد:

- **دراسة الأستاذة عائشة غطاس (رحمها الله تعالى)**: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، مقاربة اجتماعية واقتصادية، وتعطي الدراسة صورة واضحة عن التأثير الحرفي في التطور الإجتماعي والإقتصادي، إضافة لتفصيلها في أسماء الحرفيين، وبعضها يعود لعهود سابقة .

ودراسة كريم بن يدر:الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18و19م،(2007). و**دراسة صلاح أحمد هريدي**: الحرف والصناعات في عهد محمد علي ،1985 و**دراسة عيسى سليم محمد أبو سليم**: الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر(دار الفكر، عمان، 2000)، وكلها دراسات مهمة من ناحية التنظيم الحرفي وخصائص العاملين، وإن لم تكن في فترة الدراسة، ففائدتها لا تنكر.

أما في حقبة الدراسة، نقصد الفترة الوسيطة، فنلاحظ أن الدراسات المتعلقة بالحرف والصنائع جاءت في سياقات أخرى، أهمها الدراسات المتخصصة بطبقة العوام، أو في أقاليم معينة، ونذكر بعض الدراسات التي استفدنا منها :

دراسة أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي (رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2009)، وإن كانت هذه الدراسة تتسم بالإجمال دون التفصيل، إلا أنها نبهتنا إلى كثير من الصنائع والحرف المغمورة التي غفلت عنها كثير من المصادر .

دراسة فهمي سعد: العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع هجري (دار المنتخب العربي، لبنان ، 1993م) ،وأفادتنا في شكل التصنيف الحرفي رغم اختصاصها بالمشرق الإسلامي. شأنها في ذلك شأن **دراسة صباح الشيخلي**: الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها ،(بيت الوراق ، بغداد)، والتي أعطتنا صورة عن التنظيم الحرفي بالمشرق الإسلامي، إضافة لدراسات أخرى[1] .

بالإضافة إلى ما سبق، هناك دراسات متخصصة بالغرب الإسلامي، كان لي منها عظيم إستفادة على غرار :

دراسة جهاد غالب مصطفى الزغول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(**رسالة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأردنية، 1994**) حيث أعطتني كرونولوجيا حرفية وصناعية لعدوة الأندلس، وأحالتني على أهم المصادر المُعتمدة من طرف الباحث .

---

[1] **كدراسة السيد طه أبو سديرة**، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1991.**ودراسة عبد العزيز بن ابراهيم العمري**، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ، مركز التراث لدول الخليج العربي ، ط1 ، 1985.

دراسة عبد اللطيف خلابي: الحرف والصنائع وأدوارها الإقتصادية والإجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي 669- 960هـ، 1270- 1550م ،(مكتبة الثقافة الدينية ، 2011م)، ومكمن الإستفادة من هذه الدراسة هو أخذ صورة عن مصير بعض الصنائع خلال العهد المريني، ومن جهة ثانية الإستئناس بما ورد عن بعض الصنائع خلال العهد المريني ومحاولة الإسقاط التاريخي خاصة إذا تعلق الأمر ببعض الصنائع التي يعتبر تطورها بطيئا، ولم تذكر المصادر الموحدية عنها الكثير، كحال صناعة السكة والتعدين وغيرهما.

دراسة محمد رابطة الدين: مراكش زمن حكم الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان (دار المطبعة والوراقة، مراكش، 2008، جزءان)، وتعتبر هذه الدراسة حسب نظري مهمة جدا لكل مهتم بالتطورات الإقتصادية والإجتماعية زمن الموحدين، إضافة لتفصيلها لكثير من المهن السلطانية التي استفدت منها عظيم إستفادة، إضافة الى دراسات أخرى استأنست بها [1].

إشكالية الموضوع:

تطرح هذه الدراسة إشكالية مركزية، تتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية، المشكِلة لهيكل البحث، والإشكالية الرئيسة هي :

۞ ما هي أهم المهن والصنائع والحِرف المشهورة والمغمورة بالغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي ؟ وما مدى مساهمة الموحدين في إبداع وازدهار الصنائع والحرف؟.

---

[1] **كدراسة العربي لخضر**: الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633- 962هـ)، مذكرة ماجستير، جامعــة معسكر، 2011، و**دراسة صادقي كمال**: الصناعات الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398- 547هـ) مذكرة ماجستير، جامعة الامير عبد القادر ، قسنطينة ، 2007.

هذه الإشكالية تصاحبها التساؤلات التالية :

۞ هل هناك فروق واضحة بين مصطلحات المهن والصنائع والحِرف، وهل يتفاضل بعضها على بعض في القيمة والشرف ؟ .

۞ هل وُجدت مهن محرمة شرعا، أو منبوذة من العامة خلال العهد الموحدي، وما سبب وجودها، وما موقف الخلفاء الموحدين وكذا العامة منها ؟ .

۞ هل كان أصحاب المهن والصنائع والحِرف ذو وضع اجتماعي مقبول في العهد الموحدي، وهل تغير وضعهم حسب الظروف السياسية للدولة الموحدية ؟ .

۞ هل استُحِدثت مهن وصنائع وحرف جديدة في العصر الموحدي، وهل تأثر المغرب بالأندلس أو العكس؟ وهل تحدثت المصادر المتوفرة عن نشاط حِرفي للمرأة الموحدية؟

۞ من خلال إستقراء المصادر، هل كان لأهل الذمة دور في تطور الصنائع والحِرف الموحدية، وهل كانت لهم مهن مُعينة تميزهم عن غيرهم ؟ وهل أُتيحت لهم الحرية في تعاملاتهم المهنية والحرفية ؟ .

منهجية البحث:

نظرا لخصوصية المواضيع المرتبطة بالصنائع والحرف، فإن المنهج **التاريخي الوصفي** لابد أن يلازمه منهج **إحصائي**، فالأول يتناول الموضوع كظاهرة تاريخية في زمن معين وبيئة خاصة، ويبحث في جذورها وحيثياتها، وكذا مميزاتها وتطوراتها، وخصائص عامليها ووضعهم الإجتماعي والإقتصادي، والثاني يتناول الإحصائيات والأرقام والنسب (إن توفرت طبعا)، وهو حال الدراسات ذات الصبغة الإقتصادية، مع اللجوء إلى **الإستقراء** في كثير من الأحيان، نلأللجوء الى المقاربات يُعد ضروريا في

غياب الإحصائيات والمعلومات الدقيقة، وعند تعذر الحصول على المادة الخبرية الكافية، لسد الفجوات، وهو حال كثير المواضيع، وبالخصوص عند الإسقاط بين ما ورد في كتب الحسبة النظرية وبين كتب التاريخ والتراجم.

دراسة لمصادر البحث:

نظرا لأن موضوع المهن والحرف والصنائع يتقاطع حتما مع مختلف إختصاصات الكتابات التاريخية، كان لزاما أن تعتمد الدراسة على مزيج من أنواع المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية والفقهية وكتب الحسبة وكتب المناقب والتراجم وغيرها، رغم أن عددا معتبرا من المصادر المهمة قد فُـقد، على سبيل المثال لا الحصر :

المغرب في محاسن أهل المغرب : لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي .

المقباس في أخبار المغرب والأندلس، لعبد الملك بن موسى الوراق .

تاريخ الموحدين : لأبي القاسم السهيلي المتوفي سنة 583هـ .

تذكير العاقل وتنبيه الغافل: للبياسي المتوفي سنة 653هـ .

فضائل الإمام المهدي بن تومرت، المنسوب لأبي القاسم المؤمن المصري[1].

ثورة المريدين: لابن صاحب الصلاة المتوفي سنة 594هـ صاحب كتاب المن بالإمامة على المستضعفين، والذي لم يصلنا منه سوى سفر من الجزء الثاني فقط، إضافة لمصادر موحدية كثيرة وردت عناوينها عند المعاصرين للموحدين، ونقلوا منها في مصادرهم، ومن جاء بعدهم، منها ما ضاع، ومنها ما هو حبيس في دور المخطوطات ينتظر الإفراج عنه.

---

[1] حوله هذا الكتاب أنظر، ابن القطان الفاسي، **نظم الجمان**،ص. 184.

ومن أهم المصادر المتوفرة التي بنيت عليها الدراسة، نذكرها ومدى استفادتنا من كل صنف منها:

كتب الحسبة:

تُعتبر كتب الحسبة من المصادر الرئيسة للبحث إن لم تكن أهمها، كونها تسلط الضوء على أصحاب الصنائع والحرف، لأنها من صميم عمل المحتسب، رغم أنها غالبا تكتفي بالجانب النظري دون التطبيقي، إلا أنها هامة جدا في تتبع تطور المهن وكذا خصائصها، وطرق الغش والتدليس ومنها نذكر :

ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب: وقد جمعها ليفي بروفنسال (باريس1955)، أولها رسالة ابن عبدون محمد بن أحمد المتوفي سنة 520هـ ، ثم رسالة احمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ورسالة في الحسبة لعمر بن عثمان بن عباس الجرسيفي، وهي رسائل بالغة الأهمية، رغم أن المستشرق الذي جمعها - رغم مكانته العلمية- لم يكلف نفسه عناء تحقيقها، بل نقلها ونشرها فقط[1]، رغم هذا تفيد الدراسة في إحصاء المهن والصنائع والحرف المعروفة لهذا العهد خاصة بالأندلس، وأهم الحيل والغشوش التي يستعملها أصحابها في القرن السادس للهجرة .

في آداب الحسبة: لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السَقطي المالقي الأندلسي(باريس1931)، وهو من أهل القرن الخامس هجري، وتكمن أهمية هذا

---

[1] حول الموضوع ، أنظر: ابراهيم القادري بوتشيش: **ملاحظات حول منهجية التحقيق الاستشراقي للتراث الأندلسي المخطوط، ضمن كتاب إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الإقتصادي والإجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002، صص. 8- 17.

المصدر أن صاحبه اعتمد على مشاهداته الشخصية، فنقل لنا حقائق مهمة، والأقرب أنه كان محتسبا، لأنه يتكلم بلغة العارف المتخصص رغم أنه سبق فترة الدراسة .

تنبيه الحكام على مآخذ الاحكام : لمحمد بن عيسى ابن المناصف المتوفي سنة610هـ، (اعتمدنا على النسخة المخطوطة للأزهر الشريف رقم 3031، والمطبوعة لمعهد الدراسات والبحوث، تونس، د ت)، وهو كتاب مهم في القضاء والحسبة، وتكمن أهميته أنه معاصر للدولة الموحدية ، ومؤلفه ذو خبرة واسعة والأرجح أنه كان محتسبا، لذلك فمعلوماته في غاية الأهمية، حيث نؤثرها على غيرها من المصادر .

معالم القربة في أحكام الحسبة: لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن الأخوة ، المتوفي سنة 729هـ،(كمبردج 1937)، ورغم أن الكتاب بعد فترة الدراسة بأكثر من نصف قرن، إلا أنه ينفرد بذكر معلومات لا نجدها في غيره من المصادر الخاصة بالحسبة، لذا نعتبره هاما في هذا المجال .

كتب التراجم والمناقب والتصوف:

تحتوي هذه المصنفات لترجمات رجال عرفوا بالعلم بالزهد والصلاح، ويهمنا في ذلك أنهم امتهنوا حرفا عديدة، كونهم كانوا من العامة، وبالتالي تعطينا معلومات مهمة قلما نجدها في مصادر التاريخ الرسمي، خاصة إذا كان أصحاب المناقب ممن عاشوا في العصر الموحدي، أما كتب التراجم فهي على نوعين: العامة والتي تتناول أصنافا متعددة من الناس على فترات طويلة، وتدخل فيها كتب الحوليات والوفيات والمعاجم وغيرها كثير، ونوع ثان وهو ما نقصده وهي كتب تراجم خاصة بزمن معين، وصنف بعينه، ومن أهم ما وصلنا نذكر :

التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي: لصاحبه أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المعروف بابن الزيات – ت 627هـ - (مطبوع بالرباط 1984) يحوي هذا الكتاب النفيس على مائتين وتسع وسبعين ترجمة لنساء ورجال، عاشوا قريبا من زمن المؤلف آخرهم متوفي سنة 616هـ، الذي يبدوا أنه كان ملما بأخبار الصلحاء والمتصوفة، وربما كان منهم، من فاس ومكناس وتادلا وسجلماسة وسبتة ودرعة وتلمسان وبجاية، مع تركيزه على مدينة مراكش، وتكمن أهمية هذا المصدر أنه يحيلنا إلى مهن وصنائع هؤلاء الصلحاء على غير قصد منه، وربما انفرد بأخبار قلما نجدها عند غيره، رغم أن المؤلف يقتصر في كتابه على عدوة المغرب دون الأندلس، إلا أن هذا لا ينقص حتما من قيمته ،كمصدر موحدي أصيل.

السر المصون في ما أكرم به المخلصون: لطاهر بن محمد بن طاهر الصدفي وهو مؤلف أندلسي من أهل القرن السادس،(دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998) وتكمن أهمية الكتاب أنه أقدم المتون المحفوظة في المناقب مما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس، ويذكر الصدفي أهم من لقيهم من الصلحاء في بلاد المغرب ومصر، ويذكر لنا قصصا فريدة لعامة الناس من أهل الحرف وصغار الزراع والصيادين وعن حياتهم اليومية، وبالتالي نعتبره من المصادر الأصيلة للبحث .

الُمعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى: للمؤلف أحمد التادلي الصومعي،(مطبعة المعارف الجديدة، مصر، د.ت.)، وتظهر أهميته في تعداد مناقب الشيخ أبي يعزى، وذكر علمائه وأشياخه، مع عدد معتبر من المتصوفة، والأهم من ذلك كله توضيح معالم الحركة الصوفية بالمغرب الى عصر الشيخ أبي يعزى، أي من القرن السادس حتى العاشر هجري .

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف: لمؤلفه عبد الحق بن إسماعيل البادسي ـ كان حيا سنة 722هـ ،1322م ـ (المطبعة الملكية، الرباط،1993) وتكمن أهمية هذا الكتاب أنه يؤرخ لرجال شمال المغرب، ولأنه أراد أن يستكمل ما كتبه التادلي عن صلحاء الجنوب حين قال: "**فرأيت تتميم صلته، وتنظيم فيصلته**"، فإنه جاء ليكمل حلقة سلفه، ويذكر صلحاء المنطقة الواقعة بين سبتة وتلمسان، وينفرد هذا المصدر بذكر باب مهم جدا لهذا البحث والموسوم بالفقر والفقير، فهو مهم لدراسة ظاهرة التسول في المجتمع المغربي الوسيط، وكذا كلامه عن إثبات كرامات الأولياء، وأثر ذلك في الذهنيات المعاصرة لفترة الدراسة.

سبك المقال لفك العقال: لعبد الواحد محمد بن الطواح، من رجال القرن الثامن هجري، (مطبوع بليبيا 2008)،ويعطينا المؤلف في هذا المصدر النفيس تراجم مهمة لعدد من الشخصيات التونسية والأندلسية، وقليل من رجال المغرب الأوسط والأقصى، الذين عاشوا في القرن السابع، ورغم الطابع القُدُسي الذي أعطاه المؤلف للرجال المُترجم لهم، إلا أن الأهمية تكمن في إنفراده بذكرهم دون المصادر التي ألفناها، وذكر عَرَضا بعض المهن التي تعيش بها هؤلاء الزُهاد والعبادُ، خاصة في البلاد التونسية .

أنس الفقير وعز الحقير: للمؤلف أبي العباس أحمد الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ) ـ مطبوع بالرباط،1965- رغم أن البعض يعتبر أن هذا الكتاب يصنف ضمن كتب الرحلة كون مؤلفه قد جاب معظم مدن المغرب الإسلامي باحثا عن رجال التصوف وأضرحتهم والوقوف على تاريخهم ، إلا أن هذا يقربه دون شك إلى كتب التصوف، لأنه اعتمد كثيرا على ابن الزيات، ويعطينا ابن قنفذ صورة واضحة عن التصوف في عصره مقارنة بالعصر الذي سبقه وهو عصر الموحدين، معرجا على الكرامات وعوائد الصوفية، خاصة المتصوف التلمساني أبو مدين شعيب، كذا أصحابه المعروفين والمغمورين .

إضافة لمصادر أخرى مهمة على غرار: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي المتوفي سنة 603هـ أو 604هـ (مطبوع بتطوان 2002)، وتكمن أهمية المصدر كونه من المصادر الأصيلة، حيث أنه لم ينقل عن أي كتاب مشهور، ويعطينا تصورا واضحا حول الحياة العامة إقتصادا ودينا، وثقافة ومعمارا،وعلاقة السلطة الموحدية بحركة التصوف التي ازدهرت في هذه الفترة أيما ازدهار ليس في فاس وحدها كما يصوره لنا العنوان، بل في الغرب الإسلامي عموما وكتاب **تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الاخوان في كرامات الشيخ أبي مروان** لأحمد بن ابراهيم بن يحي القشتالي،(منشورات المعهد المصري بمدريد،1973)، والذي عاصر السنوات الأخيرة من عُمر الدولة الموحدية .

أما عن المصادر التي اهتمت بتراجم رجال مخصوصين بمهن معينة نذكر **على سبيل المثال عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، لابن أبي أصيبعة المتوفي 668هـ (مطبوع ببيروت 1981)، حيث نجد صاحبه يقول **"ولما لم أجد لأحد.. كتابا جامعا في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم، رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتا وعيونا في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين"**، فهذا الكتاب يفيدنا في مهنة الأطباء والصيادلة وما شابههم، خاصة وأنه يذكر مؤلفاتهم يالتفصيل، منها ما وصل ومنها ما ضاع، وفائدته لا تنكر في هذا الباب .

كتب الصناعات العملية:

ونقصد بها المؤلفات التي تناولت صناعة بعينها، والغالب على هذه التصانيف أن أصحابها قد عملوا بها، أو كانوا قريبين ممن تخصص بها، وبالتالي فالإستفادة منها تكون على درجة عظيمة، خاصة من المصادر التي كتبت عهد الموحدين، أو قريبا من عهدهم، نذكر أهمها :

كتاب التيسير في صناعة التسفير: لبكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي الإشبيلي، المتوفي سنة 628هـ أو629هـ (منشورات المعهد المصري بمدريد 1961_1962)، وتكمن أهمية الكتاب أن مؤلفه كان منقطعا لخدمة الخلفاء الموحدين، كونه من أبرع المجلدين في عصره، وكان يحترف تسفير الكتب، ويبدوا هذا جليا من خلال استعراض فصول الكتاب، حيث يعطينا شرحا مفصلا للصنعة وشروطها وأدواتها، وقد كتبه للخليفة الموحدي يعقوب المنصور، مما يدل أيضا أن الخلفاء أنفسهم كانوا مولعين بهذه الصنعة ومشتقاتها، مما انعكس إيجابا على تطور هذه الصنعة، وعموما لا يمكن الإستغناء عن هذا المؤلف في هذا المقام .

كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس: لمؤلف مجهول، عاش في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة، (منشورات المعهد المصري بمدريد 1961_1962)، ويبدوا من خلال ثنايا الكتاب أن المؤلف أندلسي الإقامة[1]، ويشتمل الكتاب على أكثر من خمسمائة وصفة للأطعمة والأشربة، موصوفة بلغة من خبر المطبخ وأسراره، وفوق هذا يبدوا أنه كان طباخا للخلفاء والأمراء الموحدين، حين يصف بعض المأكولات أنها تطبخ لهم، وهذا طبعا دون شك يزيد في قيمة المصدر، ويستفاد منه في وظيفة الطباخين والطهاة .

كتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان: لابن رزين التجيبي أبو الحسن علي بن محمد، (كتبه بين سنتي 636هـ و640هـ)،(دار الغرب الإسلامي،بيروت 1984)

---

[1]حاول الباحث عبد الغني أبو العزم الإهتداء الى صاحب الكتاب، وافترض أن المؤلف هو أبو الحجاج يوسف يحي بن اسحاق الإسرائيلي الفاسي المغربي(ت 623هـــ)، مستدلا بالأخطاء النحوية من جهة، كما استدل بأن له كتابا آخر شبيها يدعى : **ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها**، كما أنه ذكر أكلات أصلها مشرقي، لأنه انتقل إلى الشام واستقر بحلب، ينظر: **أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة**، تح عبد الغني أبو العزم، منشورات دار الأندلس وحوار الحضارات ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب الأقصى ، 2003، مقدمة المحقق .

ويعتبر هذا الكتاب مكملا لكتاب الطبيخ السابق الذكر، من خلال الوصفات، إضافة أنه يذكر الأواني على إختلاف أنواعها، مبينا محاسنها ومساوئها وصلاحيتها وكذا التوابل، والخلول، مع بعض الموازين المستخدمة في التحضير ودون شك يعتبر هذا الكتاب من النوادر في هذا الفن، لأن قلة القلة من كتب في هذا التخصص، ككتاب الآثار المروية في الأطعمة السرية و الآلات العطرية: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفي 578هـ، وتكمن أهمية الكتاب إضافة إلى معاصرته للدولة الموحدية، كونه يعطينا قاموسا شاملا لأنواع الأطعمة واللحوم والعجائن والبقول والفواكه والعطور وغيرها المعاصرة له، وتكمن الاستفادة منه في المهن المتعلقة بالمأكل والمشرب والتعطر وغيرها .

كتاب الفلاحة الأندلسية: لابن عوام الإشبيلي (ت539هـ)،(منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق 2012)، ورغم كبر المصنف الذي يقع في 07 أجزاء كبيرة، إلا أننا استفدنا منه كثيرا في طرق الفلاحة والحرث والتزبيل وأنواع الأشجار والزروع بالأندلس خصوصا، والمغرب كذلك، نظرا لبراعة مؤلفه وخبرته في الميدان .

الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة: لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم – عاش في العصر المريني – ورغم أن المؤلف عاش بعد فترة الدراسة إلا أن الأهمية تتجلى في أن وظيفته كأمين لدار السكة أيام السلطان أبي عنان اقتداء بجده كذلك يعطينا ثقة في معلوماته التي تمحورت أساسا حول عملية سك النقود ، معرجا على قوانين دار السكة ونظامها، وبالتالي يعطينا تاريخا عن النقود في المغرب قلما يتسنى لنا أن نصادفه في مصادر أخرى ، كما يستفاد منه أيضا حول المعادن الشائعة في هذا العصر.

إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد:لأبي العباس أحمد العزفي السبتي (ت 633هـ)، رغم عدم شهرة هذا الكتاب إلا أن أهميته

تضاهي كتاب الدوحة المشتبكة على الأقل أنه الأقرب إلى فترة الدراسة، ويفصل مؤلفه في المكاييل الشرعية والأوزان، ويمنحنا قاموسا ميسرا للمصطلحات المغربية والأندلسية في هذا الباب، وبهذا نعتبره مصدرا أساسيا في وظيفة السك .

كتاب كمال أدب الغناء: للحسن بن أحمد بن علي الكاتب، وهو من أهل القرن السابع للهجرة، ويعد من الكتب النادرة في الغناء والموسيقى، ويفيدنا هذا المؤلف عن فضل صناعة الغناء، وكذا صفة المغني، وأسماء الآلات المعروفة في هذا العهد، و غيرها من الأبواب و**كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية:** لعلي بن أبي بكر الهروي (ت611هـ)، (مطبوع بمصر، د ت)، ورغم صغر حجم الكتاب إلا أنه يعد من المصادر الهامة التي تحليلنا الى تفصيل المهن الحربية، والعسكرية والرسل والجواسيس وما شابه ذلك .

كتب الوثائق والعقود العدلية:

تكمن أهمية كتب العقود أنها تمنحنا وثائق أصيلة عن أوضاع الحرفيين والصناع، والمستأجرين، ويسمى كتابها بالموثقين، وكاتبي العدول، ونجد فيها مثلا عقود استئجار لعديد الحرف والمهن، وعقود الزواج والطلاق ... وغيرها .

ومن أهم كتب الوثائق والعقود التي اعتمدتها الدراسة ، نذكر:

المقصد المحمود في تلخيص العقود: لأبي الحسن علي بن قاسم الجزيري، المتوفي سنة 585هـ، والكتاب المعتمد في البداية مصور عن مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم5221، يجد القارئ صعوبة في قراءته، نظرا لرداءة خطه، (لكننا عثرنا فيما بعد على نسخة مطبوعة قام بها اسونثيون فريريس، اسبانيا، د ت)، يقول الجزيري في مقدمة الكتاب **"وإنني لما رأيت بعض الموثقين قد بسط مجموعها ومد فرعها، وآخر أجحف**

في اختصارها ولم يكشف عن أسرارها، جعلت كتابي هذا لاحقا بالحيز الوسط، محفوظا من الإجحاف والشطط"، كما راعى الجزيري الاعتدال في سياق سرد العقود بين الإطناب الممل والاختصار المخل ونظرا لأهمية المصدر، فقد نقلنا بعض الملاحق في آخر الدراسة، كعقود الإستئجار لمختلف الحرف، بالرغم من خلوها من التاريخ الذي كتبت فيه ولا اسم المدينة ونجد مكانها لفظ كذا وكذا .

وثائق المرابطين والموحدين:(المنسوب خطأ لعبد الواحد المراكشي)، ومن باب الأمانة العلمية أن نقر أن كتاب وثائق المرابطين والموحدين الذي حققه حسين مؤنس، ليس لعبد الواحد المراكشي كما نسبه المحقق، لأن هذا الأخير توفي سنة 647هـ، في حين ورد في نهاية النسخة التي حققها مؤنس أن ناسخها قد انتهى من نسخها يوم الأثنين من شهر رمضان 534هـ، أي قبل أكثر من قرن على وفاة عبد الواحد المراكشي، وتوجد نسخ المخطوط بالمكتبة المغربية ولم يشر إليها المحقق (نسخة بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم 470، خزانة القرويين تحت رقم 11590، وغيرهما)، وقد ورد عنوانه فيها كما يلي**"الوثائق والمسائل لابن الفتوح"**، وهو مصور بالمكتبة الوطنية المغربية، رقم الفيلم 1953، في جزئين .

وقد كتب الأستاذ محمد العلمي – كلية الشريعة بفاس – مقالا عنوانه: "**الوثائق المجموعة لابن فتوح تصدر منسوبة لعبد الواحد المراكشي"**، وقد أشار فيه إلى الأخطاء العلمية الخطيرة التي وقع فيها المحقق، منها تسمية الكتاب، حيث لا يوجد في التراث الفقهي الإسلامي كتاب بهذا العنوان، كما أنه من باب الأمانة العلمية أن يقر المحقق أن العنوان من إقتراحه، كما أنه بتر جزءا مهما من كتاب ابن فتوح، والمتعلق بالأنكحة والمعاملات المالية .

ومهما يكن من أمر، فإن كتاب ابن الفتوح على الأرجح، هو مصدر مهم جدا، نظرا لإحتوائه على وثائق لا نجدها في غيره من المصادر، وأهم الوثائق المستفادة: وثائق البيوع، وثائق في نعوت الرقيق، وثائق القسمة والاكتراء والوكالة والشركة والمغارسة، وكلها تصب في حقل الصنائع والحرف، وتكمن أهميتها أنها وثائق حقيقية، رغم أنها تفتقر إلى الأسماء والأماكن ،كوثائق الجزيري، إلا أن فائدتها لا تخفى على باحث .

كتب الأمثال والأزجال:

تعتبر كتب الأمثال والأزجال من أكبر المصادر التاريخية قيمة في التعريف بطبيعة تفكير العامة، إضافة لقيمتها الاجتماعية والتاريخية والأدبية، فهي تثري قاموسنا بمفردات تداولها العامة في عصر معين، ولا تخلو هذه الأمثال والأزجال من ذكر أصحاب الحرف والمهن والصنائع، كونهم من صميم العامة، وتحيلنا إلى نظرة الناس إلى كل صنعة، وبالتالي يمكن أن نلتمس منها مادة تاريخية قد يتعذر الحصول عليها من مصادر تاريخية مشهورة، ومن أمثلة هذه الكتب المعتمدة :

ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام: المسمى أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، المتوفي 694هـ،(مطبوع بفاس 1971) جمع فيه المؤلف كما هائلا من الأمثال الأندلسية الشائعة، وهي معروفة في العدوتين عموما، وتسلط الضوء على نظرة الأندلسيين إلى لأصحاب المهن والحرف، وتحيلنا إلى إشارات بالغة الأهمية قد أغفلتها المصادر الأخرى ، ودعمنا به الدراسة .

ديوان ابن قزمان : المسمى إصابة الأغراض في ذكر الأعراض، لصاحبه أبي بكر محمد بن عيسى بن قزمان المتوفي عام 555هـ، (مخطوط م و ج رقم 31717، ومحقق بمدريد 1980)، ويشتمل هذا الديوان الفريد على مختلف الأغراض الشعرية من غزل

ومديح وخمر في طابع زجلي باللهجة الأندلسية، وهو مفيد حتما لمعاصرته للدولة الموحدية .

كتب التاريخ والرسائل الرسمية:

لأن كثيرا من المصادر التاريخية قد أوردت في سياقاتها رسائل رسمية مهمة، ومن هذه المصادر التي عاصرت الموحدين أو كانت قريبة نذكر: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان:** لابن القطان (توفي منتصف القرن السابع) وقد أورد بعض الرسائل على غرار رسالة العدل المؤمنية، وفيها إشارات هامة الى الصناع والتجار والحرفيين .

المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين: لابن صاحب الصلاة المتوفي بعد594هـ1198م،(مطبوع بلبنان 1964)، والذي ذكر معلومات قيمة عن المعمار والرواتب والأسعار لأنه يتكلم بلغة العارف والشاهد للأحداث، بالرغم أنه وصلنا جزء يسير من الكتاب .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي، (مطبوع بالقاهرة 1994)، وهو مفيد من الناحيتين الجغرافية والتاريخية للغرب الاسلامي كله، إضافة الى مصادر أخرى مكملة: كالبيان المغرب لابن عذارى المراكشي(ت أواخر القرن7هـ) **وروض القرطاس**: لابن أبي زرع الفاسي (ت726هـ1325م) **والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية:** لمجهول و**أخبار المهدي بن تومرت**: للبيذق، **ومجموع رسائل موحدية:** لمجهول ،الذي نشره ليفي بروفنسال، ومجموعة جديدة من الرسائل الموحدية التي عكف الأستاذ أحمد العزاوي على دراستها، هي بحق مادة خام استفدت منها في كثير من الحيثيات والتفاصيل المهمة، خاصة فيما يتعلق بالمهن الديوانية والإدارية، بالإضافة إلى مصادر أخرى لا مجال لحصرها.

خطة البحث:

لمعالجة الإشكالية والإجابة عن هذه التساؤلات، قسمت البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وسبعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق .

خصصت المقدمة للتعريف بالموضوع، وأسباب إختياره وإشكاليته ومنهج البحث فيه، والدراسات التي سبقته، وتقييم لأهم المصادر المُعتمدة في البحث .

الفصل التمهيدي: خصصته **للمحة تاريخية عن قيام الدولة الموحدية**، وظروف قيامها إبتداء من مرحلة الدعوة في عهد المهدي بن تومرت، إلى مرحلة التأسيس الفعلي في عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي الكومي، معرجا على الخلفاء الموحدين.

الفصل الأول، والموسوم بــ : **المهن والصنائع والحرف بين إشكالية المصطلح ومعايير التصنيف**، جعلته لتعريف مصطلحات المهن والصنائع والحِرف، والفروق اللغوية والإصطلاحية بينها ، مُعرجا على نظرة الدين الإسلامي إلى العمل، لأسرد مجموعة لأهم تصنيفات المهن والصنائع والحرف، من حيث أنواعها وتفاضلها وتراتب مزاوليها بدءا من تصنيف الشيباني إلى تصنيف الخزاعي وابن خلدون وإخوان الصفا والفارابي والكتاني، وأضيف تصنيفا حديثا للأمير عبد القادر الجزائري رأيته مهما ومفيدا، وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن النقابات الإسلامية في العصور الوسطى، كونها أهم شكل في التنظيم الحِرفي في فترة الدراسة .

الفصل الثاني، والموسوم بــ : **المهن المنبوذة والمحرّمة بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، ّبينت فيه أولا إشكالية المادة المصدرية في الحديث عن هذا النوع من المِهن وكذا نظرة الدين الإسلامي إليها، لأُفصِل في مجموعة من المِهن المحّرمة: كالبغاء والخصاء، واللصوصية وقطاع الطريق، والنائحات، والواشمات، وصانعي الخمور

وبائعيه، والسحرة والمشعوذين، والمهن المنبوذة على شاكلة الفحامين والمتسولين، مع التركيز في كل عنصر من العناصر السابقة على نظرة ولاة الأمر الموحدين، وتعاملهم مع هذه المهن، في أطوار الدولة التي اختلفت بين مرحلة القوة والضعف، وكذا دور المتصوفة، الذي لا يمكن تجاهله في هذا الموضع، وتعامل العامة مع هذا النوع من المهن.

الفصل الثالث، الذي جعلته موسوما بـ : **المِهن الدينية والأدبية بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، بحكم قيام الدولة الموحدية على أساس ديني بحت، فكان لهذه المِهن حيِّز مهم، وأولها الخليفة، ثم مِهن أخرى، كالمؤذن، وصاحب الصلاة، الفقيه، المؤدب، القاضي، معلم القرآن، ومهن أخرى أدبية بحكم إهتمام الخلفاء بالآداب والفنون، على شاكلة الشعراء ومشرفي الخزانة الموحدية .

الفصل الرابع، والخاص بـ : **المهن الإدارية والديوانية بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، إبتداء من الولاة والكتاب والوزراء والحجاب والرقاصين (عمال البريد) والرسل والسكاكين، وصاحب المدينة والشرطة، والمشرفين وصاحب الأشغال، وصاحب ديوان الأعمال المخزنية، ومتولي المجابي،ومتولي المستخلص، والسجانين.

الفصل الخامس أسميته: **المهن الضرورية ومهن مختلفة بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، ابتداء من الطبيب والصيدلي والبيطري، ثم الحلاق، والعطار، والطباخ والفران والسفاج والشواء، والمرضعة، والحكاك، وحافر القبور،والسقائين، والقصاصين والمهرجين، والحجامين والفصادين، والقومة والمغنين والموسيقيين.

الفصل السادس، كان موسوما بـ : **الصنائع بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي،** إستهليت بتفصيل لصنائع فنية، كالمجلدين ثم المذهبين والمزخرفين والمزوقين، فالمصحفيين والخطاطين والناسخين والوراقين، ثم أخصص عنصرا للصناعات الورقية،

نظرا لطفرتها النوعية إبان العصر الموحدي، لأنتقل الى صناعة البناء والهندسة المدنية التي نالت حظا وافرا في هذا العهد، ثم الصناعات العسكرية، التي يندرج فيها صناعة الرايات والطبول والسفن الحربية، ثم انتقل لصناعات مدنية أخرى : كصناعة النسيج، صناعة الزجاج، صناعة الفخار والخزف، صناعة الخشب، صناعة السكر والعقاقير، صناعة الزيوت والصابون، صناعة الجلد، ثم الصناعات المعدنية، لأنهي الفصل بالصناعات الميكانيكية.

الفصل السابع والأخير، والموسوم بـ : **الحرف المتصلة بالفلاحة ويالتجارة بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي،** أو بهما في آن واحد، بدأت فيه بذكر أنواع الناشطين في التجارة، من كبار التجار وصغارهم، ثم أفصل مجموعة من الحرف: كالنخاسين، ثم تجار الذهب والملح، والدلالين، والوكلاء والسماسرة، والصيارفة، والحمالين، والقصابين والدجاجين، والصيادين برا وبحرا، ثم تجار الحليب واللبن، لأنتقل لأنواع الناشطين في الفلاحة، ثم المزارعين، والطحانين، ومربو الخيول والماشية والحمير والبغال، والرعاة، ومربو الدواجن والطيور، ومربو النحل، لأختتم بمربي دودة الحرير والخضارين والفاكهانيين.

أما **الخاتمة،** فقد ضمنتها أهم نتائج البحث، وكذا الثغرات التي سدتها هذه الدراسة، وآفاق البحث .

لأنهي الدراسة بمجموعة من الملاحق الضرورية التي رأيت أنها تخدم البحث، من نصوص أصيلة، من كتب الحسبة والصناعات العملية، أو جداول وصور لمآثر ومخلفات موحدية مختلفة .

صعوبات البحث:

كأي بحث أكاديمي، يواجه الباحث صعوبات جمة، منها الذاتي ومنها الموضوعي، في دراسة المواضيع المتعلقة بالصنائع والحرف، ويأتي على رأسها قضية التصنيف والتوزيع، لأنه إلى غاية الآن لا يوجد إجماع حول معايير تصنيف الصنائع والحرف بين عموم الباحثين، فكل ارتئى لنفسه معيارا خاصا رآه الأمثل لدراسته، ولعل مرد ذلك يرجع أساسا الى طبيعة الحرف والصنائع نفسها، فهي متداخلة بشكل عجيب، حتى أنك تجد مثلا الصنعة الواحدة ينطوي تحتها عشرات الصنائع، كما تجد أحيانا صنعة يؤول منتوجها الى مجموعة من الحرف، أو تجد مهنة يحتاج صاحبها إلى الإلمام بقانون صنعة أخرى وهكذا، كما يُعاني الباحث في هذا الحقل من قلة المصنفات المختصة، ونقصد كتب الحسبة، فهي في مُجملها تهتم بالجانب النظري، أو ما يُطلق عليها بكتب الحسبة النظرية، في حين لا يجد الباحث غالبا ما يُؤكد به الجانب النظري بما يوافقه بالجانب التطبيقي، وإن وجد فمجرد إشارات عابرة في كُتب المناقب والتصوف والتاريخ والنوازل، عدا بعض المصادر المتخصصة التي أشرنا إليها سابقا، والتي اهتمت ببعض الصنائع، وكتبها أصحابها إما لأنهم كانوا من أربابها وإما من أجل أولي الأمر من باب الإرضاء والمُجاملة، أو بناء على طلبهم .

وفي انتظار أن تبوح المكتبات ودور المخطوطات ببعض النفائس من المصادر التي قد تجيب على كثير من الأسئلة التي تنتظر الإجابات، تبقى هذه الدراسة محاولة لإثراء النقاش على موضوع هام من المواضيع التي لاتزال بكرا في مُجملها .

والله الموفق والمُستعان، عنابة في 18 شعبان 1436 الموافق لـ 09 جوان 2015.

الفصل التمهيدي:

لمحة تاريخية عن قيام الدولة الموحدية

1) مرحلة الدعوة على يد المهدي بن تومرت

أ/ ظهور المهدي بن تومرت.

ب/ لقاء عبد المؤمن بن علي بالمهدي بن تومرت.

ج/ مذهب بن تومرت.

2) عبد المؤمن بن علي وقيام الدولة الموحدية.

أ/ معركة البحيرة ووفاة المهدي بن تومرت.

ب/فتح تلمسان ووهران

ج/ فتح بجاية .

د/الأندلس

هـــ/ المغرب الأدنى.

3) الدولة الموحدية بعد عبد المؤمن بن علي.

1) مرحلة الدعوة على يد المهدي بن تومرت:

أ/ ظهور المهدي بن تومرت :

من أعظم الدول التي قامت بالغرب الإسلامي الدولة الموحدية التي حكمت جميع بلاد المغرب وجزءا مهما من بلاد الأندلس من سنة541هـ/1146م، وهي سنة سقوط مراكش حاضرة المرابطين إلى سنة 668هـ/1269م، وأصل مبدئها رجل يُدعى "محمد بن تومرت" الملقب بالمهدي بن تومرت[1] من قبيلة هرغة إحدى قبائل المصامدة في جبل السوس الأقصى التي تعتبر أكثر القبائل البربرية عددا [2]

ويُرجع كثير من المؤرخين نسب المهدي بن تومرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم البيذق مؤرخ الدولة الموحدية إذ يقول: **"نقل من يوثق بنقله من قرابته وغيرهم أنه ـ أي ابن تومرت ـ هو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل إبن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نسبه الصحيح**[3]، وإن شكك البعض في هذه النسبة من المستشرقين، أمثال ليفي بروفنسال وكولدزيهر[4] وغيرهما من الكتاب .

[1] ـــ القيرواني (أبو عبد الله بن أبي القاسم) المعروف بإبن أبي دينار ،**المؤنس في أخبار إفريفية وتونس**،تحقيق،محمد شمام ،المكتبة العتيقة،تونس، ط3 ،1387 هــ ،ص. 111 ,

[2] عز الدين عمر موسى،**الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماهم ونظمهم** ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،1991 ،ص. 35

[3] البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات ،ط 2 ، 1986، ص. 43

[4] عبد الله علام، **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر، 1971، ص.47.

ترعرع إبن تومرت محب للعلم وفصيحا في لسان العرب ومتقنا للأمازيغية، داريا بأصول الدين والفقه عالما بالشريعة[1]هذا ما جعله يقوم برحلته في طلب العلم فكانت بلاد الأندلس بداية رحلته [2]والمراكشي في كتابه المعجب الذي يعتبر من المصادر الموحدية الأصيلة، يروي تفاصيل مهمة عن تنقل الإمام ورحلته، حيث نجده يتعرض لدراسة المهدي بالمشرق، ويروى أن ابن تومرت قد رحل إلى المشرق سنة 501هـ في تحصيل العلم، لينتهي إلى مدينة بغداد، حيث أخذ أصول الدين والفقه على يد أبي بكر الشاشي، مشككا في دراسة ابن تومرت على يد الإمام أبي حامد الغزالي[3]

واستمر ابن تومرت في تنقله بين المدن، واستمر في إلقاء لدروسه فيها، حتى عام 514 هـ[4] وكانت هذه المرحلة بمثابة إستكشاف، حيث إطلع على أحوال العالم الإسلامي آنذاك، ثم عاد راجعا إلى المغرب ،مارا بطرابلس ثم المهدية ثم تونس، وكان يقيم بكل مدينة مدة، حيث يقوم أثناءها بالتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5]

وكان المهدي يحس أنه صار الشخص المؤهل لرسالة الإصلاح الديني، وقد جسد ذلك أثناء مروره بمدن المغرب الإسلامي، كبجاية وتلمسان، محاولا إصلاح العادات

---

[1] إبن الأثير عز الدين ،**الكامل في التاريخ** ،دار صادر، بيروت، 1966 ،ص. 569.

[2] رشيد بورويبة ، **إبن تومرت** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دون ط ، 1982 ، ص. 21 .

[3] عبد الواحد المراكشي ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ،محمد العربي العلمي ، ص. 129 .

[4] على محمد الصلابي، **دولة الموحدين** ،مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت ،لبنان، ط 1، 1429 هـ /2009 م ،ص.1.

[5] المراكشي ، المصدر السابق ص. 129.

الأخلاقية، باذلا جهده لتغيير مظاهر الترف والإنحلال الخلقي [1] ويبدو أنه قد بدأت تميل له قلوب الناس، وبدأت آراءه تصل إلى نفوسهم[2]

ب / لقاء عبد المؤمن بن علي[3] بالمهدي بن تومرت:

وصل ابن تومرت إلى مكانة رفيعة بين أنصاره، جعلته يتخذ لقب الإمام المهدي المعصوم لقوله " لا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل [4]،لكن القدر شاء أن يلتقي عبد المؤمن صحبة عم له يسمى ' يعلو' يقصد السفر إلى المشرق، ولما وصلا إلى بجاية نزلا في مسجد الريحانة[5] ،سمع الناس يقولون: سيروا بنا نحو الفقيه، ولما سأل عنه قيل قيل له : أنه السوسي عالم المشرق والمغرب وليس كمثله أحد من الناس، وقد سمي ابن تومرت بالسوسي بعد عودته من المشرق، وكانت ملالة هي البلدة التي لجأ إليها ابن تومرت بعد أن طرد من بجاية ، وهناك إنضم عبد المؤمن بن علي لدرس المهدي وأقنع المهدي عبد المؤمن بأن العلم الذي يريد إقتباسه من المشرق قد وجده بالمغرب [6]

---

[1] روجي لوتورنو،**حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** ،ترجمة أمين الطيي، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،تونس ، 1982 ، ص. 17.

[2] عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت** ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ن د. ط.، د ت ، ص. 91 .

[3] عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن ،ينتهي نسبه إلى قيس بن عيلان ،بن مصر، كنيته أو محمد ،ولد آخر سنة 487 هـــ ،1094 م أيام يوسف الأمير المرابطي بقرية تدعى تاجرا بالقرب من مدينة ندرومة ،على بعد ثلاثة أميال من مرسى هنين ،راجع المراكشي،م س، ص194، صالح بن قرية ،**عبد المؤمن بن على موحد بلاد المغرب** ،وزارة الثقافة ، د ط ، 2007، ص. 11.

[4] محمد بن تومرت،**أعز ما يطلب** ،تح وتع عبد الغني أبو العزم،مؤسسة الغني للنشر،الرباط، د ط ، 1997، ص. 97.

[5] ـــ صالح بن قرية ،**عبد المؤمن بن على موحد بلاد المغرب**، وزارة الثقافة ،منشورات الجزائر عاصمة الثقافة الاسلامية ،الجزائر، د ط ، 2007 ، ص. 16.

[6] ـــ المراكشي، المصدر السابق ص. 128 .

ويروي إبن خلدون سبب خروج إبن تومرت من بجاية وحادثة لقاءه بعبد المؤمن فيقول: "**ولما دخل إبن تومرت بجاية وبها يومئذ العزيز إبن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة فأغلظ له ولأتباعه في النكير لإرتكابهم المنكر ،وتعرض يوما لتغير بعض المنكرات في الطريق فوقعت بسببها هيعة أنكرها السلطان والخاصة وائتمروا به فخرج منها ولحق بملالة ...وهناك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي**"(كان المهدي يسمي أصحابه صحابة تيمنا بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم)[1]

وهناك بعض الروايات التي تبقى إلى حد ما أسطورية، تذكر أن إبن تومرت كان يبحث عن عبد المؤمن لعلمه المسبق بأن رجلا هذه صفته، وهذا إسمه ونسبه، سيقوم بهذا الأمر الذي فيه حياة الدين، وهو ما استوحاه واستكشفه من خط الرمل،لأن المهدي كان أوحد زمانه في هذا العلم حسب المراكشي، كما وجده في كتاب الجفر الذي أتى به من المشرق [2] وكان ابن تومرت يقول لأصحابه: "**صاحبكم هذا غلاب الدول**"، لأنه كان يعمل على أن يكون عبد المؤمن صورة حقيقية له ولذلك أعده ودربه ليكون قائدا وزعيما وأمر أتباعه بطاعته في كل ما يقول[3]

وبدأت الدعوة الموحدية تظهر في ثوبها العسكري، بعد أن رأى المهدي بن تومرت أن القضاء على حكم ودولة المرابطين صار ضرورة دينية، وأن دولتهم بدعة وخروج عن الدين ،فأمر على جيش الموحدين عبد المؤمن بن علي، ومن يومئذ إستحق إسم أمير المؤمنين [4]

---

[1] ـــ إبن خلدون(عبد الرحمن)،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** ،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،لبنان، 1971 م، ص. 233 .

[2] ـــ عبد المجيد النجار ،المرجع السابق ،ص. 132.

[3] ـــ على محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص. 94 .

[4] ـــ المراكشي ،**المعجب** ، ص. 128 .

ج / مذهب ابن تومرت :

تعتبر شخصية المهدي بن تومرت من أكثر الشخصيات التي أثارت نقاشا، وكتب عن هذا الرجل الكثير، سواء من المستشرقين[1]، أو من العرب، كونه أحدث مذهبا جديدا جمع من التناقضات العجيبة، حيث إقتبس مذاهب عديدة ومتباعدة ومتعارضة بشكل تلفيقي وتعسفي أحايين كثيرة[2] يختلف عن منهج المرابطين، فلا أصول للعقيدة عنده غير القرآن والحديث وإجماع الصحابة، ولُب العقيدة في تصوره وحدة الله المطلقة، وعلى أساس التوحيد سمى أتباعه الموحدين[3]

يصفه ابن ابي زرع بقوله"كان بن تومرت ذا سياسة ودهاء ومكر، وناموس عظيم، وكان مع ذلك عالما فقيها راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ضابطا له، عارفا بالأصول، عالما في علم الاعتقاد والجدال..." [4] ووصف المراكشي مذهبه " **وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق الُمعتزلة في نفيها، وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يُ بطن شيئا من التشيع، غير أنه لم يُ ظهر منه شيئا للعامة"**[5]

---

[1] مثلا: , Brunschvig Robert **; la doctrine du mahdi ibn Tumart** , Arabica , 1955 , Urvoy Dominique , **les divergences theologique entre Ibn Toumart et gazali** , in melange offerts a Mohammed talbi a l’occasion de son 70 anniversaire , publication de facultè des L de manouba, 1993.

[2] ـــالحسين اسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي** ، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، الرباط، ط1، 2010، ص. 56.

[3] ـــ الفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح الى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص. 24.

[4] ـــابن أبي زرع الفاسي، م س ، ص. 127.

[5] ـــالمراكشي، م س ، ص 162.

والواقع أن تعدد الشخصيات وكذا المناهج والمدارس التي درس فيها ابن تومرت كالظاهرية في الأندلس، والمالكية بالإسكندرية، والشافعية ببغداد، وعقدية أشعرية جوينية ثم أشعرية غزالية، ثم أصولية متفتحة على الفلسفة، فصوفية، إضافة الى لقاءات بأعلام من الشيعة الإمامية والإسماعيلية[1] قد اكسبه معرفة واسعة بواقع المسلمين، وإدراكا شاملا بالعيوب والانحرافات التي يعيشها العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.

وقد أدرك أن الدول تتعاقب إنطلاقا من وجهة مذهبية عقدية او فقهية محددة، فأراد بمذهبه أن يتوسط المذاهب مع عدم التفريط عندما يقتبس من الباطنية والظاهرية، أو من المالكية والشافعية والحنبلية[2]

لذلك استعمل ابن تومرت الإمامة[3] والعصمة[4]والمهدية[5] وكان يهدف من وراء كل هذا، "**ليس التأصيل للمذهب الشيعي في أرض المغرب الإسلامي**، بل كان هدفه الأسمى هو جعلها أداة طيعة في يده، تكفل له الممارسة السياسية لمواجهة السلطة

---

[1] ـــ بوبة مجاني وآخرون، **التيارات السياسية والدينية في الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007، ص. 259.

[2] . نفسه، ص. 260.

[3] ـــ **الإمامة**: تعني القدوة والقيادة، والإمام هو من يتولى الإمامة، وتاريخيا ارتبط هذا اللقب على الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، وقد تناول ابن تومرت بالتفصيل الإمامة وشروطها في كتابه"أعزُ ما يُطلب"، وأوجب على أتباعه السمع والطاعة والإمتثال لأمر الإمام في القليل والكثير، أنظر، ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، ص. 244 وما بعدها.

[4] ـــ **العصمة**: استوجب ابن تومرت على الإمام أن يكون معصوما من الخطأ، والشيعة الفرقة الوحيدة التي تُثبت العصمة للأئمة، بخلاف أهل السُنة الذين يًثبتونها للأنبياء فقط .

[5] ـــ **المهدية**: تعني انتظار الإمام المخلص الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت جورا، ويرى الشيعة فيها من الضروريات المذهبية، يجب على المؤمن الإعتقاد بها، ويقول ابن تومرت عن المهدي"**المهدي معلوم عند العرب**...**والإيمان به واجب، ومن شك فيه كافر**، أنظر حول تفاصيل الموضوع، عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص. 240.

المرابطية،وأن يؤثر في الناس ويُقنعهم أنه الإمام الحق، الذي سيعيدُ للإسلام عزه ومجده، وأما الاسلوب لتحقيق ذلك فهو أسلوب تومرتي متميز، قائم على الدعوة لنُصرة نفسه كإمام مهدي ينبغي التسليم له، والإنقياد لحُكمه، ظهر ليُخلص الدين من الإبتداع، وربما لخص ابن خلدون ذلك حين قال"**لم يحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان يوافق الشيعة في الإمامة، في القول بالإمام المعصوم**[1] وسواء كان ابن خلدون على حق أم لا، فالحقيقة أن ابن تومرت قد نجح في تحقيق أهدافه خلال وقت سريع، سيكون له أثر في المستقبل.

ونُشير أن عموم المشارقة لم يكونوا مرتاحين للظاهرة التومرتية إن صح القول، من الناحية السياسية على الأقل، ومردُ ذلك أن الموحدين كانوا يهدفون إلى إقامة خلافة غير مشرقية، بل وغير عربية، رغم ان المهدي نسب نفسه الى آل البيت، وقد أصدر ابن تيمية(ت728هـ) فيما بعد فتوى ضد عقيدة المهدي بن تومرت، واعتبرُه من الفئة الضالة، الذين يجعلون الله مطلقا في ذهن الناس، مثله كمثل الرافضة القرامطة الباطنية[2]

2 ـ عبد المؤمن بن على وقيام الدولة الموحدية:

بعد أن أخذ عبد المؤمن إذن شيخه المهدي ،كان من أولى إهتماماته القضاء على دولة المرابطين وضم بلاد المغرب الأوسط والأدنى ليصير المغرب كله تحت حكم الموحدين[3] فعمل على كسب القبائل من جهة، ومن جهة ثانية إرغام القبائل التي

---

[1] ابن خلدون، العبر ، ج6، ص. 322.

[2] حسن حافظي علوي، **الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص. 191-192.

[3] صالح بن قرية ، المرجع السابق ، ص. 27 .

رفضت دعوة الموحدين بالقوة،على غرار ما فعله مع قبيلتي هزرجة ومسكورة [1] وقبيلة صنهاجة وحاحة ،وقد حوصر الموحدون في هذه الأخيرة مدة سبعين يوما من طرف المرابطين الذين كانوا تحت قيادة الأمير تاشفين والي الأندلس ما بين (531-532 هـ / 1137-1138م) والذي حضر إستجابة لدعوة أبيه ،إثر تفاقم هجمات الموحدين ومعه فرقة من النصارى المرتزقة، بقيادة الأبرتير، وإستطاع الموحدون إنهاء الحصار،وقد جرح الأبرتير جروحا بليغة [2] وحاول عبد المؤمن ضم العرب الهلالية لكنه يجد الحماس منهم ،فأخذ منهم ألفا من كل قبيلة ونقلهم إلى المغرب لإضعاف شوكتهم في أفريقية وللإستعانة بهم في حروبه ضد الفرنجة في بلاد الأندلس[3] وبعد أن سيطر عبد المؤمن على منطقة جبال الأطلس دخل في الحروب الكبرى ،لتبرز فيها البراعة السياسية له، إستعمل فيها طريقة التدويخ وطريقة النفس الطويل التي ساهمت في القضاء على دولة المرابطين .

أ/ معركة البحيرة ووفاة المهدي بن تومرت :

بعد أن خضع كل الجبل للموحدين وأطمأن جانبهم فيه، قرر المهدي إرسال قواتهم لغزو المرابطين في عاصمتهم ،وأرسل إلى قبائل المصامدة الداخلية في دعوته وكذلك بعض القبائل الأخرى من غير المصامدة يستحثها للغزوة الكبرى في جهاد المرابطين . [4]

---

[1] إبن صاحب الصلاة ،**المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** السفر الثاني ،تحقيق عبد الهادي النازي ،دار الأندلس ، بيروت ، 1964 ، ص. 89 .

[2] البيذق ، المصدر السابق ص. 72 .

[3] ـــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ص. 31 .

[4] ـــ عقيلة الغناي ، **قيام دولة الموحدين** ،منشورات جامعة قار يونس بنغازي ، ط 2 ، 2008 ، ص. 256 .

فخرج جيش الموحدين إلى مدينة مراكش في أربعين ألفا فوصلوا إلى موضع إسمه" **البحيرة** " يقع في ظاهر مراكش، بقيادة محمد البشير، فخرجت إليهم جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن على بن يوسف من باب إيلان، واشتبك الجيشان في معركة عنيفة إنتهت بهزيمة الموحدين، ومهما يكن من أمر ، فإن معركة " البحيرة "تعتبر أعنف المعارك التي وقعت بين المرابطين والموحدين في حياة المهدي.

وتعتبر هذه المعركة أعظم موقعة خسر فيها الموحدون ،حيث قتل عدد كبير، ونجا عبد المؤمن بن علي[1] ضمن مجموعة كبيرة من المفقودين، وقد أصيب بجرح عميق في رجله اليمنى، فلما وصل الخبر إلى المهدي قال : أليس قد نجا عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم ،قال : لم يفقد أحد[2]

ومن أهم الشخصيات الذين خسرهم عبد المؤمن في المعركة: أبو عبد الله الونشريس وسليمان آحضرى وقائد جيشهم محمد البشير[3]

بعدها إشتد المرض بالمهدي فأمر الموحدين أن يجتمعوا فحضروا كلهم ،ثم وعظ الناس حتى أضحى النهار،ثم قال:"إعرفوني وحققوني،أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا" فضج الناس بالبكاء،وقالوا له: إن كنت تسير إلى الشرق معك،فقال: "ليس هذا السفر يسافره معي أحد إنما هو لي وحدي " **ثم دخل ولم يره أحد بعدها** [4]،فرأى رفاقه المقربون من أهل العشرة إخفاء موته على الأتباع،وتدبير شؤون الدولة بإسمه ريثما تسمح الظروف لحل مشكل خلافته ،لذلك مرت بيعة عبد المؤمن بمرحلتين:

[1] ـــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ص. 27-28 .

[2] ـــ المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 113.

[3] ـــ عبد الواحد المراكشي ، نفسه ، ص 196

[4] ـــ البيذق ، المرجع السابق ص. 62.

الخاصة أو السرية تمت بعد وفاة المهدي،بايعه فيها الخاصة وظلت سرية ثلاث سنوات (524-527هـ) (1130-1132م).

والبيعة العلنية من طرف أهل العشرة والخمسين وعامة الموحدين [1] ليقود المرحلة الثانية في الصراع بين المرابطين وبين الموحدين التي إنتهت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين .[2]

ب / فتح تلمسان ووهران [3] :

في سنة 535هـ خرج عبد المؤمن في جيش ضخم غازيا بلاد المغرب الأوسط فأطاعته بلاد غمارة وهي من بطون صنهاجة[4] وفي أثناء هذه الغزوة توفي أمير المرابطين " علي بن يوسف " سنة 537هـ ،فخلفه إبنه تاشفين ووقع خلاف بين لمتوتة ومسوفة من قبائل المرابطين [5]،فأنظمت مسوفة إلى الموحدين ،ثم حاصر عبد المؤمن مدينة سبتة ولكنها إمتنعت عليه فأضطر إلى مغادرتها، وواصل زحفه شرقا إلى جبال غياثة وبطوية

---

[1] ـــ عبد الحميد حاجيات، **عبد المؤمن بن على مؤسس الدولة الموحدية** ،مجلة الأصالة ،عدد 64 مارس 1978، الجزائر ، ص. 27 .

[2] ـــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ص. 29 .

[3] ـــ **تلمسان** : مدينة قديمة ،لها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وهي قفل بلاد المغرب ،وهي على رصيف للداخل والخارج ،**ووهران:** مدينة عظيمة في المغرب الأوسط بها أسواق وصنائع وتجارة نافقة ،وهي تقابل المرية من ساحل الأندلس ،بين وهران وتلمسان مرحلتان ،عن المدينتين ،أنظر الإدريسي، ص 105 ، ياقوت الحموى ، **معجم البلدان** ، .....ص. 37.

[4] ـــ البيذق ، المصدر السابق ن ص 78 .

[5] ـــ الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ناضور، المكتبة العتيقة ،تونس، 1966 ، ص. 5 .

فاقتحمهما، وبعد إنتقال عبد المؤمن إلى تاجرا مسقط رأسه دخلت قبائل المغرب الأوسط تحت لواء الدولة الموحدية [1]

وقد غادر الموحدون تاجرا نحو تلمسان وفي ذلك طلب تاشفين الحشود من كل جهة ،فوصلت من سجلماسة والأندلس بقيادة إبراهيم ولده ونزلوا بالصخرتين ،وهي " تل يشرف على المدينة من ناحية الجنوب، واستمرت المناوشات على مدى شهرين، ولما أدرك تاشفين خطورة موقفه بعد إنهزام أولى حشوده، غادر محلته بتلمسان متوجها نحو وهران ناويا الفرار إلى الأندلس، فسمع به الموحدون ،فتعقبوه فهوى به فرسه من حافة الجبل ومات في 27 رمضان 539 هـ[2]

وعلى إثر مقتل تاشفين ،إقتحم القائد الموحدي الشيخ أبو حفص بقواته إلى وهران وقتل من المرابطين الكثير، وقد كانت مذابح وهران من أفضع المظاهر التي أظهرت سياسة الموحدين ضد المرابطين[3] وعند وصول خبر مصرع تاشفين إلى تلمسان ،أسرع أهلها بالفرار وطلبت جماعة منهم الأمان غير أن الموحدين لقوهم وقتلوهم عن آخرهم، ودخل الموحدون تلمسان بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 540 هـ / 1145م ، وبوفاة تاشفين ينتهي الدور السياسي للمرابطين [4]

ج / فتح بجاية :

[1] ــ إبن خلدون ، العبر ،ج6، ص. 67 .

[2] ــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ، ص. 28.

[3] ــ البيذق ، المصدر السابق ، ص. 85.

[4] ــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ، ص. 30 .

كان هناك عدة إعتبارات أوجبت على عبد المؤمن بن علي أن يضم مملكة بني حماد الزيريين الصنهاجيين إلى ملكه، أولئك الذين أسسوا مدينة "بجاية" في سنة 457هـ / 1065م وأتخذوها حاضرة لملكهم [1]

وقد أحاط عبد المؤمن حملته إلى بجاية بالسرية التامة، ولكي يضلل أعداءه فيما يتجه إليه، أذن للوفود الأندلسية التي استأذنت للقائه بمدينة " سلا " ثم أخذ يزود هذه النفوذ بالنصائح، وبعد أيام معدودة إتجه إلى مدينة سبتة ،ولكنه إتجه بجيشه فجأة نحو الشرق وسار مسرعا نحو بجاية[2] فأخرج يحي بن العزيز أخاه **سبع** للقاء جيوش عبد المؤمن، فأنهزم هزيمة كبيرة ،ودخل الموحدون بجاية ولما رأى يحي ألا طاقة له بمحاربة عبد المؤمن،هرب في البحر إلى صقلية ناويا الإنتقال منها إلى بغداد، وحمل معه ما استطاع من الذخائر[3]، ولكن قبيلة صنهاجة الكبرى، عز عليها أن تسقط مملكة الحماديين في يد عبد المؤمن ببجاية، ولكن خابت آمالهم ،إذ إلتقوا بهم بجيش بقيادة "**أبي سعيد يخلف**" فأنهزمت صنهاجة وحلفاؤها،ولما إستقرت أمور بجاية، عين عبد المؤمن إبنه **'عبد الله'** واليا عليها ثم رجع إلى مراكش[4] .

د/ الأندلس :

نتيجة تقهقر وضعف الدولة المرابطية وانشغالها بحرب الموحدين في المغرب إستغل حكام الأندلس الفرصة، وأعلنوا أنفسهم حكاما مستبدين في منطقتهم، لتكون هذه فترة إنتقال من حكم المرابطين إلى حكم الموحدين التي تبدأ من 539هـ / 1144م

---

[1] ــ البيذق ، المصدر السابق ، ص. 105.

[2] ــ عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص. 202 .

[3] ــ على محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص. 110.

[4] ــ عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص. 204.

إلى 552هـ/ 1157م [1]، ووجه عبد المؤمن نظره إلى الأندلس ،فقد إنتهز أهلها فرصة ضعف تاشفين بن علي وتوالي الهزائم عليه في المغرب على أيدي الموحدين ،وتعتبر **ثورة بن قس الصوفي** من أهم الثورات التي قامت في الأندلس ،فلما إستولى "أبو محمد سدارى" على مرتلة أجاز ابن قس إلى عبد المؤمن بمراكش سنة 541هـ ورغب عبد المؤمن في إمتلاك الأندلس، فسير معه جيشا بقيادة "براز بن محمد المسوفي في شعبان سنة 541هـ [2] وانضمت تحت لوائهم العديد من المناطق غير أن تلك المدن سرعان ما نكثت طاعة الموحدين ،فأضطر إلى إرسال جيش ضخم بقيادة يوسف بن سليمان الذي نزل بإشبيلية، التي إتخذها الموحدون حاضرة لهم في الأندلس بعد مبايعتهم لعبد المؤمن، وتغلب الموحدون على غرناطة سنة 549هـ/ 1154م، فتوطد نفوذهم في الجنوب كما سقطت المرية في أيديهم سنة 552هـ / 1156م[3]

هـ / المغـرب الأدنـى :

بينما كان يسير عبد المؤمن إلى مراكش بلغه وهو في متيجة خبر قيام عرب الأثيج ورياح وزغبة في سطيف على إبنه عبد الله، وعزمهم على إعادة دولة بني حماد، فأرسل مددا [4] ونشبت معركة عنيفة نتج عنها خضوع هؤلاء الأعراب للموحدين، واتخذوا كجنود لنشر الدعوة الموحدية ،وكانت بداية العمل في المغرب الأدنى بتونس[5] التي كانت تحت حكم بني فرسان [6] وفي الفاتح من شوال 553هـ/ 1158م غادر عبد المؤمن

---

[1] ــ حسن مؤنس ،**معالم تاريخ المغرب والأندلس** ،مطابع المستقبل ،مصر، ط 1، 1980، ص. 189 .

[2] ــ صالح بن قرية ، المرجع السابق ، ص. 45 .

[3] ــ إبن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص. 221 .

[4] ــ صالح بن قرية ،المرجع السابق ، ص 45 .

[5] ــ **تونس**: مدينة قديمة أزلية حصينة ،إسمها في التواريخ طرطيش ،ولما إفتتحها المسلمون سموها تونس وأحدثوا البناء بمالها ،أبواب ثلاثة ،راجع الإدريسي ص. 147 .

[6] ــ المراكشي المصدر السابق ، ص. 228.

المؤمن مدينة مراكش ،بعد أن تولاها إبنه الأمير علي وأبو حفص عمر بن يحي الهتتاني، ووصل بجيوش جرارة وإفتتحها بالقوة بعد أن فشل إبنه عبد الله في تحقيق ذلك سابقا، وعرض على اليهود النصارى الإسلام أو القتل ،ثم غادر عبد المؤمن تونس متجها إلى المهدية [1] بعد إستنجاد أهلها بعبد المؤمن، وقد ملكها الفرنج من صاحبها الحسن بن علي، وقد إجتمع لعبد المؤمن مئة ألف مقاتل، ودخل عبد المؤمن المهدية يوم عاشوراء سنة 555هـ/ 1160م والتي تعرف في تاريخ المغرب بسنة الأخماس، وهي سنة توحيد المغرب كله من المحيط الأطلسي إلى قفصة، تحت لواء واحد إضافة إلى طرابلس، وهو حدث حاسم لتخليد ذكرى عبد المؤمن بن علي، خاصة وأنه عبر في نفس السنة للأندلس[2]

3/ الدولة الموحدية بعد عبد المؤمن بن علي:

بعد وفاة عبد المؤمن بن علي، تولى أمر الموحدين إبنه يوسف أبو يعقوب بن عبد المؤمن بن علي[3]، لقب بلقب الأمير، وانصرف من سلا إلى مراكش، فملك دار الخلافة وقد قال فيه الشاعر محمد بن حربون :

هو إبن أمير المؤمنين وشبهه وحسبك من فرع وحسبك من بحر[4]

---

[1] ــ صالح بن قرية ، المرجع نفسه، ص.46 .

[2] ــ حسن مؤنس ،المرجع السابق ، ص.190 .

[3] ــ إبن أبي زرع الفاسي،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،باريس ،1860،ص. 30 .

[4] ــ إبن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، ج 3 نشره ليفي بروفنال ،باريس، 1930، ص. 22.

إستقدم علماء الأقطار ومن جملتهتم أبو الوليد بن رشد وغيره ،وهو باني مسجد إشبيلية ، له فتوحات كثيرة إنتهى بها إلى مدينة **شنترين** غربي جزيرة الأندلس، حيث أصيب بجراح هناك ومات .

ثم تولى بعده أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف (580هـ/ 595هـ/ 1184م–1198م) بويع له بعهد أبيه[1] ولقب بالمنصور ،كانت خلافته 14 سنة و11 شهرا إفتتح شلب بالأندلس،واشتهر بموقعة الأرك الشهيرة [2]وقد غنم بعد هذه المعركة غنائم كثيرة وأسر عشرات الألوف من الأسرى ،وقد عاصر المنصور صلاح الدين الأيوبي الذي أرسل له رسالة سنة 580هـ ،يستنجده فيها على الصليبيين الخارجين عليه بساحل البلاد الشامية[3] ، وهو شيئ إنما يدل على عظمة الدولة في عهد المنصور، ولما بدأه مرض موته ،أخذ البيعة لإبنه الناصر.

وكان له حدس كبير حيث يُـنسب له أنه "**ندم على ثلاث مسائل، منها إدخاله عرب إفريقية للمغرب وهم أهل فساد....**" بعد أن إستطاع أن ينشر سلطان الموحدين الكامل ليس على الأندلس فحسب بل ومطاردة الأعداء التقليدين للدولة الموحدية [4]

وقد خلَف موت يعقوب المنصور فراغا كبيرا، خاصة وأن الفقهاء المالكية كانوا يخشونه ، ويهابون شخصيته القوية[5]حتى أنه شككٌ في عصمة المهدي بن تومرت، وكان

---

[1] ــ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 307 .

[2] ــ مجهول ،**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ،حققه، سهيل زكار، عبد القادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة، المغرب ، ط 1 ، 1979 م ، ص. 418 .

[3] ــ محمد العروسي المطوي ،**الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**،نشر الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1956م ، ص. 170 .

[4] ــ محمد الرشيد ملين ،**عصر المنصور الموحدي** ،مطبعة الشمال الإفريقي، د ت، ص. 76 .

[5] ــ عبد الهادي أحمد الحسين ، **مظاهر النهظة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي** ، اللجنة المشتركة لاحياء التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة ، مطابع الشويخ ، تطوان ، 1983، ص. 143

يقول أين الإمام بن الإمام، وهذا ما جعل ابنه المأمون فيما بعد (626هـ -630هـ) ينبذ دعوة المهدي بن تومرت نهائيا[1]، مما جعل الفقهاء المالكية يتنفسون الصعداء ، ويدعون للمذهب المالكي بكل راحة .

ثم تولى بعده محمد الناصر (595هـ- 610هـ/ 1198م– 1213م) وكانت الأحوال مضطربة في الأندلس بعد معركة الأرك وفي أواخر 607 هـ أعد الناصر أعظم جيش إسلامي لحرب نصارى الأندلس، يتألف من الموحدين المتطوعة وجنود أندلسيين وسائر قبائل البربر[2] وكان لهزيمة الناصر في موقعة العقاب المشؤومة (609هـ/1212م) هذه أثر كبير، حيث لم تكن سببا في تحطيم قوى الخليفة محمد الناصر فحسب، بل كانت إيذانا بإنتهاء دور العظمة،وبداية دور الضعف[3]بعد فترة القوة و التوازن الموحدي في مرحلة الخلفاء الأربعة الأوائل[4]

وكانت ضربة قاسية على الدولة الموحدية، سواء بالمغرب أو الأندلس، وبدأ كل شيء في التداعي والإنهيار .

بعد وفاة الناصر، تولى يوسف المنتصر أبو يعقوب (610هـ- 620هـ/ 1213م – 1223م): في مدته تهددت البلاد الأندلسية والإفريقية "**ولا حركة تذكر ولا غزوة**

---

[1] ــ أنظر ، ابن عذارى ، م س ، ج4 ، ص. 266، الحلل الموشية ، ص. 40.

[2] ــ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص. 279 ،إبراهيم حركات ،**المغرب عبر التاريخ** ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،ج1، 1984 ،ص. 283 .

[3] ــ يوسف أشباخ،**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ترجمة عبد عنان ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،ط 2 ، 1958 ، ص. 398 .

[4] ــ عبد الرحمن الجيلالي ، **تاريخ الجزائرالعام** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط 7، 1994 م ، ص.221.

تشهر،ولا خرج من حاضرة مراكش"[1] وكان غارقا في أمور هي أبعد ما تكون عن شؤون الحكم وإدارة الدولة وكانت وفاته في نهاية سنة 620 هـ .

بعد هذا التاريخ ،بدا إضطراب الدولة الموحدية، حيث تولى الحكم في مراكش أبو مالك عبد الواحد يوسف بن عبد المؤمن، ولكن بعد ثمانية أشهر وتسعة أيام [2] خلع من طرف الموحدين، وقتل، وبعثوا بيعتهم إلى العادل، صاحب مرسية، وهو أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور [3]

وهكذا بقي أمر خلفاء الموحدين في اضطراب وتنازع، في حين كان قد ظهر بنو مرين بالمغرب الأقصى، ينتقلون بين بسكرة وسلجسماسة بحثا عن الكلأ [4]وظروف الإستقرار .

ثم تولى المأمون بن المنصور، وأدعى الخلافة في إشبيلية وبايعه أهل الأندلس[5]ولكن المغاربة في مراكش لم يرضوا به، وبايعوا الناصر محمد بن يعقوب ولقبوه بالمعتصم[6] الذي سار إلى الأندلس لإخضاع عمه المأمون فأنهزم المعتصم وبهذا زاد المأمون الوضع إضطرابا في المغرب .

كما ترك الفرصة للإسبان في الأندلس[7] ولم يخلص له عرش البلاد حتى مات في في أواخر ذي الحجة 629هـ/ 1232م، وقد بايع أصحاب المأمون ولده الصبي أبا

---

[1] ــ مجهول، **الحلل الموشية** ،ص 161 ، إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص. 154 .

[2] ــ إبن عذارى ،المصدر السابق، ص. 229 .

[3] ــ الزركشي، المصدر السابق، ص. 20 .

[4] ــ إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص. 287 .

[5] ــ المراكشي ، المصدر السابق، ص. 234.

[6] ــ نفسه ، ص. 235.

[7] ــ عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس،عصر المرابطين والموحدين**،دار العلوم للملايين ،بيروت،لبنان ،ط3، 1997 ، ص. 675 .

محمد ولقبوه بالرشيد، الذي مات غريقا في جمادى الأخيرة سنة 640هـ، وتولى العرش الموحدي بعد الرشيد أخوه السعيد أبو الحسن علي بن المأمون ، وتلقب بالمعتضد وفي عهده إستشرف بنو زيان أصحاب تلمسان، وقد قتل المعتضد في صفر 646هـ/ 1248م [1].

ثم تولى المرتضي أبو حفص بن إسحاق، ولكن العرش لم يخلص له، فقد خرج عليه أمير من أمراء الموحدين، إسمه أبو العلاء إدريس، ويعرف بأبي دبوس، وتلقب بالواثق وتحالف مع بني مرين ليعينوه على إستخلاص العرش[2]، وسلم لهم مراكش ثمنا لمعونتهم، وفر المرتضي، ومات قتيلا سنة 665هـ/ 1266م، وبقي الواثق أميرا لمدة ثلاث سنوات، ومات في محرم 668هـ/1269م، وبموته انتهى حكم الموحدين في آخر معاقلهم وهي العاصمة مراكش، ويبدأ حكم بني مرين في المغرب الأقصى، وكذا دولة بني الأحمر أصحاب غرناطة الذين غلبوا المتوكل على ما بيده من شرق الأندلس[3]حيث الأندلس[3]حيث انتهى حكمهم بها .

---

[1] ـــ المراكشي ، المصدر السابق ، ص. 334، إبن عذارى ، المصدر السابق ، ص. 299 .

[2] ـــ المراكشي ،نفسه ، ص. 336 .

[3] ـــ نفسه ، ص337،ابراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 390.

خلفاء الدولة الموحدية :

عبد المؤمن بن علي الكومي ....524 هـ / 1129م .

يوسف بن عبد المؤمن ....558 هـ / 1162 م .

أبو يوسف يعقوب المنصور..............................580 هـ / 1184 م .

محمد الناصر...595 هـ / 1198 م .

أبو يعقوب يوسف المنتصر..............................610 هـ / 1213 م .

عبد الواحد المخلوع....................................620 هـ / 1223 م .

أبو محمد عبد الله العادل...............................621 هـ / 1124 م .

يحي المعتصم ....624 هـ / 1226 م .

المأمون أبو العلاء ادريس ....626 هـ / 1228 م .

عبد الواحد الرشيد ....630 هـ / 1232 م .

أبو الحسن علي السعيد ....640 هـ / 1242 م .

أبو جعفر المرتضى ....646 هـ / 1248 م .

أبو دبوس الواثق ....665 هـ / 1266 م .

تولي بني مرين ....668 هـ / 1269 م .

الفصـــل الأول:

المهن والصنائع والحرف بين إشكالية المصطلح ومعايير التصنيف

تمهيد

1) تعريف المهن والصنائع والحرف .

2) الفرق بين المصطلحات .

3) نظرة الإسلام إلى العمل المهني .

4) تصنيف المهن والصنائع والحرف عند العلماء المسلمين .

أ/ تصنيف الشيباني .

ب/ تصنيف الخزاعي .

ج / تصنيف إخوان الصفا .

د/ تصنيف الفارابي .

هـ / تصنيف ابن خلدون .

و/ تصنيف الكتاني .

ز / تصنيف الأمير عبد القادر الجزائري .

5)التنظيم الحرفي في الغرب الإسلامي

تناول المؤرخون والفقهاء والفلاسفة وعلماء اللغة وعلماء الاجتماع موضوع المهن والصنائع والحرف، كل في مجال تخصصه، فكتبوا في ذلك المصنفات الكبيرة، والكتب الجليلة، بين شارح لمعناها في اللغة والاصطلاح وآخر مبينا فضائلها، وشروطها وخصائص مزاوليها ، ومصنفا لأنواعها ، ومدى التفاضل بينها، واختلفت النظرة بين الجيل والجيل، والرقعة والأخرى ، وكان لزاما على المؤرخ أن يستقصي جميعها، ويؤول مبهمها ويشرح غامضها وهنا مربط الفرس، وسنحاول في هذا الفصل تتبع مصطلحات المهن والصنائع والحرف، لغة واصطلاحا وفقها وتاريخا واجتماعا، معرجين على الفروق اللغوية والإصطلاحية، بحكم الاختلاف الواضح بينها، وعلى أهم التصنيفات التي أتيحت لنا من خلال ما وصل من مصنفات الأوائل والأواخر حتى يتسنى أخذ صورة متكاملة عن الموضوع، وإن كنا ندرك تمام الإدراك ان هذه التعريفات والتصنيفات لا تتعدى ان تكون اجتهادات من أفاضل العلماء، ومسألة الإصابة فيها تبقى نسبية وغير دقيقة، كما نتعرف على التنظيمات الحرفية في الغرب الاسلامي عموما، وكيف انتقلت من بلاد المشرق، وخصوصياتها، وكيف أفادت أصحاب الحرف والصنائع والمهن من الناحية التنظيمية.

1) تعريف المهن والصنائع والحرف:

يـ عرّف الإصطلاح بأنه الإتفاق على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضوعه الأول[1] أو هو ما تواضع عليه أهل علم معين ليصبح دالا على شيء بعينه، ولهذا تختلف المصطلحات باختلاف مجالات المعرفة، وفي الاقتصاد الإسلامي تبرز ألفاظ ذات اصطلاحات دلالية متقاربة تندرج ضمن المصطلحات الإقتصادية الإسلامية [2] وسنستقصي التعاريف اللغوية لمصطلحات متقاربة: المهنة ، الصنعة، الحرفة .

أ/ المهنة :

لغة من فعل مهن، يمهن، ومنها المهنة بكسر الميم و فتحها، و كله الحذق في الخدمة ونحوه، والماهن هو العبد، ويقال مهن الإبل أي خدمها أو حلبه[3]، وتقول العرب: خرقاء لا تحسن المهنة، أي لا تحسن الخدمة، وامتهنه أي استعمله للمهنة، أو احتقره، ومنها يمهن مهانة، أي كان مهينا والمهين الحقير[4]، ومنها قوله تعالى :﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[5].

ومن قول الصحابي الجليل سلمان الفارسي : أكره أن أجمع على ماهني مهنتين، أي أجمع على خادمي عملين، كالطحن والخبز مثلا[6]،وقامت المرأة بخدمة بيتها، أي بإصلاحه وتهذيبه، وفي صفة النبي ﷺ: ليس بالجافي ولا المهين، ورويت بالضم ، أي

---

[1] ينظر، محمد عبد الرؤوف المناوي ، **التعاريف** ، تح محمد رضوان الدية ، دار الفكر المعاصر ،لبنان، ط1 ،1410هـ ، ص. 68 .

[2] عبد الرزاق ورقية، **التطور المصطلحي في الإقتصاد الإسلامي** ، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس، عدد 2010 ، ص. 561 .

[3] ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة مهن ، ج9،ص. 119 .

[4] محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين** ، دار الفكر ، بيروت ، مادة مهن .

[5] سورة الزخرف، الآية 52 .

[6] ابن منظور ، نفسه ، ص. 241 .

من الإهانة، ومعناها لا يهين أحدا، ورويت بالفتح، أي من المهانة، أي الحقارة والصغر، ووردت معاني اخرى في قوله عز وجل :﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴾[1]، والمهين هنا الفاجر، وقوله تعالى﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾[2] أي من ماء قليل ضعيف، والجمع مهناء أما الفعل مهن (بضم الهاء) مهانة، فمصدره المهانة، وطبعا له إشتقاقات كثيرة ذكرتها كتب المعاجم و اللغة .

ب / الصنعة :

لغة من الفعل صنع، يصنع، فهو مصنوع، والجمع صنائع،ومفردها صنعة وصنيعة، وهو ما اصطنع من خير أي عمل خير يقدم للآخرين[3]ويقول الله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾[4]، دليل على الصنعة،كأنه قال: صنع الله ذلك صنعا، واصطنعه، أي إتخذه، قال الله تعالى: "واصطنعتك لنفسي"، وتفسيره إخترتك، وجعلتك بيني وبين خلقي، وفي حديث آدم لموسى عليهما السلام: أنت كليم الله الذي اصطنعك لنفسه[5]، والإصطناع هو إفتعال من الصنيعة، ففي حديث زيد بن ثابت عن الرسول ﷺ قوله:قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم ... [6]، والصناعة حرفة الصانع، وعمله الصنعة، والصناعة، وصنع اليدين

---

(1) سورة القلم ، الآية 10 .

(2) سورة المرسلات، الآية 20 .

(3) بلال بن عبد الصابر ، **عناية الإسلام بالمهن والحرف**، مجلة المغرب، العدد 5، ص. 45 .

(4) سورة النمل ، الآية 88 .

(5) ورد هذا اللفظ عند ابن كثير اصطفاك أي اختارك، ابن كثير، **قصص الأنبياء**، دار الحديث، القاهرة : ط2،2002، ص. 31 .

(6) ابن أبي حمزة الأزدي، **مختصر صحيح البخاري**، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، السعودية، ص. 52 .

بكسر الصاد، أي صانع حاذق، وامرأة صناع اليد، أي ماهرة، والمصنعة والمصانع: الحصون، وتعني كذلك الآبار لقول الشاعر :

بلينا و ما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع.

ويقال أيضا للقصور مصانع، والصنع تعني السود، يقول الله تبارك وتعالى﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ** ﴾[1]، أي دروع من حديد، والصنيعة ما أعطيته وأسديته من معروف، لقول الشاعر

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً حتى يصاب بها طريق المصنع

ويقال: فلان صنيعة فلان، أي أدبه ورباه، وخرجه، وصانعه،و داراه وداهنه، والمصانعة أن تصنع له شيئا مقابل أن يصنع لك شيئا ، وهي مفاعلة من الصنع .

ويقال : صانع الوالي، أي رشاه، والمصانعة، تعني أحيانا الرشوة، ففي المثل السائر : من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة ، ويقال صانعت فلانا، أي رافقته ، وصانعه عن الشيء، أي خادعه[2]، أما الصنع فيعني الرزق، فيقال: صنع إليك معروفا، وهناك معاني كثيرة أوردتها المعاجم وكتب اللغة، ووردت في الشعر العربي، وربما انقطع معاني بعضها، ولم يُعــد مستعملا.

ج / الحرفة :

إسم من الإحتراف، ويعني الإكتساب، يقال:يحرف لعياله، ويحترف بدينار، والمحترف الصانع، والحرفة تعني الصناعة، وحرفة الرجل ضيعته، أو صنعته، واحترف

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية80 .

[2] مصطفى عبد الكريم الخطيب ، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص. 295 .

كسب الرزق، وطلب واحتال، وحريف الرجل معامله في حرفته[1]، وغالبا ما تستعمل في الأعمال اليدوية، سواء كانت بآلة أو بغير آلة، وتُطلق الحرفة على مجمل الخدمات المُقدمة من طرف الحرفي[2].

من ذلك ما ورد أن أبا بكر الصديق لما استخلف ـ وكان تاجرا ـ أراد أن يخرج لتجارته فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إلى أين؟ فقال: أحترف لأهلي، فقال عمر:ومن لمصالح المسلمين ؟ إرجع، ويصرف لك من بيت المال، فقال أبو بكر : لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي... ويحترف أبو بكر للمسلمين فيه[3].

والحرفي صاحب الحرفة، يسمى محترف، وحريف عميل،أو زبون،أو مشتري، وحريف بمعنى محب، وخليل، وتطلق الحرافة مجازا على الرائحة، وحراف ـ بتشديد الراء ـ تعني السارق، وحراف الغنم سارق الماشية[4].

2) الفرق بين المصطلحات[5] :

أول إشكالية تصادف الباحث في مجال الحرف والصنائع والمهن قضية الفروق الإصطلاحية التي لا يمكن الجزم فيها بقول فصل، والحق أنها مجرد اجتهادات من الباحث، ومن خلال البحث عن معاني المصطلحات:المهن والصنائع والحرف، يبدو بوضوح الإختلاف من حيث المدلول، ولو أنها تبدو للوهلة الأولى متطابقة، وهنا تبرز

---

[1] ابن منظور ، م س ، ص. 1002 .

[2] عبد اللطيف الخلابي ، **الحرف والصنائع وادوارها الإقتصادية** ...، ص. 8.

[3] ابن كثير ، م س ، ص. 244.

[4] رينهارت دوزي ، **تكملة المعاجم العربية** ، حرف الحاء ، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ط1 ، 1981، ج3 ، ص.1.

[5] نشير أن قضية الفروق هي عملية اجتهادية بحتة من الباحث ليسهل ترتيبها منهجيا، وقد نصادف في بحوث اخرى تصنيفات مغايرة تماما، ويبقى باب البحث في هذا مفتوحا لكل مهتم بهذا الموضوع.

إشكالية مصطلحية، أدت إلى بعض الباحثين بدعوة صريحة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الإقتصادي[1]، والخاص بالفترة الوسيطة، كوننا سنقع في ملابسات ومزالق ومتاهات ومفاهيم ومغالطات، وأفكار مشوشة أحيانا، تفرض علينا ضرورة ضبط المفاهيم، وجعلها في قالب مشترك ليكون مرجعية للبحث .

إن لفظة الصنعة مثلا، يرافقها غالبا ترتيب العمل، وإحكام على النحو الذي تعلمه حتى يصل إلى المقصود منه، ويلازمها إستعمال مادة أو نحوها، وتحويلها من شكل إلى شكل آخر أو قريب منه، قصد المنفعة[2]، فهي عملية جسمانية محسوسة تتطلب ملكة في أمر عملي فكري حسب رأي العلامة ابن خلدون[3]،وهي العمل المحول للمواد الأولية إلى أشكال جديدة[4]أو هي كل نشاط يتفاعل فيه الإنسان مع البيئة المحيطة ليطوعها لاحتياجاته، ويصنع منها عالم أشياءه، فالإبل يأخذ الإنسان من ألبانها ويصنع منه أنواعا من الأجبان والدهون[5] ويأخذ أوبارها ويصنع منها حاجات يستعملها في حياته ولباسه .

فمثلا يقال للنجار صانع، ولا يقال للتاجر صانع، لأن النجار قد سبق علمه بما يريد عمله، من سرير أو باب، ونحوه، وعارف بالأسباب التي تلقنها والتي توصله إلى مقصوده أما التاجر فلا يعلم إذا تاجر، هل يصل إلى ما يريد من ربح أم لا، كما أن الصنعة ترافقها الإجادة والإتقان، وهنا تتقاطع مع معنى الحرفة، لأن كل صنعة حرفة،

---

[1]إبراهيم القادري **بوتشيش، الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي للغرب الإسلامي، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي و الاجتماعي**، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2002، صص. 60-76.

[2] سلمان يوسف احمد، **الغاية من الوجود**، دار التوافق للنشر، تونس، 1980، ص22 .

[3] ابن خلدون ، **المقدمة**، صز 325.

[4]عبد اللطيف الخلابي ، م س ، ص. 8 .

[5]عمر بلبشير، **مساهمة في دراسة النشاط الصناعي والحرفي في المغرب الاسلامي من خلال النصوص النوازلية والجغرافية** ، مجلة الناصرية ، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ، معسكر العدد الرابع، جوان 2013،ص .287.

وليست كل حرفة صنعة، وكل صنعة عمل، وليس عمل صنعة، فيقال للحداد أتقن عمله لأن عمله صنعة، ولا يقال هذا للقاضي .

أما المهن، فلها جملة من الخصائص، قد لا نجدها في الحرفة والصنعة، أهمها أنها تحتاج في الغالب إلى إعداد علمي، ولها قوانين وآداب، تنظم وتحكم المهنة، كما أنه لكل مهنة معالم واضحة تميزها عن غيرها من المهن .

فالمؤذن مثلا صاحب مهنة، وليس صاحب صنعة ولا حرفة، ويحتاج في مهنته الى تكوين علمي ديني فقهي، حتى يكون أهلا لمهنته، رغم أن بعض المهن تدخل فيها شروط الصنعة وتتداخل معها، كالكاتب مثلا، يحتاج في مهنته إلى الإلمام بطريقة تثقيف قلمه، أو تعديل حبره، لذلك يقال أحيانا للكتابة صنعة[1] أو يُقصد براعته في التعبير مثلا.

كما أن مصطلح الصناعة الحائل على العمل المحول للمواد الاولية، ومصطلح الحرفة على الخدمات المقدمة، فالحدادة أنسب لها أن تُسمى صناعة، وإن كان من الممكن إطلاق الحرفة عليها، بينما يتلاءم عمل الحمال مع لفظ الحرفة فحسب[2]

كما تتميز الحرفة والصنعة بصفة الديمومة في الغالب، لأنهما تعطيان منتوجا ماديا[3], وهذا ما يتعامل معه علماء الآثار غالبا، عكس المهنة التي يغلب عليها التجريد إلا في القليل منها، لأن أصحاب الصنائع والحرف تركوا لنا مخلفات مادية، مازالت شاهدة إلى يومنا تشهد على حذقهم ومهاراتهم، من فخار، وخشب، وعملات نقدية، وبناءات وغيرها.

---

(1) ابن خلدون، م س ، ص. 397.

(2) عبد اللطيف الخلابي ، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية ...**، ص. 8.

(3) محمد عابد الجابري، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994، ص. 40.

ومن الإختلافات الواضحة بين هذه المصطلحات، التميز في الأجرة، فأصحاب المهن عموما لهم أجرة معينة، سواء يومية أو شهرية[1], أو حتى سنوية، فهي دورية منتظمة على خلاف أصحاب الصنائع والحرف, الذين يمكن حصر مرتباتهم حسب نشاطهم، أو حسب مبيعاتهم، أو حسب إتقانهم لعملهم، أو حسب مستوى الرواج في الأسواق إن كانوا أنفسهم يتولون مهمة البيع، وبالتالي فأرزاقهم تزيد وتنقص، وقد تنعدم أحيانا في حالة الكساد .

ويبرز للباحث في هذا المجال مصطلح آخر، وهو الصنف والأصناف، ويقصد به الدلالة على الجماعة الحرفية والمهنية في المجتمع الإسلامي، كما يشار إليهم بأصحاب المهن والحرف ، وأرباب المهن والحرف[2].

من هنا يتبين جليا أن لفظة الحرفة تقترب من الصنعة ، لاشتراكهما في الإجادة، والمادة التي هي أصل العمل، فصاحب الحرفة محترف صانع[3] وبالعودة إلى المصادر الوسيطة نجد إقتران لفظتي الصنائع والحرف في كثير من المواضع[4]، وهما دون شك يرتبطان بالطبقة العامة، أوالعوام، فأصحاب الصنائع والحرف هم من الطبقة المتوسطة، والضعيفة أحيانا، حتى وإن عاشوا في وضعيات مريحة حينا من الدهر[5]، عكس أصحاب المهن الذين هم مزيج من العامة والخاصة، لأن فيهم الوزراء والقضاة والكتاب والحجاب، وغيرهم، ونجدهم بتسميات أخرى،كأصحاب العمالات الشرعية،

---

(1) سلمان يوسف، مرجع سابق، ص. 39.

(2)حول الموضوع، ينظر صباح ابراهيم الشيخلي، **الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها**، نشر بيت الوراق، ط1 ، 2000.

(3) أعلنت مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض مؤخرا عن اقتناء النسخة الوحيدة من مخطوطة **بدائع أهل الشرف في آداب أهل الصنائع و الحرف**، لجلال الدين السيوطي،الذي حاول فيها استنطاق كل صاحب حرفة أو صنعة من خلال المفردات المستخدمة في صنعته، المخطوطة تقع في 7 أوراق، و لم تدخل في إطار المنفعة العامة بعد .

(4) دوزي، مرجع سابق ، ص. 134.

(5) إبراهيم القادري بوتشيش، **الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص. 175.

فهم غير أصحاب الحرف والصنائع حسب الخزاعي على سبيل المثال[1]، لذلك نجده يؤلف كتابا يسميه: "**الحرف والصنائع والعمالات الشرعية** ..." هذه الأخيرة تتم في الغالب بالتعيين، فهو يقصد الكتاب والقضاة والمؤذنين ونحوهم، عكس الصنائع والحرف التي يكون صاحبها رب العمل، أو شريكا، أو أجيرا، وهو المسؤول الأول والأخير عن صنعته أو حرفته.

وعموما تبقى هذه الإستنتاجات مجرد اجتهادات منطقية، قد نصيب في بعض منها وقد نجانب الصواب في بعضها الآخر، لكنها تبقى ضرورية من الناحية المنهجية لتحديد معايير التصنيف في الدراسة، وقد تظهر مستقبلا معايير أخرى، تعتمد على معطيات أخرى، وعلى معايير جديدة.

3) نظرة الإسلام إلى العمل:

ينظر الإسلام إلى العمل المهني بصفته قاعدة البناء في تطور المجتمع، كما أنه جوهر العبادة، ما دام في حدود الشرع، ومباح الأصل، نافعا غير ضار، كما كفل الشرع الإسلامي لجميع أفراد الأمة الذين يعيشون في كنف الدولة الحق في العمل، دونما تفرقة أو تمييز، فهو ليس مجرد حق وإنما هو فريضة من فرائضه[2]، يقول تعالى **﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾**[3]، وذكر الضرب الأرض في القرآن الكريم بمعنى السير فيها للتكسب لقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ

---

[1] انظر مبحث تصنيف الخزاعي.

[2] موفق طيب شريف، **الحق في العمل ومكانة الحرف والمهن في الإسلام** مجلة الناصرية، جامعة معسكر، العدد الرابع، 2013، ص. 18.

[3] سورة النحل ، الآية 97.

وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾﴾[1].

كما دلت آيات أُخر أن الأنبياء كانوا يعملون في عدد من الصناعات والحرف، كما نوهت في نفس الوقت بفضل الصناعات والحرف، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر :صناعة الحديد: في قوله تعالى﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]

صناعة الألبسة: ﴿ ٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[3]

صناعة السرابيل: في قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾[4]

صناعة السفن: قوله عز وجل ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[1]

---

(1) سورة المزمل ، الآية 20 .

(2) سورة سبأ ، الآية 10 .

(3) سورة النحل ، الآية 80 .

(4) سورة النحل ، الآية 81 .

والأمثلة كثيرة، حول صناعة البناء والصيد والزراعة، وغيرها، كما وردت أحاديث وآثار كثيرة تبين أن الأنبياء كانوا يعملون في الحرف والصناعات، فقد كان نوح عليه السلام نجارا، يأكل من كسبه، وإدريس عليه السلام نجارا، وإبراهيم عليه السلام بزازا[2]، كما اشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتجارة ، والرعي، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة قول نبينا صلى الله عليه وسلم: "**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، قالوا، وأنت يا رسول الله، قال عليه الصلاة والسلام: وأنا كنت أرعاها بقراريط لأهل مكة**"[3].

وحتى الصحابة الكرام كانوا أصحاب مهن وحرف، فمنهم الخياط واللحام والتاجر وغيرهم،اقتداء بقول النبي صلى الله عليه وسلم:"**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير من يسأل الناس أعطوه أو منعوه**"[4].

فعمل الإنسان في ظل الإسلام عبادة يثاب عليها، ومن ثمة الربط بين الدنيا والآخرة وهنا مكمن الاختلاف مع العقائد الأخرى[5]، كما أن نظرة بسيطة إلى السلف، وعلماء مسلمين نسبوا إلى حرفهم أو حرف آبائهم، تبين شرف المهنة والصنعة، فكان منهم الباقلاني نسبة إلى بيع الباقلاء، والتوحيدي نسبة إلى بيع التوحيد وهو نوع من التمر، والجصاص نسبة إلى العمل بالجص، والآجري إلى عمل الآجر، والصبان لعمل

---

(1) سورة هود ، الآية 37 .

(2) الشيباني محمد بن الحسن، **الإكتساب في الرزق المستطاب**، علق حواشيه محمود عرنوس، دار الكتب العليمة، بيروت، ط1، 1986، ص. 20.

(3) رواه البخاري، **كتاب الإجارة**، باب رعي الغنم على قراريط، رقم الحديث2143.

(4) صحيح مسلم واللفظ للبخاري، من **كتاب الزكاة**، رقم الحديث 641.

(5) أنيس الأبيض ، **بحوث في تاريخ الحضارة** ، جروس براس، طرابلس، ط1، 1994، ص. 136.

الصابون، وابن القطان، وابن الصواف، وابن صاحب الصلاة، وابن الزيات ، والفراء ... وغيرهم كثير في كتب التاريخ والتراث والأدب.

ويبقى الرابط بين كل هؤلاء أن عملهم كان مباح الأصل، ملتزما بالأخلاق، مراعيا للتخصص، ممزوجا بالإخلاص والإتقان، نافعا للأمة والمجتمع، مع عدالة ونصح ولين الجانب، هذه الضوابط التي أمر بها الإسلام الحنيف[1].

ولم تختلف نظرة العوام من أهل الغرب الاسلامي الى العمل والتكسب، وانعكست من خلال أمثالهم الشعبية المتداولة، حتى قالوا **"شرب الخل خير من العطالة"**[2]ونبذوا العطالة وذموا البطالين، كما أجمع أهل الرحلة والجغرافيون أن الأندلسيين **"صينيون في إتقان الصنائع وإحكام المهن"**[3] وببلاد المغرب قال البكري (ت487هـ) عن أهل السوس وأغمات "أنهم **أكثر الناس تكسبا، وأطلبهم للرزق، يكلفون نسائهم وصبيانهم التحرب والتكسب**"[4] والأمثلة من كتب التراث عن الموضوع تشذ عن الحصر.

4) تصنيف المهن والصنائع والحرف عند العلماء المسلمين:

وردت عدة تصنيفات للمهن والصنائع والحرف أو العمالات الشرعية، كما يسميها الأصوليون، وكل منها جعل أساسا معينا لتصنيفه، ولكنها اتفقت جميعها على التفاضل بين مختلف الصنائع، وفضل مزاوليها، وهو ما وجدناه في كثير من المصنفات النفيسة التي وصلتنا، والتي كُتب جلها في الفترة الوسيطة، واختلفت النظرة من مصنف لآخر،

---

[1] أم كلثوم بن يحي ، **نظرية العمل في الاسلام** ، مجلة الناصرية، العدد السابق، ص. 15.

[2] الزجالي ، **أمثال العوام** ، ج2 ، مثل رقم 1886، ص. 432.

[3] ابن غالب، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، نشرها وحققها لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج1، ج2، 1955، ص 282، ابراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات**...، ص86.

[4] البكري(أبو عبيد)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة ، د ت ، ص. 163.

ولكن مُحاولة جمعها والمُقارنة بين ما جاء فيها يُعد ضروريا جدا من الناحية المنهجية، وستفيدنا حتما في التفصيلات التي سنتناولها حول أهم الصنائع والحرف خلال العهد الموحدي، ومن أهم التصنيفات التي وقفنا عليها من كتب المؤرخين والفقهاء والفلاسفة والأصوليين نذكر على سبيل المثال:

أ/ تصنيف الشيباني[1]:

يعتبر كتاب الشيباني أول كتاب في الإقتصاد الإسلامي[2]، ونقصد كتابه الموسوم **الإكتساب في الرزق المستطاب**[3]، الذي وضح فيه أهمية الكسب، ومذاهب العلماء وأقوالهم حول الموضوع، ونجده يرد على من سماهم بأهل التقشف، ويقصد المتصوفة، وتطرق إلى مفهوم الفقر، ونظرة الإسلام إليه، وحول التسول وحكمه، والذي يهمنا في هذا المصدر الهام، تقسيمه لأنواع الكسب، وكذا المفاضلة بينها، إستدلالا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومذاهب العلماء .

يوضح الشيباني أولا أحقية الكسب ومشروعيته قائلا: **"ثم المذهب عند جمهور الفقهاء رحمهم الله من أهل السنة والجماعة أن الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة"**[4]،

---

[1] الشيباني : محمد بن الحسن أبو عبد الله بن فرقد 132- 189هـ، أصله من قرية حرستا بالعراق، نشأ بالكوفة وسمع من علمائها، كسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول، ذهب إلى المدينة وأخذ عن مالك وروى عنه الموطأ، واستقر به المقام مع شيخه أبي حنيفة، ويعود الفضل في استنباط الفروع و تهذيبها، ابن النديم، **الفهرست**، دار الكتاب، لبنان، ط3، 1999، ص. 492.

[2] حول هذا انظر احمد سلمان محمود، **الفكر الاقتصادي عند الامام محمد بن الحسن الشيباني**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.

[3] لخصه تلميذه محمد بن سماعه، علق حواشيه محمد عرنوس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

[4] الشيباني، م س، ص. 27.

وهو في هذا يرد على فرقة من الصوفية الذين يرون أن السعي للكسب ليس فرضا، ولكنه مباح[1].

ويقسم الشيباني المكاسب إلى أربعة أنواع أساسية وهي : الإجارة _ التجارة _ الزراعة _ الصناعة ، فيما يفصل في آراء من أقروا أن الزراعة مذمومة[2]، لما روي عن النبي ﷺ أنه رأى شيئا من آلات الحراثة في دار قوم، فقال: ما دخل هذا بيت إلا ذلوا، ويؤول الشيباني هذا وغيره من الآثار المروية، أن الناس كلهم إذا اشتغلوا بالزراعة وأعرضوا عن الجهاد طمع فيهم غيرهم[3] وبالتالي، إذا اشتغل البعض بالزراعة فلا حرج في ذلك، لأن في ذلك معونة للمجاهد، ثم بين الاختلاف الحاصل في التفاضل بين الزراعة والتجارة قائلا : "**واختلف مشائخنا رحمهم الله في التجارة والزراعة، قال بعضهم التجارة أفضل لقوله تعالى﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4]والضرب في الأرض التجارة التي قدمت على الجهاد الذي هو سنام الدين ، لذلك قال عمر بن الخطاب: لأن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض، أحب إلي أن أقاتل مجاهدا**"[5].

ويميل الإمام الشيباني أن أكثر المشايخ يفضلون الزراعة على التجارة، لأنها أعم نفعا، وبها يقيم المرء صلبه، ويتقوى على الطاعة، وبالتجارة لا يحصل ذلك[6] .

كما أن الصدقة تظهر في الزراعة أكثر من التجارة، لقول النبي ﷺ: ما غرس مسلم شجرة فيتناول منها إنسان أو دابة أو طير إلا كانت له صدقة[1].

---

[1] نفسه ، ص. 20.

[2] وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون فيما بعد حين أقر أن الصناعة لا تلعب دورا أساسيا في التطور الاقتصادي، وهي حسبه من معاش المستضعفين ، **المقدمة**، ص. 411.

[3] الشيباني ، م س، ص 41.

[4] سورة المزمل، الآية 20.

[5] الشيباني، م س، ص. 41.

[6] نفسه، ص. 41.

كما يشير الشيباني إلى نقطة هامة، وهي تأول بعض العلماء الضرب في الأرض أنه طلب العلم، ونجده يميل بدوره إلى هذا الرأي، وحسبه أفضل العمل طلب الحال، فبالعلم يتحرز المسلم من الربا، والعقود الفاسدة، ولو اشتغل جميع عمره بالعلم والتعليم، كان مفترضا في الكل[2]

كما يضع الشيباني شروطا واضحة للاشتغال بالعلم، أولها التعلم والاشتهار، وثانيها اعتماد النفس على أقوالهم، ومن أعرض عن التعليم وتوفرت فيه الشروط دخل في الكتمان الحرام[3]، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾[5].

وفي باب التجارة، يعطي المؤلف أدلة كثيرة على مشروعيتها، وهي عملية بيع وشراء بمقتضاها يتم الكسب[6]، ويرد على بعض جماعات الصوفية، ويصفهم بالحمقى، لأنهم يرون أن التجارة تنفي التوكل على الله، لقول الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ

---

[1] رواه البخاري عن أنس بن مالك، باب الحرث، ص. 232.

[2] الشيباني ، م س، ص. 41.

[3] نفسه ، ص. 44.

[4] سورة البقرة ، الآية 159.

[5] سورة آل عمران، الآية 187.

[6] الشيباني، ص. 23.

وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، بشرط أن تكون طيبة حلالا، بالتراضي بين الطرفين ، لقوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2]، وأن تكون سلعة حاضرة غير غائبة، ولا يجوز بحال من الأحوال ترك التجارة وشبهها بالنكاح، وطلب الولد وكذلك التجارة لطلب الرزق ويدخل في باب التجارة الكسب بالمداواة، وينبه لتحريم الخمر، مبينا ذلك بأدلة من الكتاب والسنة الشريفة ،وكذا المتاجرة فيه، لأنه من البيوع الفاسدة[3] .

ويخصص الشيباني بابا مهما للسؤال (التسول)، ويقر بأنه لو كان مندوبا لم يقل النبي ﷺ "**آخر كسب العبد**"، أي يبقى في ذلته إلى يوم القيامة، وقوله لحكيم بن حزام: مكسبة فيها نقص المرتبة خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك[4].

والصدقة معناها التطهير والتزكية، فالمعطي مطهر، والآخذ ملوث، وسمى النبي عليه السلام الصدقة أوساخ الناس، وقال: "**يا معشر بني هاشم إن الله تعالى كره لكم غسالة أيدي الناس**"، يعني الصدقة[5]ويوجه المؤلف الناس إلى التعفف عن السؤال والأخذ حتى عند الحاجة، لقوله تعالى﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا

---

[1] سورة البقرة ، الآية 275.

[2] سورة البقرة، الآية 282.

[3] الشيباني ، نفسه، ص. 45.

[4] الشيباني ، نفسه، ص, 40.

[5] نفسه، ص. 64.

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[1]

وعموما، صنف الشيباني سبل الرزق ورتبها، فجعل الزراعة خير الكسب ثم التجارة، ثم سائر الأعمال، من الإجارة والصناعة،ووضع فوق كل هذا الاشتغال بالعلم، لشرف منزلته، ووضع آخرها السؤال، لذلته ومهانته، ويمكن إعتبار تصنيفه رائدا في مجال تفاضل أنواع الكسب، وفقا لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه الكريم ﷺ وأقوال العلماء.

ب / تصنيف الخزاعي التلمساني[2] :

من خلال كتاب "**تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**[3] ـ وهو عبارة عن سفر كبير – يحاول من خلاله المؤلف التأصيل النبوي للحرف والصنائع، وقد استفاد استفادة عظيمة من توليه ديوان العسكر، و يظهر هذا جليا في ثنايا المصنف .

قَسم الخزاعي كتابه إلى عشرة أجزاء: ثمانية في العمالات الشرعية، وواحد في الحرف والصناعات،وباب ختامي، يقول الخزاعي أن ما دفعه لتأليف هذا الكتاب أن الكثير من القائمين على أعمال السلطنة وواجبات الإمارة، يظنون أن أعمالهم ليست من الشرع، أو لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ، أو زمن الخلفاء الراشدين، وهذا

---

[1] سورة البقرة، الآية 273.

[2] علي بن محمد بن موسى بن مسعود أبو الحسن ابن الوزارتين الخزاعي التلمساني ، مؤرخ واديب و بحاثة أندلسي الاصل، تلمساني المولد، و فاسي الوفاة، استكتبه السلطان المريني ثم كتب في ديوان بني زيان وصنف للسلطان المتوكل على الله ابي فارس المريني سنة 786هـ كتابه تخريج الدلالات السمعية، من شيوخه عبد الله بن مرزوق وله منه إجازة، توفي الخزاعي سنة 789هـ، الزركلي، **الإعلام**، ج5، صص. 5-7.

[3] حققه إحسان عباس، واختصره محمد مبارك البغدادي، مكتبة السندس، الكويت ، ط1، 1990.

الإعتقاد ليس صحيحا، بل أن الرسول عليه السلام لم يترك أمرا من أمور الدولة دون ممارسة، وكل عمل له وجه شرعي، حتى أن بعض والحرف التي لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توصف بالبدعة، وإنما هي حصيلة الحاجة والاجتماع الإنساني .

وجاء تقسيم الخزاعي على الشكل التالي[1] :

ـ الجزء الأول: وفيه الخلافة والوزارة، وصاحب السر، والحاجب، الخادم، وصاحب الوساد ، وصاحب النعلين .

ـ الجزء الثاني: العمالات الفقهية، وفيها معلم القرآن، ومعلم الكتابة والمفقه والمفتي، عابر الرؤيا، إمام الصلاة الفريضة والنافلة، المؤذن، المؤقت، صاحب العنزة، المسرج، المجمر، كناس المسجد، صاحب الطهور، الساقي، وفي الحج صاحب البدن وحاجب البيت، والسقاية .

ـ الجزء الثالث خاص بالعمالات الكتابية : كتاب الوحي، كتاب الرسائل و الإقطاع كتاب العهود صاحب الختم، الرسول، حامل الكتاب، الترجمان، الشاعر، والخطيب في غير الصلوات ، كاتب الجيش، العرفاء، المنادي، المحاسب .

ـ الجزء الرابع: العمالات الأحكامية، كالإمارة العامة على النواحي، القاضي، صاحب المظالم، قاضي المناكح، كاتب الشرط، فارض المواريث، الوكيل في غير المال، البصير في البناء، القسام، المحتسب، صاحب العسس، السجان، مقيم الحدود.

---

[1] حاولنا أن نختصر في هذا التقسيم ونذكر أهم العمالات فقط ، لأن المؤلف ذكر عددا كبيرا من العمالات بعضها متقارب مثلا، كصاحب الراحلة، صاحب البغلة، وكلها لصاحب الخيل.

_ الجزء الخامس المخصص للعمالات الجهادية، وفيها الامارة على الجهاد،حامل اللواء، الرماة، الرجالة صاحب الخيل[1]، صاحب السلاح، القائد، الدليل، المتجسس، صانع السفن، صاحب الغنائم، صاحب الخمس، المبشر بالفتح .

_ الجزء السادس، العمالات الجبائية ، وفيها صاحب الجزية، صاحب الأعشار، الترجمان لأهل الذمة، متولي خراج الأرضين، العامل على الزكاة، كاتب أموال الصدقات، الخارص، صاحب الأوقاف ، المستوفي، المشرف .

_ الجزء السابع: العمالات الاختزانية، الخازن، الأمين، صاحب بيت المال، الوازن، خازن الطعام ، الكيال، صاحب السكة (دار الضرب)، الوسام .

_ الجزء الثامن: سائر العمالات : المنفق، الوكيل، صاحب المارستان، الطبيب، الراقي، قاطع العروق، الكواء .

_ الجزء التاسع، ذكر حرف وصناعات كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : البزاز، العطار ، بائع الرماح، بائع الطعام، التمار ، بائع الدباغ، بائع الحطب، الدلال، النساج الخياط،النجار،ناحت الأقداح،الصواغ،الحداد،البناء،الخواص،الصيادفي البر والبحر،السقاء، الحمال على الظهر، الحجام، الجزار، الشواء،المغني، العامل على الحوائط، حافر القبور، حرف النساء، الماشطة، القابلة، الخافضة، المرضعة ...

_ الجزء العاشر، خصصه الخزاعي لضبط المفردات، الحرفة والصنعة و العمالة، ويظهر أن المؤلف قد لمس الاختلاف بين هذه المصطلحات، وفي تعريفه للعمالات: يقول أنها الخطة أو الإمارة، وهي تتقاطع مع مفهوم المهنة، وبالتالي يؤكد أن ألفاظ الحرف والصنائع والمهن هي مفردات لمعاني مختلفة ، كما تكلم في هذا الجزء عن النهي عن

---

[1] **تخريج الدلالات السمعية** ، ص. 387.

استعمال غير المسلمين وأهل الكتاب، في الصنائع والحرف[1]، ويميل إلى رأي الإمام مالك في استخدام أهل الذمة في المهن المنحطة، كالخدم وماشابهها ، ويستدل هنا بقول الله عز وجل ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2]

وأخيرا، تكلم عن أرزاق العمال وأجورهم، فيقول:"**لا بأس بأرزاق القضاة والعمال، إذا عملوا على حق، كما أكره إرتزاق صاحب السوق من أموال الناس، إنما يكون رزقه من بيت المال**"[3]، وبالتالي فقد تطرق إلى معنى الغلول والاختلاس، والزيادة في الأجر، بغير وجه حق .

يمكن القول أن تصنيف الخزاعي قد سبق عصره من خلال نظرته الذكية إلى تصنيف المهن والصنائع، وفوق هذا تفطن إلى العمالات الشرعية، وهي تتقاطع مع مفهوم المهن ، كما بينا ذلك سابقا .

ج / تصنيف إخوان الصفا :

من خلال"**رسائل إخوان الصفا**"[4]، نلتمس تصنيفا دقيقا عندما نقرأ الرسالة الثامنة[5] لأنواع المهن والصنائع، حيث يرى إخوان الصفا أن الله عز وجل هو أصنع

---

[1] نفسه ، ص. 92.

[2] سورة آل عمران ، الآية 28.

[3] تخريج الدلالات السمعية، ص. 37.

[4] صدرت رسائل إخوان الصفا في القرن 'الرابع هـــجري ، و كانت ثمرة لترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية، و دخول مفاهيمها إلى الفكر الإسلامي ، وهي في المجموع 52 رسالة ،مقسمة إلى أربعة محاور ، الرياضيات و الطبيعيات العقليات الإلهيات ، وتعد هذه الرسائل إحدى نتائج الحركة الباطنية للجماعة السرية التي مزجت الفلسفة اليونانية و العقيدة الباطنية ، حول فكر إخوان الصفا ، أنظر : محمود إسماعيل ، **إخوان الصفا رواد التنوير العربي** ،عامر للطباعة ، ط1 ، 1996 ، عمر الدسوقي ، إخوان الصفا ، مطبعة القاهرة ، 1964 .

[5] **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا** ، مطبعة نخبة الأخيار ، بومباي، 1305هـــ.

الصنعاء، لهذا يحب الصانع الفاره الحاذق، والناس حسبهم كلهم صناع أو تجار أو فقراء، فالصناع هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم الصور والنقوش والأصباغ و الأشكال، وغرضهم طلب العوض، أي الأجر، أما التجار، فهم أصحاب المهن الذين يتبايعون بالأخذ والعطاء ، وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه[1]كما يرون يرون أن الصانع يحتاج في صنعته إلى عضو من جسده أو أكثر، أو أداة، والفرق بينهما أن الآلة هي اليد، والرأس والعين، ونحوها، والأداة خارجة من ذات الصانع، كفأس النجار ومطرقة الحداد، وإبرة الخياط وموسى المزين،وغيرها[2].

والجدول التالي يبين خصائص هذا التصنيف :

<table>
<tr><td rowspan="6">تقسيم الصنائع حسب الموضوعات</td><td rowspan="5">البسيط</td><td>موضوعها الماء</td><td>الملاحون،السقاؤون،السباحون</td></tr>
<tr><td>موضوعها التراب</td><td>حفر الآبار،المعادن،الحجارة</td></tr>
<tr><td>موضوعها الهواء</td><td>الزمارون، البواقون، النفاخون</td></tr>
<tr><td>موضوعها الماء والتراب</td><td>الفخارون،الغضارون، القدوريون</td></tr>
<tr><td>موضوعها النار</td><td>النفاطون الشعالون وكل ما شابههم</td></tr>
<tr><td></td><td>موضوعها المعادن</td><td>الحدادون،الرصاصون،الزجاجون</td></tr>
</table>

(1) نفسه ، ص. 31.

(2) نفسه ، ص. 33.

	المركب	موضوعها النبات	النجارون، الحصيريون
		موضوعها الحيوان	الصيادون، الرعاة،البياطرة
		موضوعها المقادير	الوزانزن، الكيالون، الزراعون
		موضوعها القيمة	الصيارفة، الدلالون، المقومون
		موضوعها الأجسام	الأطباء،الحلاقون، المزينون
		موضوعها النفوس	المعلمون، المهذبون
تقسيم الصنائع حسب التفاضل في الشرف	**من جهة الموضوع**	الصواغون	لان موضوعهم الذهب
		الضرابون	لان موضوعهم الفضة
		ضربالدينار	لان موضوعهم الدينار
		صانعوآلات الرصد	لان موضوعهم الافلاك
		العطارون	لان موضوعهم العطور
	من جهة الحاجة	الحياكة	الغزل، الحلج ، الخياطة
		الحراثة	الدق ، الطحن ، الطبخ

	الضرورية	البناء	النجارة ، الحدادة
	من جهة النفع	الحمامون	تركها بؤدي إلى الأوساخ
		السمادون	تركها يؤدي إلى الجيف
		الزبالون	تركها يؤدي إلى القذارة
		الكباسون	تركها يؤدي إلى الضرر
	شرفها من نفسها	المصورون الموسيقيون	محاكاة صور الموجودات تاثيرها في النفوس

كما يوضح إخوان الصفا أن الصبيان يختلفون في تعلم الصنائع، فمنهم من طبع على تعلم صنعة واحدة، ومنهم من طبع على عدة صنائع[1]، كما أن صناعة الآباء والأجداد أنجع لهم من صناعة الغرباء[2]، وحقيقة، فقد دلت الشواهد التاريخية أن كثيرا من الصنائع والحرف يتوارثها الأبناء أبا عن جد .

ينتهي إخوان الصفا إلى القول أن من يدعون أنهم استخرجوا الصنائع والعلوم بقوة عقولهم، وجودة فكرهم، ورويتهم، فهم مخطئون، ومرد ذلك "**نظرهم إلى الطبيعة، وهي**

---

[1] الرسائل ، ص. 34.

[2] نفسه ، ص. 35.

أول الموجودات من الله عز وجل وهو صانع الأسباب، والمؤيد لذوي العقول والألباب"[1].

إن هذا التصنيف المعتمد على المنهج العقلي، مع إستدلاله في بعض الأحيان بالشرع[2]، له من الأهمية الكبيرة ما يجعله يضاهي من سبقه، مما يعطي صورة واضحة أن مجال التصنيف يبقى مفتوحا على مصراعيه، وهو متغير بتغير الواقع والأحوال، كما بين أن إخوان الصفا قد استفادوا من عصرهم ومن بيئتهم، بالرغم مما قيل ويقال عن بعض عقائدهم[3]، إلا أن ما يهمنا في هذا المقام نظرتهم إلى عالم الصنائع والحرف، والتي يمكن للباحثين الاستفادة منها في أبحاثهم.

د/ تصنيف الفارابي[4] :

يقدم أبو نصر الفارابي من خلال كتابه "**إحصاء العلوم**"، نبذة عن العلوم المعروفة في عصره (القرن العاشر ميلادي) ما يصادف نضج الحضارة الإسلامية وازدهارها، ويهدف من خلال إحصائه الإحاطة بجميع العلوم وموضوعاتها، من أجل تحقيق السعادة الحقة على حد تعبيره[5]، ويظهر لنا تأثره الواضح بآراء الفلاسفة الأوائل، على غرار أرسطو الذي يرى في المعرفة العقلية أسمى أنواع اللذة .

---

(1) نفسه ، ص. 37.

(2) أحمد زكي، **موسوعة العلوم العربية وبحث على رسائل إخوان الصفا** ، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر ، 1308هـ ، ط1 ، ص. 64.

(3) إنحرف إخوان الصفا عن النشأة الإسلامية في بعض إعتقاداتهم ، حين قالوا أن من يعرف الله يستغن عن البشر و أن الشرائع من وضع البشر، عمر فروخ ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، دار العلم للملايين بيروت، ط4، 1983، ص. 380 وما بعدها.

(4) محمد بن اوزلغ طرخان الفارابي(259- 339هـ)، يلقب بالمعلم الثاني، حكيم ورياضي و طبيب، عارف باللغات، مصنفاته تزيد عن السبعين، **معجم المؤلفين** 194/11، **سير أعلام النبلاء** 416/15.

(5) أبو نصر الفارابي، **إحصاء العلوم**، قدمه و شرحه علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، ط1، 1996.

يقول الفارابي في مقدمة كتابه: "**قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها**"[1].

خطة الفارابي في التصنيف انه يقسم العلوم إلى خمسة أقسام وهي :

ـ علوم اللسان وفروعها ، وفيها اللغة والنحو والشعر .

ـ علوم المنطق و فروعها الثمانية، أربعة في صور القياس وأربعة في مادته .

ـ علم التعاليم أو الرياضيات، وفروعها الهندسة والعدد والمناظر والموسيقى والحيل والنجوم .

ـ العلوم الطبيعية والإلهية: ويندرج ضمن الطبيعي أي الحيوان والنبات .

ـ العلم المدني : وهو علم الفقه و علم الكلام[2].

نلاحظ أن هذا التصنيف ليس صريحا بالصنائع والحرف، ولكنه ضمنيا يشير إليها من خلال أصول علومها، ولو انه لم يجمل بها، كونه يركز على النظرة الفلسفية البحتة، لكننا نعتبره مهما، ليكتمل عقد نظرنا من خلال المنظور الفلسفي .

هـ / تصنيف ابن خلدون[3]:

---

[1] الفارابي، نفسه، ص. 07.

[2] نفسه ، ص. 15.

[3] عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد ولي الدين (ت 808هـــ) ، إشتهر بابن خلدون نسبة إلى أول من دخل الأندلس من أجداده ، خالد بن عثمان، ولد بتونس وتعلم بها، حفظ القرآن مبكرا، أخذ عن أبيه و المعاصرين تولى العديد من المناصب منها كاتب عند أمير تونس، ثم أصبح أمينا للسر عند سلطان مراكش أبي عنان المريني تولى رئاسة الوزراء في بجاية، توفي بمصر، وهو يتولى قاضي قضاة المالكية، له المقدمة وهي بداية العبر، أنظر :**المقدمة**، دار الفكر، لبنان، 2004، ط1، 2004، مقدمة الناشر، أحمد محمد الحوفي، **مع ابن خلدون**، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط1، 1952، ص. 22.

يعتبر تصنيف ابن خلدون من أهم التصنيفات وأدقها، كونه يعتمد على خصائص العاملين من جهة وخصائص العمران من جهة أخرى، كما بين في نفس الوقت متطلبات المهن بدراسة وصفية لها، وهو ما يسمى في العلم الحديث بعلم النفس المهني والصناعي والتنظيمي، حيث نجده يصنف المجتمع الحضري إلى فئات مهنية، ويبدأ بالإشارة إلى أمهات الصنائع، ويقر بأنها تشذ عن الحصر، لكثرتها ،ومنها البسيط والمركب، وتختص البسيطة في الأمصار الصغيرة أما المركبة، ففي الأمصار الكبيرة لأن أمور الترف تستدعي إستعمال هذه الصنائع لا محالة، كما صنفها إلى مجموعات مهنية على النحو التالي :

ـ ما يختص بأمر المعاش ، وفيها الصنائع الضرورية، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي من خاصية الإنسان من العلوم، والصنائع الأساسية،وفيها الفلاحة والبناء، والخياطة والنجارة، والحياكة ، وغيرها .

ـ صنائع شريفة بالموضوع ، كالتوليد، والكتابة، والوراقة، والغناء، والطب، ويستدل ابن خلدون في شرف هذه الصنائع أن التوليد مثلا موضوعه الأم والمولود، والطب موضوعه صحة الإنسان ،والكتابة حافظة الإنسان ومقيدة عن النسيان، وأما الغناء، فهو مظهر جمالها للأسماع.

كما يقر ابن خلدون بأن بعض المهن تظهر باستبحار العلوم، أي مهن خاصة بالمدن، وذلك للاهتمام بالتأنق والكماليات، وذكر مثلا: الدهان، الصفار، الحمامي، الشماع، الهراس، الراقص، معلم الغناء، قارع الطبول، والوراقون[1].

ويضيف صاحب المقدمة أن العمران إذا زاد عن الحد كبلاد مصر في عهده، تظهر مهن أخرى أكثر كمالية من سابقتها، ومنها أنه سمع أن فيهم من يعلم الطيور العجم

---

[1] المقدمة ، ص. 232.

وا لُحُمر الإنسية، وتعليم الجداء (جمع جدي) الرقص، والمشي على الخيط، ورفع الأثقال، من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد بأرض المغرب[1]، لأن عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة، وبالتالي يمكن أن نلخص تصنيف ابن خلدون كالتالي :

"**تصنيف خصائص العمران وفيه** :

ـ صنائع ضرورية .

ـ صنائع كمالية .

ـ صنائع مكملة للكمالية .

" **تصنيف حسب خصائص العاملين وفيه** :

ـ صنائع شريفة بالموضوع .

ـ صنائع معيشية ، وفيها الضرورية و غير الضرورية .

وفي كل هذا يركز ابن خلدون على دور العلم والتعلم في الصنائع فـ : « **فعلى قدر جودة التعليم وملكة العلم يكون حذق المتعلم في الصناعة ،وحصول ملكته**»[2] ، فهو يشير حتما إلى أهمية التكوين، في تحصيل المهن والصنائع والحرف، وعدم الإكتفاء بملكة الوراثة، وهو يذكرنا بمراكز التكوين المهني في عصرنا، التي تعمل من أجل تطوير ملكة الصنع عند النشء، لذلك قيل إن ابن خلدون قد سبق عصره، من خلال أفكاره الفريدة .

---

(1) المقدمة ، ص. 370.

(2) نفسه ، صز 372 .

و / تصنيف الكتاني :

صنف محمد بن عبد الحي الإدريسي الكتاني كتابه المشهور: نظام الحكومة النبوية المسمى "**التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية العلية**[1]، قاصدا إستكمال كتاب الخزاعي الموسوم بتخريج الدلالات السمعية، بالرغم من أن الزركلي يذكر أن الكتاني قد اطلع على نسخة غير تامة من مخطوط التخريج، فأضاف إليها زيادات كثيرة، ونسب الكتاب إلى نفسه[2]. والحقيقة أن الكتاني إختار نصوصا من كتاب التخريج وجعل تحتها خطا ليميزها عما أضافه إليها، ثم استدرك كثيرا من الإضافات والتفاصيل[3]، خاصة الجزء العاشر الأخير.

يرى الكتاني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشغل منصب النبوة الديني، وهو يجمع في نفس الوقت مع السلطة الدنيوية، وأن مدة نبوته وحكمه لم تخل من المراتب الإدارية، ومن الوزراء والكتاب، وكتاب الرسائل والجيش، والجواسيس والعسس، والأطباء والصيارفة، وأنواع والمتاجر والصناعات والحرف، وكانت مسندة للأكفاء[4]، كما يرى أن الملة – يقصد العرب في الجزيرة – لم يكن فيها علم ،ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة،ولم يعرف العرب أحوال التعليم والتأليف والتدوين[5]، وبعد الفتوحات الإسلامية وما استولوا عليه من ممالك، بحسن دعوتهم، صار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بحارا في العلوم الشرعية، والحسابية والعقلية والعلوم الباطنية، وقد حض الرسول الكريم على الصناعة والزراعة والتجارة[6]

---

[1] حقق الكتاب عبد الله الخالدي ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، لبنان، و يقع في جزئين .

[2] أنظر مقدمة المحقق .

[3] نظام الحكومة النبوية، صص. 8-9 .

[4] نفسه ، ص. 11.

[5] نفسه ، ص. 12 .

[6] نفسه ، صز 16 .

أضاف الكتاني في الباب الأول الخلافة، وبين الفرق بين الخليفة والسلطان من حيث الشرع والاصطلاح ، وذكر من خدم النبي صلى الله عليه وسلم من الأحرار .

" القسم الثاني : زاد فيه تعليم المرأة ، وتكليف الإمام للحاشر[1] .

" القسم الثالث : زاد فيه باب الجلد ومقداره، ومن كان يكتب للنبي عليه السلام في البوادي،وباب الختم والخاتم، وأدب القلم ومحل وضعه، والمكاتب، واستشهاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر العربي[2].

" القسم الرابع : زاد فيه سجن النساء والرجال، ومنصب مقيم الحدود .

" القسم الخامس : أضاف تعليم الإمام للصبيان، وشعار المحاربين، والسائق والراعي وكاتب غنائم الرسول صلى الله عليه وسلم و غيرها .

" القسم السادس : أضاف حفظ زكاة رمضان ، ومن كان على خمس النبي ﷺ .

" القسم السابع و الثامن: أضاف جوائز الوفود ، والمنجم، والقافي[3].

" القسم التاسع: أضاف أصل تسمية البيع والشراء، وباب أسواق الجاهلية، وباب تشديد عمر للصحابة لترك التجارة لغيرهم ، من العامة والأخلاط، وذكر الجلاب، وحافر معدن الذهب، وتبايع الصبيان، بيع السكر والعقاقير الطبية، الرحى الهوائية، والمصور، كما ذكر أسماء مغنيات على العهد النبوي، اعتناء السلف بالموسيقى، والمسابقة والمصارعة، والرماية، وحبس الطير ،والممرضات المرافقات للنبي صلى الله عليه وسلم، والتاجرات، بائع السيوف، وغيرها.

---

[1] الحاشر: الرجل المكلف بجمع الناس لإعلامهم بأمر ما ، يريده الإمام أو الخليفة ونحوه .

[2] الكتاني ، م س ، ص. 52 .

[3] نفسه ، ص. 60 .

القسم العاشر: خصصه المؤلف لتشخيص الحالة العلمية على عهد النبي عليه السلام تعلما وتعليما، والحالة الاجتماعية، وفيها الإشارة إلى أوسع المعارف التي تناولها البشر وهي القرآن الكريم، وكيفية تلقي الصحابة للعلم، وأنه كان بالمسجد النبوي حلقات لتدارس العلم، وإباحته صلى الله عليه وسلم التحديث بالإسرائيليات، وتخصيصه أياما معلومة لأهل العلم وأخذ العلم قبل الزواج، وأن تعليم الكتابة من حقوق الأبناء، والقلم والدواة من العصر النبوي، واختراع الكاغد أواخر أيام الصحابة بجزيرة العرب[1] .وترجمة الكتب القديمة من طب وكيمياء وصناعات وقع الاعتناء به أيام الصحابة، ثم صناعة المصحف واعتناء الصحابة بذلك، وتعليم القرآن، وأخذ الأجرة على ذلك، واتخاذ الكتاب للصبيان، وتعاطي علم الخط، والشعر وعلم الأنساب وعلم النجوم والرماية والسباحة وتعاطي الصحابة للتنجيم والموسيقى والطب، والإدارة والحرب والسياسة والترجمة والإملاء والنجارة والصناعة وغيرها[2].

كما يذكر القاص، وجلوسه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدث عن الترويح عن القلوب، وباب المضحكات، زمن النبي كريم ، في آخر كتابه[3].

وعموما، فإن تصنيف الكتاني، وإن كان يعتبر تابعا لتصنيف الخزاعي ،باعتباره يعتمد على التراث الديني الفقهي، في اعتماده على عصر النبوة، إلا أنه أعطى إضافات جديدة، حيث ذكر بعض العمالات والصنائع لم يذكرها الخزاعي، ونسبها إلى عهد النبوة، مما يبين أن الصنائع والحرف تشذ عن الحصر، وأن التصنيفات دوما قابلة للتعديل والإضافة والزيادة والنقصان .

ز / تصنيف الأمير عبد القادر الجزائري :

---

(1) الكتاني، م س ، ص. 66 .

(2) نفسه ، ص. 69.

(3) الكتاني ، نفسه ، ص. 63 .

من خلال رسالة إلى الفرنسيين[1]، يقسم الأمير عبد القادر الجزائري العلوم إلى محمود ومذموم، فالمحمود حسبه مرتبط بمصالح الدين والدنيا، كالطب والحساب، وكل علم لا يستغنى عنه، في قوام أمر الدين والدنيا، كأصول الصنائع[2]، من الفلاحة والحياكة والحجامة[3] والسياسة .

وقد يحدث تنازع بين أهل البلد في الحاجات، كقسمة البلد مثلا، فلا بد من علم المساحة التي يعرف بها المقادير، وعلم الجندية لحراسة البلد، وعلم القانون لفصل الخصومات، وكل حسب تخصصه ، فلو اشتغل أهل البلد بالحرب تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب بالصناعات وطلب القوت، تعطلت البلاد من الحراس، وهلكت الناس، فتحدث الحاجة إلى الخراج، ثم إلى العمال، وبالتالي نجد الأمير يقسم الحرفيين إلى ثلاث طوائف :

" الفلاحون المحترفون .

" الجند الحماة .

" المترددون بين الطائفتين بالأخذ والعطاء .

وبحدوث البيع والشراء لابد من النقود، أي دار للضرب، والنقش والتقدير، واستخراج المعادن وتصفيتها[4].

---

[1].ينظر : الأمير عبد القادر الجزائري ، **رسالة إلى الفرنسيين (ذكرى العاقل و تنبيه الغافل)** ، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر ، تصدير عبد العزيز عبد بوتفليقة ، ط1 ، 2006 ، صص 31 – 34 ، وقد آثرنا ذكر تصنيفه رغم أنه متاخر جدا عن فترة الدراسة، إلا أن أهميته لا تخفى على دارس .

[2] نفسه، ص. 31.

[3]يرى الأمير ان الحجامة لازمة ، فلو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إلى أهل ذلك البلد ، وهو ما قاله قبله أبو حامد الغزالي ، أنظر **الرسالة** ، ص. 31.

[4] نفسه ، ص. 35.

أما العلوم المذمومة، فحسبه" **فليست مذمومة بعينها، لأن في كل علم منفعة، إما في المعاد أو معاش، وإنما يذم بعض العلوم لكونها مؤدية إلى الضرر بصاحبها، أوبغيره، كالسحر والطلسمات**" [1] الذي هجر من الملة الإسلامية، إلا في بعض الشرق[2]، وإما لكون المتعلم يقصد بالعلم فوق طاقته وغايته، فغاية علم النجم الاهتداء ظلمات البر والبحر، وعلم البروج للاستعانة على الزراعة ونحوها ومن قصد بعلم النجوم الاطلاع على المغيبات، خاض في فضول يضر ولا ينفع[3].

هذه جملة من التصنيفات مما وقفنا عليها مفصلة في مصنفات التراث الإسلامي من كتب التاريخ والفقه والفلسفة والسياسة الشرعية وغيرها، منها ما حكم العقل كأساس في تصنيفه، ومنها ما حكم الشرع، أو العرف، ومنها ماحكم واقع الحال والأحوال، ومنها من أرجعها الى أصول علومها، وكلها تنتهي إلى نتيجة واحدة، وهي تفاضل بعض المهن والصناعات والحرف على مثيلاتها، من حيث الشرف والقصد، والنتيجة، وبالتالي يتفاضل أصحابها ومزاولوها في المرتبة والشرف، سواء من حيث الأجر، أو المقام عند الناس حاكمهم ومحكومهم، أو عند الله ﷻ، وهي سنة كونية في الخلق لا مناص منها ولا تبديل فيها، مصداقا لقول الله ﷻ ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[4]

---

[1] نفسه ، ص. 32.

[2] يقول الأمير حول هذا ،« لم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل ، إلى أن ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة ، فتصفح كتب هذا العلم واستخرج الصناعة، ووضع فيها التآليف و أكثر الكلام فيها و في صنع الكيمياء، لأنها من توابعها ...» ، الأمير عبد القادر، مرجع سابق ، ص. 34.

[3] نفسه ، ص. 35.

[4] سورة الزخرف ، الآية 32 .

5) التنظيم الحرفي في الغرب الاسلامي:

كما سلف وبينا أن فئة الحرفيين والصناع تميزت أولا في الإسم، فسميوا بأهل الصنائع والحرف وأرباب الحرف وكذا الأصناف[1] والصُناع، ويشير إليهم الموحدون في تنظيماتهم الحزبية بمصطلح خاص هو عبيد المخزن، أي أنهم خُدام الدولة[2]

واستخدمت كلمة كار للدلالة على التنظيمات الحرفية[3]،واستخدمت كلمة حنطة في المغرب الأقصى بالخصوص للدلالة كذلك على أهل والصنائع والمهن[4]مما يبين شعورهم بالانتماء[5] والانتساب والتميز عن غيرهم بالطائفة الحرفية، حيث انعكس بوضوح في الاطار التنظيمي للصناعات والحرف وكذا التخصص في الأسواق .

قبل الخوض في مميزات التنظيم الحرفي بالغرب الإسلامي عموما، لابد من الإشارة الى إشكالية هامة تطرق إليها بالخصوص المستشرقون المهتمون بدراسة التنظيم الحرفي، وهي الجذور التاريخية للأصناف الحرفية، ومدى تأثرها بالحضارات السابقة

---

(1) سالم محمد محمود ، **أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري**، دار الفكر، دمشق، ص. 139.

(2) أشار إلى هذا المُصطلح الباحث عز الدين أحمد موسى استنادا الى مخطوط مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت رقم 13:915am)، لكن المصادر الموحدية المتوفرة لم تُشر الى هذا المُصطلح حسب علمنا، ولعله كان غير شائع.

(3) كار : كلمة فارسية تعني الشغل أو العمل أو الحرفة ، واستخدمت هذه الكلمة في بلد المغرب ،ماسينيون ،**دائرة المعارف الاسلامية** ،مادة صنف ، ج14 ، ص. 254.

(4)Massignon ,**islamic guide,incyclopedia of social sciences**,London,1927,vol 7,p215

(5) يقصد بالانتماء تلك النزعة التي تدفع الفرد للدخول الى جماعة معينة يوحد نفسه بها ، ويتخذ الانتماء الحرفي مشارب وأشكال متعددة كالانتماء السياسي والاجتماعي والحضاري والانتماء الى الجنس (رجال ونساء) وجغرافي وانتماء الى طائفة حرفية وهو موضوعنا ، أنظر حول الموضوع ، بودالية تواتية ، **الانتماء الحرفي لاهل الصناعات في المغرب الاوسط** ، مجلة الناصرية ، منشورات جامعة معسكر ، العدد الرابع ، جوان 2013 ، صص.253-276.

من فرس وبيزنطيين وروم وغيرهم[1]ومن أبرز من اهتموا بالموضوع المستشرق لويس ماسينيون L, Massignon الذي لا يشك في أن النقابات في الإسلام ُوجدت منذ القرن العاشر ميلادي بنُظمها التعاونية، وحسب تحليلاته فان الاصناف تدين بقيامها لتأثير القرمطية، وشيعتها الباطنية وتطرفها الشيعي، ويخلُص إلى أن الأصناف الإسلامية هي المثيلة السابقة لنقابات القرون الوسطى اللاتينية[2]، ويبدو أن المستشرق قد جانب الصواب في هذا الحكم، لأن المصادر لم تذكر أن القرامطة قد أثروا في التصنيف الحرفي، أو نشوء الأصناف، وإن كان فالعباسيون هم أولى بهذا الحكم.

كما اعتبر كلود كاهن أن الأصناف الحرفية الإسلامية هي تنظيمات حكومية محضة[3]، ووافقه آخرون في الطرح، بحكم أن المحتسب هو موظف كبير في الدولة، وعنصر أساسي في تنظيم الحرف بالحاضرة الإسلامية، بل والأكثر من ذلك أن العريف أو الأمين المنتسب الى المهنة كان المرؤوس المباشر للمحتسب، بل والأرجح أنه معين من قبله[4]

إذن ما يميز التنظيم الحرفي هو وجود وظيفة المحتسب في الأسواق خصوصا، يقول السقطي في نص مهم:ويُ" **قدم من ثُقات الأسواق ووجوه أرباب الصنائع من**

---

[1] صباح ابراهيم الشيخلي ، **الأصناف في العصر العباسي ، نشاتها وتطورها ، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي** ، دار الحرية للطباعة ، العراق ، ط1 ، ص. 67.

[2] Massignon ,L **,les corps de métiers et la cite islamique** – revue internationale de sociologie , n 28 , paris, 1928.

[3] Cahen .corporations professioneles dans le monde musulman classique quelques notes et reflections « **les peuples musulmans dans l'histoire medievale** » . damas.1997 . p 44.

[4] الكساندر خاشتريان، **أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي**، تقديم صالح زهر الدين، المركز العربي للأبحاث والوثيق، بيروت، ط1، 1998، ص. 74.

تُعرف ثقته وينفع المسلمين نصحه ومعرفته، يستظهر بهم على سائرهم، ويطلعون على خفي أسرارهم وخبيث سرائرهم حتى لا يخفى من أمورهم كثير ولا قليل"[1]

وكان الحرفيون والصناع في المدينة الإسلامية منتظمين في طوائف متباينة، على رأس كل منها عريف أو أمين، يكون معينا عادة من طرف القاضي أو المحتسب[2] ويتدرج الحرفيون في منازلهم الى أن يصلوا الى رتبة معلم (أسطا في المشرق)، بعد أن يكون مبتدئا ثم صبيا ثم صغيرا، ثم صانعا، ثم مدربا، ثم عريفا، وهي كما يبدو أعلى درجة يمكن الوصول اليها، ويتطلب ذلك من المعلم أن يلم بجميع أسرار المهنة من أصولها لجذورها[3] وحتى سبل التدليس والغش فيها، ويمكنه والحالة هذه أن يمتلك مصنعا منفردا يدير فيه شؤون صنعته، وغلبت صفة الوراثة في كثير من الصنائع إن لم نقُل كُلها، لأن الإبن الذي يريد أن يشُذ عن مهنة آبائه يجد تثبيطا في بداية أمره[4]

وفي العهد الموحدي أضيف لرئيس الصنعة (الأمين) مهمة جديدة، تمثلت في تحصيل الضرائب الخاصة بأهل مهنته والمتواجدين ببلدته، ويجتمع مع الخليفة بصفة **دورية**[5].

وبالنسبة للقواعد العامة لاختيار الموقع الجغرافي للحرف والصنائع داخل المدينة الاسلامية (في المشرق المغرب على حد سواء)، هناك مجموعة من المعايير

---

[1] السُقطي(أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي)، **في آداب الحسبة** ، طُبع بمطبعة إرنست لورو ، باريس، 1931، ص. 09.

[2] السُقطي، نفسه، ص. 39.

[3] ابن مريم ، م س ، ص. 44 ، نصيرة عزرودي ، **الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط** ، مجلة الناصرية ، منشورات جامعة معسكر ، العدد الرابع ، جوان 2013 ، ص. 239.

[4] الذيل والتكملة، 231/5، عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص. 216.

[5] كما كان الحال مع الخليفة المنصور الذي كان يجتمع مع أمناء الصُناع في مراكش مرتين في الشهر، المراكشي، م س، ص. 258..

التي طبقت في الأسواق ولو بنسب متفاوتة، روعي فيها مجموعة من الضوابط الفقهية المستمدة من منع إلحاق الضرر والإزعاج، حيث "**لا ضرر ولا ضرار**"، ومن أهمها نذكر

۞ تنظم الحرف المتشابهة داخل الأسواق والقيساريات[1]، لتسهيل مهمة المشتري عند قضاء حاجته من مكان واحد، متجاورين في الدكاكين، متصلين ببعضهم البعض، فقد شملت أسواق النساجين والعطارين والخرازين والخياطين والنساجين والحاكة والفخارين وغيرهم، وحتى الحمالون الذين نجدهم على أبواب المدن، ويبدو أن البذور الأولى لنشأة نظام الحسبة أو الرقابة على الأسواق في الغرب الاسلامي تعود إلى عصر الامراء المهالبة في إفريقية وإلى يزيد بن حاتم(156هـ)، الذي استهل عهده بتنظيم أسواق القيروان وخصص لكل صناعة سوقا على النمط الذي عرفته المدن الاسلامية في المشرق، ثم انتشر هذا النظام إلى مدن إفريقية والمغرب، من صفاقس وتيهرت وسجلماسة [2]

۞ كان سعر البضائع يخضع لقانون العرض والطلب، لكن كثيرا ما يؤدي الإحتكار إلى غلاء الأسعار، فيلزم المحتسب من زاد في الثمن أن يبيع مثل أصحابه، والا أخرجه من السوق وأدبه[3]وهو ما اصطلح عليه بالتسعير[4]كما كان لأهل الذمة نظام خاص بهم، أتاح لهم ممارسة نشاطهم الحرفي والصناعي ملتزمين بقانون السوق .

---

[1]**القيساريات** : تعريب للكلمة اليونانية ; kaisareie، تعني السوق القيصري التابع للدولة ، وهي عبارة عن شبكة من الدروب المسقوفة وزنقات تدور حول فناء فسيح وحوانيت ضيقة ذات باب واحد مكون من ألواح خشبية ، تتحرك عند فتحها على هيئة مظلة تطل على هذه الدروب ، وكان لكل نوع من التجلرة والحرف سوق خاص في القيسارية ، أنظر ، عبد العزيز سالم ، **تاريخ وحضارة الاسلام** ، ص. 218.

[2]موسى لقبال ، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 1981، ص. 37.

[3]ابن الاخوة ، م س ، ص.100.

[4] المجيلدي ، **التيسير في أحكام التسعير** ، تح موسى لقبال ، الجزائر ، ط1 ، 1980 ، ص.49.

۞ كانت الأسواق عموما بوسط المدينة لتكون قريبة من مراكز الأمن، ووصل الأمر في بعض الاحيان لتعيين حرس خاص، مكلفين لحماية حوانيت التجار، ولهم حق انزال العقوبة بالجلد والسجن[1]"بالإضافة الى الدور التقليدي لصاحب الشرطة في توفير الأمن والحراسة وقطع دابر اللصوص"[2]

۞ تركزت الحرف التي تتسب في تلويث المحيط، أو تسبب ضررا للسكان، خارج أسوار المدن، وكذلك الحرف التي تحتاج الى كميات كبيرة من المياه، كالدباغة مثلا أو الأرحية تكون بمحاذاة الانهار[3]وتخندقت بعض الصناعات حتى تحت الأرض، كما هو الحال مع صناعة الزجاج، حتى لا تتأثر هذه الصناعات بالريح والغبار في المغرب والأندلس على حد سواء [4]

وتكون بعض الحرف بمعزل عن الطريق، كالحواتين مثلا، لما يسببونه من روائح كريهة تؤذي المارة، ويلزمهم المحتسب بتنظيف الساحة دوما حفاظا على النظافة[5]

وكان توزيع المصانع عموما تتحكم فيه إعتبارات فقهية، كدفع الضرر، والإباحة المرتبطة بالضرورة، وأخرى عامة تهم توطين بعض الحرف، والإستقرار بالقرب من الأبواب، لتسهيل التبادل على أهل البادية الداخلين الى الأسواق[6]

---

[1] ابن الزيات ، م س ، ص. 398.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش ، **الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي** ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص. 104.

[3] سمية مزدور ، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط من أواخر القرن السادس الى أواخر القرن التاسع الهجري** ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010 ، ص. 62.

[4] المقري ، م س، ج 2 ، ص. 101.

[5] ابن عبدون ، م س، ص. 97.

[6] محمد فتحة، **تنظيم المجال الحضري داخل المدينة المغربية نهاية العصر الوسيط**، منشورات كلية الآداب ،مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط، ط1 ، 2000، ص.69 ، فاطمة بلهواري ، **الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير**

كما تميز كثير من الصناع والحرفيين في اللباس، إما لضرورة العمل، كحال الدباغين والحلاقين والصيادين والحمالين، وإما تمييزا للهوية، عن نظرائهم من أهل الصناعات الأخرى أو أهل الذمة، كما كان الحال مع اليهود خلال العصر الموحدي[1] وأحيانا كان أهل الصنعة الواحدة يتميزون بلباس مختلف من منطقة لأخرى[2]

كما نلاحظ أن إنخرط أهل الذمة من يهود ونصارى في النسيج المهني والحرفي في المدينة الإسلامية عموما صار شيئا مألوفا وإعتياديا، بل والأكثر من ذلك أنهم إنفردوا ببعض الأنشطة دون غيرهم، حيث نجد مثلا الصرافة وعمل الفضة والذهب اختصاصا ذميا خالصا، ونجد الطب كذلك، حيث كان أشهر الأطباء حتى بالبلاطات، من اليهود والنصارى، مما جعل كثيرا من المستشرقين المنصفين يعترفون "**أن انخراط غير المسلمين في الخريطة الحرفية المهنية تستحق الإعجاب الشديد، لأنها تنصب على التطور الإجتماعي برمته**"[3] بالرغم من بعض التجاوزات التي حدثت في حقهم في كثير من الأوقات والعصور، وتعتبر حالات شاذة ولا تعبر عن مجمل ما عاشوه ضمن المجتمع الإسلامي بالمغرب.

والواقع التاريخي ، مجلة عصور ، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، عدد 6-7، جوان ديسمبر ،2005 ، ص. 243.

[1] يقول البرزلي معقبا عن لباس أهل الذمة في افريقية " ...**والعادة عندنا بتونس أن نساء النصارى يستترن كالمسلمات غالبا من غير علامة ، واليهوديات لهن علامة المشي بالقرق أو حافية ، وعلامة الذكور من اليهود الشكلة الصفراء فوق الاحرام ، لا تحته، لأنه قد يشكل إذا أعطى بظهره ، واما النصارى فلهم زي على رؤوسهم لزمونه ، وقد كان بعضهم تزي على رأسه بزي المسلمين ، فألزمه السلطان زواله"** ، أنظر ، البرزلي ، **فتاوى البرزلي** ، ج2 ، ص. 44 .

[2] في هذا الصدد يذكر ابن صاحب الصلاة أن لباس زياتي قرطبة يختلف عن لباس زياتي اشبيلية، ولا نستبعد أن الأمر ذاته كان سائدا بالمغرب، أنظر، المن بالإمامة، ص. 117.

[3] لويس ماسينيون، **الهيئات الحرفية والمدينة الإسلامية**، مجلة المورد، المج. 2، العدد3، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973، ص. 16.

هذه المعايير وغيرها، تدل أن الحرف والصنائع في المدينة الإسلامية عموما، وبالغرب الإسلامي خصوصا، كانت منظمة وفق ترتيب إقتضته المدنية والحضارة من جهة، ومن جهة ثانية، كان التشريع الإسلامي أساس هذا التنظيم من خلال عمل المحتسب الذي له كل الصلاحيات، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة الضرر أوالوقاية منه، ومحاسبة المخالفين، وكذا مراقبة كل عمل غير مشروع، أو حرفة محرمة، نهى الشرع عنها، وهذا ما سنقف عليه في الفصل الموالي في تفصيل المهن والحرف المحظورة والمحرمة.

الفصل الثاني :

المهن والصنائع والحرف المنبوذة والمحرمة بالغرب الاسلامي خلال العهد الموحدي

بينا في موضع سابق، أن الإسلام وضع شروطا للعمل، منها أن يكون مباحا، وفي حدود الشريعة الإسلامية، ولا يتعدى حقوق الآخرين، ولا يمس بالذوق العام،معنى هذا أن هناك كثيرا من المهن قد حرمها النص القرآني أو النبوي، وليست من صنائع ومهن المدينة الإسلامية، ومهن أخرى وضيعة، لم يرد نص بتحريمها، لكنها منبوذة وضيعة، لأنها تحط من قيمة صاحبها، ولا تحقق المقصد الرئيسي من التكسب، أو تعارف الناس على وضاعتها، رغم أن بعضها ضروري لكن العامة يعافونها إما لأن مادتها وسخة نجسة، أو أن مزاوليها من السوقة المنحدرين في أسفل السلم الإجتماعي .

ولكن هذه المهن على خصوصيتها، يبقى روادها جزءا لايتجزأ من التركيبة الإجتماعية لأي مجتمع، وإن خالفت الدين والأعراف والتقاليد، وإن كانت المصادر نقصد الوسيطة لا تعير اهتماما لهذه الفئات المهمشة، فنجدها في كثير من الأحيان تسكت عن قصد، خدمة للطبقة الحاكمة، أو إهتماما بجوانب سياسية وعسكرية أخرى، تظهر لمؤرخ السلطة أنها أهم، أو على اعتبار أن هؤلاء هم سواد الناس، أو المستضعفون والمغلوبون على أمرهم [1]،ويعيشون في عالم خاص بهم، له أبعاده المتدنية عن عالم الخاصة، وبالتالي فهذا التهميش مسألة مشروعة، حسب هذا الطرح[2] على هذا، طبقة العامة ــعلى رأي أحد الباحثين ــذهبت ضحية أحكام مسبقة من قبل جل المؤرخين وكتاب التراجم، لأنها وقفت موقفا معاديا منها، ووصفتها بأوصاف

---

[1] ينعت هؤلاء في المصادر بألفاظ كثيرة، كالسوقة والأوباش والستضعفين والسواد والسفلة والغوغاء والسقاط وأهل الخصاصة والمسكنة والرعاع والزنادقة والهمج والطرارون والغواة وأهل البدع وأصحاب الإهانات، وغيرها من المصطلحات المهينة، ينظر :أحمد المحمودي، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ط1 ، 2009، صص.22 _28.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ، **الإسلام السري في المغرب العربي العوام في مراكش خلال القرن السادس هجري،** سينا للنشر والتوزيع ،مصر ،ط1 ،1995، ص.22 .

حقيرة، ونعتتها بعبارات الذم والقدح، وأدارت لها الظهر، رغم مساهمتها المعتبرة في تطوير المجتمع[1].

إن الوثائق المتوفرة حول طبقات العوام كتبت انطلاقا من الإيديولوجية الرسمية، باعتبارهم الطرف المتمرد على السلطة ، فهم عصاة مارقون،خارجون عن الجماعة ،إضافة إلى أن هؤلاء لم يتركوا وثائق تاريخية تعبر عن آرائهم ومبادئهم وأهدافهم، وبالتالي فهم كذلك يتحملون جزءا من مسؤولية انعدام الوثائق[2].

نشير هنا أن ولاة الأمور قد ساهموا سلبا أو إيجابا في ظهور بعض الطبقات، أو إختفاءها على الأقل عن الأنظار، كبعض المهن المحظورة أو المحرمة، ونورد في هذا المقام تعليق ابن مرزوق التلمساني على هذا بقوله « **أما ولاة الجور فمن أعظم الناس وزرا وأحطهم درجة عند الله عز وجل لعموم ما تجري على أيديهم من المفاسد العظام، كتضمين البغايا والخمور.. المغضبات لرب الأرضين والسماوات وإذا أمر العادل بإبطال هذه المحرمات أثيب على التسبب إلى درء هذه المفاسد المذكورات**»[3] وبالتالي، فمن مهام ولي الأمر إرشاد العامة إلى ترك الحرف المحرمة، وهو ما ذهب إليه محتسبوا الحقبة الموحدية "من ضرورة الكشف عن أهل صنائع المنكر، ممن يتصف

---

[1] أحمد المحمودي ، المرجع السابق، ص. 24.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ،**تاريخ الغرب الإسلامي** ،**تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز** ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان ،ط1، 1994، ص. 30.

[3] محمد ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا ،تقديم : محمود بوعياد، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007، ص. 102.

بإدمان المعاصي وارتكاب المحضور،واستعمال الحد في ردعهم[1] وفوق هذا إعطاء البديل الحلال الصحيح [2]

❁ البغاء :

البغاء في اللغة بمعنى التعدي ومجاوزة الحد، ومنها قوله تعالى﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [3]، وفي الإصطلاح هو إتصال غير مشروع بين الجنسين مقابل أجر مادي، أو هو استخدام الجسم إرضاء لشهوات الغير مباشرة دون تمييز، نظير أجر معين[4].

وقد عرفت مهنة البغاء منذ أقدم العصور، حتى وصفت بأقدم مهنة في التاريخ، وكان في بعض الحضارات مقدسا كمصر القديمة، و ظل حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يحترفن الدعارة، كان هذا موردا رسميا للمعابد ومعترفا به[5]،

---

(1)ابن مناصف (عبسى بن مناصف)، **تنبيه الحكام على مآخذ الحكام**، اعده للنشر، عبد الحفيظ منصور، معهد الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس، ص. 89.

(2)عن سعيد بن أبي الحسن قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما اذ أتاه رجل فقال :يا ابن عباس ، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، و إني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، سمعته يقول :من صور صورة ، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، و ليس بنافخ فيها أبدا، فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ،فقال: ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح، **رواه البخاري**، الحديث رقم 2073.

(3)سورة الشورى، الآية 27.

(4)نجية إسحاق عبد الله محمد ،**سيكولوجية البغاء دراسة نظرية وميدانية** ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1983، ص23.

(5)حول هذا ينظر:

Simon de beauvior, **the second sex** ,translated from the french Henrie ; par . shleylondon a four square book ,1963 ,pp 290 .

أما العرب في الجاهلية فقد كانت بغاياهم تقمن في بيوت خاصة، وتؤدين الضرائب المفروضة عليهن[1].

ولما جاء الإسلام الحنيف، حرم صور البغاء والزنا للمتزوج وغيره، رجلا أو امرأة قال تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [2]﴾.

ورغم هذا التحريم الواضح، فقد بقيت هذه المهنة الوضيعة المحرمة في الدول الإسلامية متداولة، سواء بالمشرق أو بالمغرب، وإن كانت سمتها في الغالب الإختفاء والتستر،.أو تكون هذه الأماكن معروفة لدى أهل الفساد والمجون، يقودون من بثقون به ويصاحبونه إليها .

في نهاية الدولة المرابطية إنحرف المرابطون عن المبادئ الأخلاقية التي نادوا بها في بداية دعوتهم الإصلاحية، وما ظهور بعض المؤلفات في الحسبة إلا دليل على الإنحراف السائد آنذاك[3]خاصة في الأندلس، حيث كانت مظاهر الخلاعة والمجون

---

[1]محمد نيازي ، **مشكلة البغاء في الواقع وفي نظر القانون** ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ،أعمال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة، القاهرة ،1961، ص44.

[2]سورة النور ، الآية 33.

[3]المقصود بالمؤلفات على غرار رسائل الحسبة لابن عبدون وسراج الملوك في القواعد والسلوك للطرطوشي وغيرهم، ينظر حول هذا: إبراهيم القادري بوتشيش، **الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس ضمن كتاب:اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي** ، دار الطليعة ، ببيروت ، ط1 ، 2002 ،ص.152.

متفشية، وكان للنساء الدور الكبير في ذلك ، يقول المراكشي في هذا الصدد «**استولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور ... مشتملة على كل مفسد وشرير**»[1]

أما في العهد الموحدي، فنقف على فترتين متمايزتين، الأولى فترة الازدهار الموحدي، ونقصد فترة الخلفاء الأربعة الأوائل، والثانية بعد هزيمة العقاب سنة 609هـ، وفي كلا المرحلتين تولدت أزمة أخلاقية عميقة، فسبب الأولى – على حد قول ابن خلدون- التأنق في الأحوال الذي يتبعه طاعة الشهوات، وتخرج الأمة من القصد إلى الإسراف ... [2]، أما الثانية فالظروف الاجتماعية القاهرة هي الدافع الأهم إلى الانحطاط الأخلاقي [3].

بالنسبة للبغايا، فإن التكسب كان السبب الرئيس لعملهن في الغالب ،حيث كن يقمن في بعض الفنادق المعروفة بدور الخراج، لذا يسميهم ابن عبدون بالخراجيات، ويتكلم في موضع آخر عنهن باسم الطرازات بقوله:قطع الطرازات عن السوق واجب فإنما هن (بمعنى بغايا) [4].

ويمكن أن نميز أركان البغاء في ثلاث: المحل وهو الغرفة أو البيت أو أحيانا فندق أو دارا معدة لذلك، والقائد ويسمى في العرف المغربي بالقواد، وهو أو هي من تقود إلى محل الفاحشة[5]، وقد أورد الزجالي(ت694هـ) هذا اللفظ في إحدى الأمثال العامية

---

[1] المراكشي (عبد الواحد)، **المعجب** ، ص241 .

[2] ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص. 353.

[3]ينظر : ابراهيم القادري بوتشيش ، **واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات، دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع** ،ضمن كتاب : **تاريخ الغرب الإسلامي، قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة** ، دار الطليعة ، بيروت ، صص. 106 -122.

[4] ابن عبدون ، م س ، صص. 47- 50 (تفادينا ذكر الألفاظ التي لا تليق).

[5]عالية محمد شعيب ، **البغاء في الشريعة والفلسفة**، نشر شبكة صحب انثى ، ط1 ، 2005 ، ص. 77.

المشهورة بين أهل المغرب والأندلس قولهم المرأة المديدة ما تحتاج لقويدة[1]، ويقصد بالمديدة التي لا ترد من يريدها للفاحشة .

لقد أدرك الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي خطر هذه الفئة، ونقصد النساء والرجال معا، إذ لا يمكن أن نرى مجتمعا تفسق فيه المرأة وتخرج عن القيم إلا وقد فسد فيه الرجل قبلها وتماجن[2]، يقول عبد المؤمن في الرسالة المعروفة برسالة الفصول إلى أهل بجاية وقد فشت فيها مظاهر الانحلال :«... **وآمر بالكشف والتولج في مكان من الريبة والغواية... من الرجال المفسدين ومن النساء المفسدات المتفننات في طرق الغوايات، فاكتشفوا هذه الأصناف وأثيروهم من مكامنهم ونقبوا عليهم من مضانهم**»[3]. فقد كان للمومسات مراكز في أغلبها مخفية عن أنظار العامة، وأخريات تستدعين إلى المنازل بدل الذهاب إلى أماكنهن، ويصف ابن قزمان أوكارهن بقوله[4]

زهر مريم عش اينكم اهتزو   ولولوا قحبيش بالذي يهديكم

---

[1] وقوله في موضع آخر :توبة خليدة تابت من ال... و رجعت قويدة ، انظر :الزجالي عبد الله بن احمد القرطبي ، **أمثال العوام في الأندلس** ،تح محمد بن شريفة، القسم الثاني ،منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مستخرجة من كتاب ري الأوام و مرعى السوام في نكت الخواص والعوام ،ص.47 وص.149.

[2] محمد سعيد الدغلي ، **الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي** ،منشورات دار الساعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984 ،ص87 .

[3] مجهول ، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية** ،اعتنى بإصدارها ليفي بروفنسال،المطبعة الاقتصادية ، المغرب الأقصى ، 1941 ،الرسالة الثالثة والعشرون ، ص 134.

[4] ابن قزمان (محمد بن ابي بكر بن القطان) ، **ديوان شعر** ،مخطوط بالمكتبة الوطنية الج ، تحت رقم 31717 ، ورقة 34.

أما في بعض الأماكن، فقد كان للزواني ديار معدة أمام الملأ، ولم يكن الزنا فيها منكرا، كما هو الحال في حومة شرشور في فاس ،أو شروس ، في جبل نفوسة[1].

ونظرا لانتشار بيوت الحظوة كما تسمى في الأندلس[2]،وفي بعض الفنادق التي استعملت لمهنة البغاء، خاصة إستعمال المملوكات تحت التهديد والإكراه ،أو تحت إغراء المال، كما حدث في فندق مراكش[3] فقد ظهرت عدة مشاكل عرضت على الفقهاء كإسقاط الجنين من بطن الزانية[4]، التي ولدت على غير رغبة منها، أو عدم الإعتراف بالأولاد وإنكارهم، خاصة إن كانوا من أمة مملوكة[5]، حتى صاروا يشكلون عددا لا يستهان به، مما شكل لهم حرجا بالغا أمام المجتمع الذي لا يقبل بهذه الفئة، حتى قيل في أمثالهم الشعبية "**جواب أولاد الزنا السكوت**"[6].

---

[1] يقول صاحب الاستبصار :بجبل نفوسة ما منهم رجل غني إلا وله وصائف كثيرة يلبسن فاخر الثياب...و يبرزهن على الطريق للفواحش ، ولهم ديار معدة لذلك ،انظر،مجهول- من أهل القرن السادس ، **الاستبصار في عجائب الأمصار**،نشر وتعليق: سعد زغلول دار الشؤون الثقافية ،العراق ،ط1 ،ص. 145.

[2] ينظر، سامية مصطفى سعد ، **صور من المجتمع الأندلسي ، رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ،** عين للدراسات والبحوث الإنسانية ،مصر ،ط1، 1998، ص161، الطاهر مكي ، **دراسات عن ابن حزم الأندلسي كتاب طوق الحمامة** ، دار المعارف، مصر ،ص 49.

[3] وُجد الشاعر الفتح بن خاقان مقتولا في أحد فنادق مراكش الخنوية سنة 529ه/1135،وقد ذُبح وعُبث به، والمعروف أن ذلك الفندق عرف ببغاء الاماء ، أنظر، ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة ، س.5، ق.2، ص. 531.

[4] ابن الحاج ،**نوازل ابن الحاج** ، مخ. خ. ع. ر. ، تحت رقم ج 55 ،ورقة 76.

[5] كانت بعض الإماء تلجأن إلى البغاء ،من أجل المال ،ثم يدعين الإبن لمالكهن، طلبا للميراث، حول هذا ينظر: **القاضي عياض وولده، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** ،تق. وتح. محمد بن شريفة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، لبنان ، ط.2، 1997،ص.271 .

[6] الزجالي ، م س ، ص.228..

ونظرا لعدم وجود إحصائيات ميدانية تفيدنا بعدد البغايا، أو عدد الأولاد غير الشرعيين، فلا يمكن الجزم بأن العدد كان معتبرا، على الأقل في بلاد المغرب، التي كانت دون شك أكثر محافظة والتزاما إذا ما قورنت ببلاد الأندلس، التي أطنب المؤرخون في ذكر الظواهر الشاذة بها، من التغزل بالغلمان أو التشبيب التي تفشت بين طبقة الخاصة[1]، وقد صدق ابن خلدون حين شخص هذه الظواهر بقوله " **ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها ،لكثرة الترف فيتبع في ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط**[2].

نشير فقط أنه في ظل الظروف الاجتماعية الصعبة التي عاشت فيها بعض العائلات، وجدت نفسها ترتمي في حضن الزهاد المتصوفة، الذين اغتنموا هذه الظروف لاستقطاب الكثير من الفقراء وذوي الحاجة، وقد نجحوا في رد بعض النساء عن عملهن البذيء وحسنت توبتهن بعد ذلك [3].

۞ اللصوص وقطاع الطرق:

تعجز بعض الفئات في المجتمع عن تحصيل عيشها بالطرق المشروعة ، فتلجأ إلى طرق غير مشروعة ومن أبرزها اللصوصية وقطع السبيل، وشدد ديننا الحنيف على إنزال أقصى العقوبات على هؤلاء لقوله تعالى﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ

---

[1] كثرت الأشعار التي جسدت هذه الظواهر ،أنظر على سبيل المثال لا الحصر: **ديوان الأعمى التطيلي**، تح. إحسان عباس ،دار الثقافة، بيروت ، لبنان،1963م.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص. 313.

[3] طاهر الصدفي، **السر المصون**، تح حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،ط1، 1998، ص.86، محمد الشريف، **نصوص جديدة في تاريخ الغرب الاسلامي**،مطبعة الحداد يوسف،تطوان ، ط1، 1996، ص. 45.

وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى من شهر السلاح وقطع الطريق في ّقبّة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظفر به وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار، إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله[2].

هذا التشديد في العقوبة لم يكن ليردع هذه الفئة على الظهور إلى مسرح الأحداث، ولنبدأ بنهاية الدولة المرابطية التي ضرب هؤلاء بسهم وافر فيها، خاصة في فترة الإنتقال المرابطي الموحدي، حيث سادت الفوضى وحالة اللاأمن، رغم تشدد المحتسبين في مراقبة هؤلاء والتضييق عليهم من طرف الحرس والعرفاء، وصلت إلى درجة مراقبة بائعي السكاكين حتى لا يتعاملوا مع قاطعي السبيل[3]، ولم تختلف أرض المغرب عن الأندلس،حتى قال ابن الحاج القرطبي(الشهيد): نزل عندنا في بعض الأعوام خوف شديد من كثرة السراق بالليل... [4]. كما أن عمليات السطو والسرقة أخذت أكثر حدة أيام المجاعات والقحط، حيث تمركزت عصابات اللصوص في محاور الطرق التي يسلكها المسافرون، مما أثار غضب الخليفة عبد المؤمن[5]

---

[1] سورة المائدة ، الآية 33.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص. 190.

[3] ابن عبدون، م س ، ص. 59.

[4] نوازل ابن الحاج، ورقة 289.

[5] ومما ورد في رسالة الفصول قوله : وان من ذلك الرأي الذميم ما ذُكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع الى أوطانهم وعمارتها ،والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب اليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء ...،أنظر ابن القطان ، **نظم الجمان** ، ص. 194.

في صدر العصر الموحدي نقف على تشكل عصابات خطيرة، تنظم حملات منظمة، فابن الزيات يحدثنا عن أبي سليمان داود لما ذهب ليبيت عند صاحبه، سرق بيته ومتاعه، وخرب سور داره[1]، ولم تسلم البساتين والجنان من النهب والسرقة[2]،كما كان التجار لقمة سائغة لقاطعي الطريق،كما ذكر التميمي حين لجأ التجار إلى إخفاء سلعهم في نبتة السدرة، تحايلا منهم لتجنب ما كان ينتظرهم في سابلتهم، والأدهى من ذلك والأمر أن الحجاج لم يكونوا أحسن حظا، فسرق طعامهم[3]ومتاعهم ، ولاقوا منهم الأمرين، والحقيقة أن هذه الحركات لم تشبه بأي شكل نظيرتها في المشرق[4]، ونشير أن ظاهرة الخطف كانت شائعة في بلاد المغرب والأندلس في القرنين السادس والسابع للهجرة، ولا يعني شح المصادر عن الحديث حولها محدوديتها، مادامت ترتبط بفترات الفوضى وانعدام الأمن، خصوصا في شرق بلاد المغرب، والمنطقة الساحلية بين قابس وطرابلس، حتى أدت إلى صدور فتوى سقوط فريضة الحج [5]، وهو يبين مما لا يدع مجالا للشك مدى خطورة الوضع الذي وصل الى إبطال فريضة من الفرائض، وقد توعد الخليفة الموحدي المستنصر بمثل من أتى بهذه الأعمال عندما بلغه أن أحدهم أتى بعشرين أسيرا[6].

---

[1]ابن الزيات، م س ، ص. 412.

[2]نفسه ، ص. 257.

[3]مصداقا للمثل السائر: العبد إذا شبع فسق، و إذا جاع سرق، انظر ، **الاشبيهي** ، م س ، ص. 46.

[4]ظهرت في العصر العباسي والسلجوقي **حركة العيارين والشطار**، وأعتبروا من الفئات الخارجة عن المجتمع ،ولكن الفرق أن هؤلاء كان لهم دور كبير في الحياة المدنية، واضطرت السلطة في كثير من الأحيان إلى مهادنتهم ، حيث كانوا يمثلون معارضة للحكم القائم، للمزيد، ينظر: الكساندر خاتشاتريان، **أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي**، تقديم: صالح زهر الدين، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت ، ط1 ، 1998 ، صص. 45-125 .

[5]عبد الله بن مليح، **الرق في المغرب والأندلس** ، دار الإنتشار العربي، لبنان ، ط1، 2004، ص. 66.

[6] مجهول ، **مجموع رسائل موحدية** ، ص. 303 .

لقد كانت هذه المجموعات تعتمد على سياسة الكر والفر، والتصق بهم مصطلحات كثيرة كالتلصص والحرابة[1]والحلال[2]ومصطلح الشفار[3] وكان بعض هؤلاء يقومون بسرقة الحيوانات من بغال وحمير من الأسواق والبيوت، ويعيدون بيعها بأثمان أقل[4]

كما ضرب قطاع الطرق بقوة خاصة في الطريق الرابط بين تارودنت إلى نول ثم أوليل، فتحول التجار إلى الفرع الثاني منه بين سجلماسة والنيجر[5]،وتحدث أحد المؤرخين عن طائفة من أهل فاس منعوا جفون أهلها المبات وأخذوا البنين من حجور أمهاتهم والبنات [6].

واغتنم اللصوص العوارض المفاجئة ''كحريق قيسارية مراكش607هـ/1210، حين انهمك الناس بإطفاء الحريق، واقتحمتهم النيران"...**فسلبوا بعض ما ألفوه، مما سلم من الحريق، وتسللوا به على كل طريق**"[7]مما دفع بالخليفة الناصر الموحدي يبعث عيونه لاستطلاع أخبار اللصوص وتعقبهم" وأمر بالبحث على من وُجد بشيء

[1] امر عبد المؤمن كاتبه جعفر بن عطية بعد أن اشتدت عوامل الغصب وافساد السابلة ، "بالكشف عن التلصص والحرابة ، وعن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم ، ويأكلون بالباطل أموالهم ، المنوني ، م س ، ص.191.

[2]فقد أورد البيذق بصدد دخول المهدي إلى قسطنينة سماع صوت المنادي يقول: هذا جزاء الحلال، وكانت عقوبته الضرب فقط ، فأمر المهدي بتطبيق الشرع في البيذق، **أخبار المهدي**، ص. 12.

[3]الزجالي، **أمثال العوام**، ص. 14.

[4]القشتالي (أحمد بن ابراهيم بن يحي الأزدي) ، **تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان** ،تحقيق فرناندو دي جرانخا ، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، 1973،1972 ، ص. 33.

[5]مصطفى أبو أحمد ، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين** ، مطبعة دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1982, ص. 55 .

[6]ابن خاقان، **قلائد العقيان**، الدار التونسية للنشر، ط1 ، 1990، ص 77 .

[7]البيان، ق م ، ص. 258.

يذكر عليه من أمتعة التجار، فلقط من أخلاط الناس قوم قلائل، ومن بعض المتعلقين بالقبائل، فقتلوا عن آخرهم وبقي البحث عن سائرهم[1]

كما أن حزم ولاة الأمر أحيانا جعل القوافل تزاول نشاطها من جديد، وخير دليل ما فعله والي سجلماسة أبو الربيع ببعض اللصوص الذين اعترضوا طريق القوافل، فقد قطع رؤوسهم وهو يقول :

ولاغرو أن كانت رؤوس عداته   جوابا إذا كان السيف رسائله[2]

ولجأ الخلفاء الموحدون أحيانا الى تعويض المتضررين من عمليات النهب والسرقة، كما حدث مع تاجر من بجاية إعترض اللصوص سبيله ونهبوا متاعه، فرفع أمره الى الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي اقتص من العصابة، وعوض التاجر عما نُهب منه، وقال: "**هذه طريق شوك أزيلها عن المسلمين**"[3]،وعموم القول أن ظاهرة قطع الطريق وما يصاحبها من خطف وسرقة وتعدي[4] قد نشطت في فترات محدودة، محدودة، إما في فترة الإنتقال المرابطي الموحدي، أو في فترات القحط، والجوائح

---

[1] نفسه ، ص. 259.

[2] المقري ، م س ، ص. 149 ، ينظر كذلك: **رضا رافع، الاقتصاد في المغرب الأقصى في عهد الموحدين،** رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة الجزائر2، 2006-2007، ص. 104 .

[3] النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ج22 ، ص. 429.

[4] هناك عدة عمليات سرقة فردية ذكرتها المصادر الموحدية خاصة كُتب المناقب والتصوف، و لم نفصل فيها، لأنها لا تُعتبر كحرفة امتهنها أصحابها، على سبيل المثال لا الحصر عندما ترجم التميمي للحسن علي بن اسماعيل بن حرزهم ذكر أنه جاءته إمرأة وقالت له أنها سُرق مالها، فقال لها نامي واحكي ما رأيت، فقالت رأيت ديكا نقرني، فقال : سرقك المؤذن، فلما أتته مع الشيخ أقر بذلك ،وهذا يدل أن السرقة كانت حتى لمن يُظن أنهم ذو ورع، يُنظر، التميمي(أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم) ت 604هـ ، **المُستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد**،تح. محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعُلوم الإنسانية والإجتماعية،تطوان ، ط1 ، 2002، ص. 21.

والكوارث الطبيعية، أو فترة بداية نهاية الدولة الموحدية، وهي فترة الفوضى وإنعدام الأمن، وما صاحبها من أزمات اقتصادية عويصة، وهو ما يؤيد العلاقة بين هرم الدولة واستفحال الكوارث ما قامت به القبائل النافذة من عدوان ممنهج، فكانت النتيجة أن اشتد الخوف في الطرقات فأكل القوي الضعيف واستوى الدنيء والشريف، فكان كل من قدر على شيء صنعه، فكانت قبائل فازار وغمارة وصنهاجة والعرب يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمداشر[1]وأكد ابن عبد الملك هذه الحقيقة **"وضاعات المصالح وتطاولت أيدي المعتدين وعاث أهل البغي في الأرض**[2] وهي عمليات سطو عفوية غير منظمة في ظل أزمة سلطة تعود إلى هزيمة العقاب، التي كانت إيذانا بانحطاط متواصل إنتهى بسقوط الدولة الموحدية .

❁النائحات:

يُقصد بالنائحة المرأة المستأجرة للبكاء على الميت نظير أجر معين، وقد حرمت هذه المهنة المشينة في الإسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم" أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر في الأنساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة"، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب[3]

---

[1]ابن ابي زرع، م س، ص38 ، عبد الهادي بياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس**، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 2008، ص. 88.

[2] ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب الأقصى، القسم الأول ، 1984، ص. 176.

[3]صحيح مسلم ، **باب التشديد في النياحة** ، حديث رقم 1550، ج5 ، ص8 .

لهذا ثبت أن الميت يعذب في قبره إذا قالت النائحة واعضداه، وانصراه[1]، كما أن صرف المال إلى النائحة يعد من الإسراف، وهو محرم شرعا، لأنه من عوائد الجاهلية.

وبالرغم من ذلك ُعرفت هذه المهنة المتهتكة في المشرق كما في المغرب[2] مع تشابه كبير في المظهر[3]، أما عن كيفية النياحة، فإنها لم تختلف كثيرا في شكلها عبر مختلف العهود، وعادة ما تجتمع النسوة النائحات في موضع عال من البيت، أو في صحن الدار، وينتظمن في دائرة ويتماسكن بالأيدي، ثم تأتي نائحة منهن فتسخم وجهها وصدرها (سخام المقلاة أي سوادها)وتعمل النسوة كمثلها، وقد شعثن شعورهن، وليس عليهن إلا قمصانهن، وقد شقت حتى سرتهن، وتقف النائحة في الوسط، وتبدأ في تعداد خصال الميت، وتعيد النسوة أقوالها بصوت حزين، وتكررن ذلك حتى يحمل الميت إلى قبره[4].

---

[1] الذهبي ، **كتاب الكبائر** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ن ط1 ، ص 76.

[2] تسمى النائحة في بلاد المشرق عموما ب:**اللاطمة**، وبدأت هذه المهنة بالتناقص مع بداية القرن الثامن هجري ، للمزيد حول الموضوع ، يُنظر، ظافر القاسمي، **المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصناعات الشامية**، مجلة التراث العربي ، العدد الأول ، نوفمبر 1979، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ص. 126 .

[3] قيل ليحي بن عمر: إذا اجتمع النسوة حلقة للبكاء قياما بالصراخ العالي ولطم الخدود عند موت الرجل أو بعده بأيام وفيه نوائح... فأجاب: أرى أن يعاقبن ولا يبيح لهن ما لا يحل لهم، أنظر، يحي بن عمر الأندلسي، **كتاب أحكام السوق**، نشر محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الرابع، العدد 1و2 ، 1956 ، ص. 125.

(1)معجم دوزي، ج 5 ، ص. 187 .

كما عُرف عن الأندلسيين عادة غريبة عند خروج الميت من منزله، وتسمى الصيحة العظيمة، ويشترك فيها كثير من النائحات، وحتى الرجال، ويسمون ذلك وداعا للميت وقياما بحقه[1].

وقد إستدعى الأمر كثيرا تدخل المحتسبين، حين يرون خروج النائحات حاسرات الرأس مكشوفات الوجوه، فيمنعوهن السير وراء الجنازة، ويزجر من يشجعهن على ذلك[2]، ويتضمن الندب تعداد محاسن الميت، مع رفع الصوت[3]، وهذا الشكل من الندب يعرفه أهل المغرب والأندلس على حد سواء، أما مقدار الأجر الذي يتقاضونه، فمعلوم أنه يختلف حسب الوضع الاجتماعي لأهل الميت، وإن كانت النائحات لا تشترطن مبلغا معينا، إنما تتركن ذلك لسخاء الورثة، وغالبا ما يرضون بما يُعطوا، نظرا لوضعهم الاجتماعي المزري في أغلب الأحيان، ونشير الى مهنة أخرى وتُسمى: **ضامنة المغاني**، وهي المرأة التي تُعطي الإذن للنوائح (والمغنيات كذلك) بممارسة مهنتهن[4] نظير ضريبة، ويبدو أن هذه المهنة قد عُرفت في مصر فقط، ولم تذكرها المصادر المغربية المتوفرة .

۞ الواشمات:

نهى الشرع الحكيم عن الوشم، لما فيه من تغيير لخلق الله، وقد ورد في كتب الصحاح أحاديث تنهى عن هذا العمل المشين، فقد روي عن النبي ﷺ عن إبن

---

(1) ابن الحاج، م س، ج3، ص. 257، عصمت عبد اللطيف دندش، **دراسات أندلسية، من مظاهر الحياة الإجتماعية بالأندلس طقوس الجنائز**، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009، ص. 202.

(2) السقطي، رسالة في الحسبة، **ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحتسب**، ص. 48 .

(3) البهوتي (منصور بن يونس)، **الروض المربع شرح زاد المستنقع**، دار الفكر ، بيروت ، ط6 ، ص. 106 .

(4) ابن الحاج ، م س، ج2، ص. 145.

مسعود قوله "**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، ما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله**" [1].

فظاهرة الوشم قد عرفت منذ القديم عند الرجال والنساء، وإن كانت عند النساء بشكل أكبر وأوضح، بحكم حرصهن على زينتهن و تغيير شكلهن.

ولم يختلف الأمر في بلاد المغـرب والأندلس، فقد برز دور الواشمة خاصة في الأفـراح والأعراس، حيث تلجأ النسوة إليها قبل الإحتفال بأيام، معتبرين الوشم غالبا طريقة من طرق التزيين، أو طريقة من طرق الحزن أحيانا أخرى، أما عن كيفية الوشم، فتقوم الواشمة بشق الجلد، ثم تحشي الجرح بالكحل ــ الخاص بتزيين العيون ــ حتى يخضر[2]، ليجف بعد ذلك، وتتقاضى أجرا نظير عملها، أو تشترطه قبل بدأ وشمها، ويبدوا أن ظاهرة الوشم كانت بعدوة المغرب أكثر من نظيرتها بالأندلس، بحكم ارتباط الظاهرة بعوائد البداوة عموما.

۞المتسولون:

يقف الدين الإسلامي موقفا واضحا وصريحا من التسول، ويفضل الكسب على التسول، ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يذكر الصدقة

---

(1) صحيح البخاري ، ج 18، **باب المستوشمة**، حديث رقم 5492، ص. 322 .

(2) نوارة شرقي ، **الحياة الاجتماعية بالغرب الاسلامي في عهد الموحدين**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2 ، 2007-2008 ، ص. 137.

والتعفف عن المسألة قوله" **اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة واليد السفلى السائلة"**[1].

وبغض النظر عن مشروعية التسول، تبقى شريحة المتسولين تشكل طبقة لا يستهان بها في أي مجتمع، ولا يختلف الأمر في الدولة الموحدية، لكننا نقف أمام إشكالية نقص المادة الخبرية، حتى وصفها أحد الباحثين أنها أكبر شريحة تعرضت للنسيان والطمس والإهمال بحجة عدم تأثيرها في العملية الإنتاجية، والأكثر من ذلك أنها تشكل عبئا ثقيلا على كاهل الدولة[2]،وتبقى النافذة الوحيدة للولوج إلى تاريخ هذه الفئة هي كتب المناقب والتصوف، بحكم تعاطف وتعامل المتصوفة مع الفقراء والمساكين[3]

بداية يجب الإقرار أن ظهور التسول مرده إلى أمرين أساسيين :

أولا: وجود طبقية في المجتمع، تحتم ميلاد شريحة لا حول لها، وليس لها أي مصدر للدخل، وهو مايدركه الخلفاء الموحدون، إذ يهرعون إلى الصدقات في

---

[1] صحيح مسلم، الجزء 5، الحديث رقم 1715، ص. 234.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش ، **المتسولون في المغرب و الأندلس** ، ضمن كتاب : **الإسلام السري في المغرب العربي** سيينا للنشر، مصر، ط1 ، 1995، ص. 161.

[3] يرى كثير من الصوفية أن الجوع و العطش هما الخطوة العملية لتطبيق الطريق الصوفي ، فقالوا في ذلك: جعل الله في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة، وقالوا في الفقر : من ادعى حب النبي ﷺ من غير محبة الفقر فهو كذاب، وغيرها كثير من أقوال الصوفية، حول هذا والردود العلمية والدينية حولها ينظر: خالد كبير علال "**نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف – قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف بكل مقوماته"**، دار المحتسب الجزائر ، ط1، 2014 .

المناسبات، والنماذج كثيرة، "كما فعل يعقوب المنصور عندما أخرج مئة الف دينار ووزعها على الضعفاء من بيوتات أهل المغرب"[1]

ثانيا: وجود أزمات أو كوارث وجوائح[2]، تخل بالنظام الاجتماعي والاقتصادي للعامة.

وقد ورد في رسالة الحسبة لابن عبدون بصدد حديثه عن السعاة (ويقصد بهم المتسولين)"**لايترك ساع يسعى في رحاب الجامع إذا أرقى الإمام على المنبر يخطب**"[3]،وبالتالي فهؤلاء يستغلون المساجد والجوامع لاستدرار عطف المصلين، إضافة إلى الأسواق، فهذا أبو العباس السبتي أحد الأولياء المشهورين في مراكش الموحدية إعتاد الجلوس في أسواق مراكش، لحض الناس على تقديم الصدقات، فتنهال عليه، فيوزعها على المتسولين[4]، وفي نفس السياق نجده لا يستسيغ العشاء لما وجد مسكينة لم تتعش، فرفع إليها عشاءها، وجعل لها فراشا تنام عليه[5]، مما يظهر أن التسول لم يكن حكرا على الرجال فقط.

كما استغل المتسولون المناسبات الدينية كفرصة ثمينة تضمن لهم مدخولا من المحسنين، كيوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف والعيدين، كما حدث مع أحد المتصوفة، عندما شاهد عددا من المتسولين بالمسجد الجامع بمدينة فاس[6].

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي ، م س ، ص. 137.

[2] **ينظر**: الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، المغرب ،2002 .

[3] ابن عبدون ، م س ، ص. 24 .

[4] ابن الزيات ، م س ، ص. 452 .

[5] نفسه ، ص. 466.

[6] نقسه ، ص. 467.

وقد يعزو التسول كذلك إلى بعض الظروف القاهرة التي تعتري أي أسرة من العامة أو الخاصة عموما، كالمرض أو كثرة العيال، أو التعرض لأزمة خانقة مفاجئة، ويمكننا أن ندرجه كتسول مؤقت إن صح اللفظ، ففي سياق الحديث عن أحد المتصوفة وهو "أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي" الذي وقف ببابه رجل يشكو كثرة عياله والمرض، فأمر أحد مريديه بإكرامه[1]، ووصل الحد بكثير من المتصوفة إلى التصدق بكل ما يملكون، والأمثلة على ذلك جمة في كتب المناقب والتصوف[2]، كما كان كثير من المحسنين يحبسون ديارا على المساكين[3] وتجندهم يبدو واضحا أيام المجاعات والفتن، فسخروا أنفسهم وما يملكون،كما حدث في المجاعة التي بالمغرب سنة 553هـ أن قام أحد المتصوفة بجمع الأموال من أعيان مدينة بجاية، وفرقها على المتسولين ٍوجعل قيما يقوم بهم وأغناهم عن السؤال[4]، وهذه زوجة أبي يعقوب يوسف بن محمد الأنصاري المعروف بالحكم تصدقت بالطعام الذي اشتراه زوجها ليفطر به، فسهر من شدة الجوع[5].

ولعل ما يبين هشاشة الوضع الطبقي في العهد الموحدي، أن كثيرا من الأعيان والوزراء بعد نكبتهم أو مصادرة أموالهم "**أصبحوا يتكففون الناس حيارى على الأقطار**"[6]، وبالتالي فقد أضيفوا إلى طبقة المحتاجين والمتسولين، ويفيدنا المقري

---

[1] التميمي الفاسي،**المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها**، ق2، تح محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان ، ط1 ، 2002 ، ص. 34.

[2] ابن الزيات، م س ، ص. 190- 191.

[3] أنظر الجزيري، م س ، ص. 287.

[4] ابن الزيات، م س ،ص.429، إبراهيم القادري بوتشيش، **النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي**، منشورات كلية الآداب، مكناس، ص. 14.

[5] ابن المؤقت ، م س ، ص. 132.

[6] ابن عذارى المراكشي، **البيان، قسم الموحدين** ،ص. 258.

بصدد الحديث عن أهل الأندلس بمعلومة تبين إختلاف هؤلاء عن أهل المغرب في نظرتهم للمتسولين، بحيث إذا رأوا أحدا يسأل الناس شتموه وأهانوه، إلا أن يكون ذا عذر يمنعه عن الكسب[1].

من خلال هذه الأمثلة، يمكن الخروج بمجموعة من النتائج يمكن حصرها في:

- عجز السلطة الموحدية عن تحقيق العدل المنشود الذي نادت به في بداية دعوتها، رغم سخاء الخلفاء الموحدين في هذا الميدان[2]، إلا أنه لم يكن سوى ذر الرماد على العيون .
- وضوح طبقية بينة في المجتمع الموحدي، خاصة في النصف الثاني من عمر الدولة الموحدية، وانعدام الثقة في الحكام، الذين فشلوا في تحقيق عدالة إجتماعية[3].
- الإهمال التام من خلال المصادر الكلاسيكية المتوفرة في ذكر الطبقات الهشة، كون المؤرخ الوسيط ظل رهين الإيديولوجية الحاكمة[4]، وعجزه عن نقل الواقع الواقع بقصد أو بدونه .

---

[1] المقري، نفح الطيب، مج 1، ص 220، عيسى بن الذيب، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دراسة اقتصادية واجتماعية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2008- 2009، ص. 199.

[2] ما كان يفعله الخلفاء من أعمال الصدقة في المناسبات وعند خروجهم للغزوات وغيرها .أنظر حول هذا، المراكشي **المعجب**، ص.123وما بعدها .

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، **الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية خلال عصر المرابطين، ضمن ندوة جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط**، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1991 ، ص. 102 .

[4] أحمد الطاهري، **طبقة العامة في المجتمع الإسلامي الوسيط، إمكانية البحث من خلال النموذج الأندلسي**، ضمن ندوة جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس ، 1991 ، ص. 71.

- إرتبطت طبقة المتسولين بعدة شرائح كالبطالين وأصحاب العاهات واليتامى والفقراء والمعوزين والكسالى والمنكوبين والمعاقين والمعاقبين، وغيرهم، هذه الطبقة ما فتئت تتوسع يوما بعد يوم[1] .

ولم تتمكن طبقة المتسولة من بلورة وعي سياسي موحد[2]، للدفاع عن كيانها المتدهور وهو شيء منطقي، كونهم لا يتوفرون على كفاءات كفيلة بذلك، كما أن بروز الدور الكبير للمتصوفة في مساعدة هذه الفئات، ساعد في تعرية وإدانة ومحاسبة السلطة الموحدية، ومطالبتها بحل الأزمات الاجتماعية للعامة، وتبلور ذلك في الكم من النصوص المناقبية، يبين دون شك أن للتصوف سلطة تفوق سلطة الخلفاء أحيانا لدى العامة[3] .

إن هذه الحقائق بينت وجود ظاهرة التسول كحرفة لها أصولها،ولا يمكن عزلها عن النسيج المشكل للطبقة المقموعة إبان العهد الموحدي،وما أبقاها كشريحة صابرة قانعة هو ذلك التضامن الذي لقيته من مختلف المحسنين[4]، والنصوص دالة على ذلك[5]، وتبقى هذه الشريحة بحاجة إلى دراسة مفردة لتُعطى حقها من التحليل والنقاش كونها لا تزال من المواضيع المسكوت عنها.

❁صنع الخمور وبيعها:

[1]أحمد المحمودي ، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، ص 90.

[2] نفسه ، ص 91.

[3] محمد حلمي عبد الوهاب، **ولاة وأولياء في اسلام السلطة في اسلام العصر الوسيط**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1 ، 2009، ص. 444 .

[4]ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير** ،تح محمد الفاسي، الرباط، 1965،ص. 25.

[5] أنظر الملحق الخاص بتحبيس أحد المحسنين لصالح الفقراء والمساكين .

عرف المجتمع العربي الخمر في الجاهلية والإسلام كما عرفتها شعوب الأرض قاطبة وتفننوا في أسمائها[1]، فباعوها وشربوها ووصفوها في أشعارهم، ولم يختلف الأمر عند الشعوب المغربية والأندلسية، سواء قبل الاسلام أو بعده ، وقد حرم الإسلام الخمر في آيات صريحة منها قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١[2]﴾. ونفس الشيء يقال عن كل مسكر[3]، وعلى هذا الأساس حرم الإسلام كل مشتغل فيها، وسار المحتسبون على هذا الحكم في تحريم كل ما له علاقة بعمل الخمور[4].

---

[1] من أسمائها الكثيرة: الراح، العقار، الصهباء، المدام، المشعشعة، الرحيق، الكميت، الشمول،القرقف،الخندريس وغيرها، يُنظر، سليمان حريتاني، **الخمرة وظاهرة انتشار الحانات و مجالس الشراب في المجتمع الاسلامي**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996 ، ص. 8.

[2] سورة المائدة ، الآية 90-91.

[3] اختلف الفقهاء في حكم النبيذ وما شابهه، حيث ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل الى تحريمه وتحريم جميع الأنبذة المسكرة من نبيذ التمر والزبيب والشعير والذرة والعسل وغيرها، أما أبو حنيفة ففسر الخمر بعصير العنب فقط، وأداه اجتهاده إلى تحليل بعض أنواع الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب إن طبخ وشرب منه قدر مالا يسكر، وقد تبعه في هذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي حلل النبيذ واتبعه عامة الكوفيين، حول الموضوع انظر: سليمان حريتاني، **الخمرة** ... ، صص. 60-67 .

[4] وصل المنع الى قدور النحاس التي تعمل للنبيذ ، للتضييق على اهل الخمر، يحي بن عمر ، م س ، ص. 123.

في العهد المرابطي انتشرت صناعة الخمور، ولم يلجأ الملثمون إلى منع الخمور إلا بعد تفاقم الثورة الموحدية[1]، بالرغم من إقبال الأمراء منهم على معاقرة الخمر، وأنفقوا في ذلك الأموال الطائلة[2].

وبمجيء الموحدين، بدأت حملة المنع من خلال قطع صناعته، وقد نبه المهدي بن تومرت إلى خطره من خلال رسائله إلى الموحدين، نظرا لأن قبائل المصامدة كانت تتخذ من العنب شرابا خائرا تتناوله باستمرار، حتى تنبهوا أن مفعوله لا يختلف عن الخمر، حتى أن اُلرب كان يباع في مراكش وعرف مكانه بباب الرب[3]،حتى قال قائلهم لما زار مراكش في هذا العصر:

يطوف التجار بمراكش طواف الحجيج ببيت الحرام

تروم النزول فلا تستطيع لشرب الخمور وهتك الحرام

وعرف المشروب بالسوس الأقصى بأنزير، وهو ُربٌ حلو يسكر سكرا عظيما، لأنه يهيأ بطريقة خاصة وأجازوا شربه[4]خاصة في جبل درن نظرا لشدة البرد في الجبل وثلجه[5]ويبدو من خلال الإشارات المتوفرة أنه ظل مستعملا في العهد الموحدي،

---

(1) حتى أن المراكشي وصف أواخر عهد المرابطين باستيلاء النساء على مقاليد الأمور، وصارت مشتملة على كل صاحب خمر وماخور وهو الحانوت الخاص بشرب الخمر، المراكشي، م س، ص 135، عز الدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط2، 2003، ص. 241.

(2) ابن سعيد المغربي، **المقتطف من أزاهر الطرف**، تح سيد حنفي حسين، القاهرة، 1983، ص.257.

(3) يعرف الرب في اسبانيا حتى اليوم باسم ARROP ، انظر، ابن صاحب الصلاة، المن، ص. 171هامش 2.

(4) الادريسي ، م س ، ص. 228.

(5) مجهول، **الإستبصار في عجائب الامصار**، ص. 211.

ولو خفية[1] ويبدو هذا بوضوح في رسالة الفصول التي بعثها عبد المؤمن بن علي، حيث ورد فيها " ...**والله الله في البحث عن الخمور وتقديم النظر في أمرها ...فإنها مفتاح الشرور...وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب، وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك واقتصارهم**[2]

كما تعرض بعض رجال الخاصة للعقوبة بسبب تعاطيهم للخمر، كما حدث للوزير عبد السلام الكومي، الذي سُجن من طرف عبد المؤمن بن علي[3] مما يبين أن مواضع بيع الخمور بقيت متداولة، وإن كانت غير ُمعلنة، حتى أن ابن الزيات قد أشار الى وجود حرفة اصطلح عليها: **الخمار**، بمدينة فاس، والمقصود به الذي يشتري العنب ويعصره وبيعه مسكرا[4]حتى صار بعض الناس يشربون المسكر بكل ما اجتمع عندهم من الأجرة[5]

وفي النصف الثاني من ُعمر الدولة صار يُ جاهر بالخمرة علنا، حتى من السادة الموحدين أنفسهم، بل والأدهى من ذلك أن أجبروا شربها لمن استحرمها، كما

---

[1] الحسين أسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي** ،مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ،ط1، 2009. ص. 27 .

[2] أحمد عزاوي، **رسائل موحدية** ..، م س، ص. 66.

[3] البيان المغرب، ق م ، ص. 67.

[4] وردت الإشارة في ترجمة أبو عمرو عثمان ابن عبد الله السلاجي(ت564هـــ)، ابن الزيات، م س، ص.201،.

[5] نفسه ، **ترجمةرقم**: 249، ص. 423.

حدث مع الرحالة الشهير محمد ابن جبير(ت614هـ)الذي وجد نفسه يشربها رغما عنه[1]

ويفيدنا ابن بسام[2] أن عصر الموحدين شهد تأنقا وتفننا في صناعة كؤوس الخمر، على أشكال وهيئات مختلفة، حتى أنها وشيت بالذهب، لكي تغري الناظرين على حد قول الشاعر :

وكأس من الليل مخلوقة   تبدت من التبر فيها نجوم .

وعموم القول، أن الموحدين رغم سياستهم التي ترتكز على الأساس الديني، إلا أنهم لم يفلحوا في الحد من تجارة الخمور، على الأقل في النصف الثاني من عمر الدولة، وإن كان بعض الباحثين يعتبر أن "**معاقرة الخمر كانت من أجلى ظواهر الإنحراف التي ميزت القرن السادس الهجري كذلك**[3] في عدوة المغرب بالذات ،إضافة إلى العدوة الأندلسية التي صار فيها الخمر من المشروبات العادية والمتداولة، وصار مصدر رزق لكثير من الناس، من خلال صنعه وبيعه ،نتيجة للتحولات الإجتماعية والإزدهار العمراني، الذي ميز كثيرا من المدن الموحدية، ولعلنا نعتبر هذا من أهم أسباب تبني الأفكار الدينية التي قامت من أجل الإصلاح، وعلى أساسها قام الفكر الصوفي.

---

[1] إستدعى السيد أبو سعيد الرحالة لأن يكتب كتابا عنده، وهو على شربه، فمد يده الى الكاس، فأظهر الانقباض وقال: يا سيدي ما شربتها قط، فقال له: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة منه شرب سبع كؤوس، فملأ له السيد الكأس من الدنانير، وصب ذلك في حجره، ابن الأبار ، **التكملة** ،ق2، ج2، ص. 109.

[2] ابن بسام ، **الذخيرة** ، ج6، ص. 467.

[3] عبد الجليل العلمي، **في أصول التصوف بالمغرب (القرن السادس الهجري/الثاني عشرميلادي)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2014، ص. 61 .

۞ السحرة والمشعوذون والكهان والمنجمون:

السحر في اللغة هو كل شيء خفي سببه[1]، وفي الاصطلاح هو علوم بكيفيات إستعدادات تقتدر بها النفوس البشرية في التأثير على العناصر بمعين أو غيره، فالعلم الأول يسمى سحرا والثاني طلسمات[2]، وبالتالي فهو نوع من التخيل والحركة[3]،وقد أكده القرآن الكريم في كثير من الآيات يقول الله تعالى[4] ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وأكدت السنة الشريفة تحريمه واجتناب رواده، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **"إجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك والسحر..."**[5]

من خلال هذا الدليل من النص، يبدو أن الحكمة من النهي عن إتيان الكهان والسحرة، أنهم يتكلمون في غيبيات لا علم للناس بها، وقد يصادف بعضها الإصابة،

---

[1] عمر سليمان الأشقر، **عالم السحر والشعوذة**، دار النفائس، الأردن، ط3، 1997، ص.69 .

[2] ابن خلدون، **المقدمة** ، ص. 356.

[3] علي عبد العال الطهطاوي، **أسرار السحر والاستخارة وضرب الرمل وقراءة الفنجان**، دار الروضة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1، ص. 60.

[4] سورة البقرة ، الآية 102.

[5] رواه البخاري، كتاب الوصايا في قوله تعالى﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ رواه مسلم، رقم الحديث 89.

فتتحقق، فتأثر في بعض ضعاف النفوس والجهلة من الناس[1] فيؤمنون بهم، فيكفرون كفرا عظيما .

كما أنهم بسحرهم يفرقون بين المرء وزوجه، والأخ وأخيه، ويبعدون الإنسان عن ربه فينبغي حسب ابن **خلدون"أن تُحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول**"، لأن مزاوليها عجزوا عن الكسب بالطرق المباحة فلجئوا الى السبل المنحرفة[2]

بالنسبة لتاريخ هذه الفئة بالمغرب الإسلامي، فغالبا ما يكتنفها الغموض والإبهام، لأن المؤرخين اعتبروا هذه الظواهر مروقا وخروجا عن الدين، لذلك نجدهم يتكتمون عن ذكر التفاصيل إلا في القليل والنادر عندما تؤثر هذه الفئة في موازين القوى السياسية، كما نجد الفقهاء يحرمون الاشتغال بالسحر، وأخذ الأجرة عليها [3]، وبالرغم من أن هناك فروقا واضحة بين السحر والطلسمات والرقى والعزائم والاستحضار والكهانة والتنجيم، إلا أن العامة لا يفرقون بينها[4]، والمهم عندهم هو التعرف على المجهول والمستقبل.

---

[1] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **تبليغ الامانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة**، تح. وتع. محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، لبنان ،ط1، 2008 ،ص.261.

[2] ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص. 476.

[3] كما حدث مع حركة صالح بن طريف البرغواطي ، حول هذا ينظر ،ابراهيم القادري بوتشيش ، **حركة المتنبئين والسحرة في الغرب الإسلامي**، ضمن كتاب **الإسلام السري في المغرب العربي**، سيينا للنشر ،المغرب، 1992،صص. 12-44.

[4] **الطلسمات**: هي تخريج القوى السماوية بالأرضية **والرقى**: هي الإستعانة بالرقى، **والعزائم**: هي الإستعانة بالأرواح ،**والإستحضار**: هو تسخير الجن وإحضارالأرواح ،**و الكهانة**: هي الإخبار عن الحوادث غير الحاضرة ،**والتنجيم**: هو الإستعانة بالنجوم للإخبار عن الغيبيات، أحمد بن مصطفى، م س ، ص.479 .

غير أن الإلتباس الذي يقع عند الكثير، هو بين علم النجوم أو الفلك، القائم على قواعد ومناهج وأدوات علمية، وهذا العلم مباح مطلوب، وقد تطور بشكل لافت في عصر الموحدين وبين علم التنجيم المرتبط بالأشكال الغيبية كالعرافة والتنبؤ، وهذا هو العلم المنبوذ والمحرم، لأنه يتدخل في علم الغيب .

في العهد المرابطي، تعطينا المصادر معلومات مهمة عن إعتنائهم بالمنجمين والعرافين فيوسف بن تاشفين وظف المنجمين في القضايا السياسية والعسكرية، حيث تنبئوا له بتعرض العاصمة الجديدة مراكش لخطر الحصار خاصة في مصادر المياه، وكما هو الحال مع الوزير مالك بن وهيب الذي كان عرافا لعلي بن يوسف، وتنبأ بظهور المهدي بن تومرت وأنه سيكون السبب في الإجهاز على الدولة المرابطية[1]، وفوق هذا تنبأ بأنه سوف يغير شكل العملة من المستديرة الى الشكل المربع[2]، والأمثلة على هذا المنوال كثيرة في المصادر المعاصرة للدولة المرابطية .

في عهد الموحدين، يبدأ أمر هذه الفئة بالزعيم الروحي المهدي بن تومرت، الذي قال عنه المراكشي الذي عاصره "... **وكان أوحد عصره في علم خط الرمل مع أنه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين**" [3]، ويقصد هنا رحلة المهدي إلى المشرق في طلب العلم، ويلاحظ أن هذا العلم قد إنتشر بشكل كبير في جنوب المغرب

---

(1) المراكشي، م س ، ص. 272.

(2) حول هذا ينظر :إبراهيم القادري بوتشيش ،**علم_النجوم والفلك والتنبؤ بأحداث المستقبل في بلاد الغرب الإسلامي_خلال عصري المرابطين والموحدين** ،بحث منشور ضمن كتاب، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب_الإسلامي** ،دار الطليعة ،بيروت ،ط1 ، 2006 ،صص.104-115.

(3) المراكشي، م س ، ص. 243.

الأقصى، خاصة قبيلة أزقار، هذا ما أكده الرحالة الإدريسي من خلال تجربته الشخصية على حد قوله[1] .

كما برز نوع من المشعوذين إدعوا فك الطلاسم من خلال النظر في كتف الشاة[2]، وتخصص بعض الدجالين المعروفين بإسم المتوسمين، في تفسير أسرار الطبيعة المكنونة في الكتف ،"وهذه الهالة سخرها المهدي بن تومرت كذلك لاستقطاب قاعدة شعبية عريضة من العامة"[3]كما برع الزناتيون في علم الأكتاف حيث كانت لهم معرفة وحذق وكياسة ولا يُدرى من الأمم أعلم منهم بعلم الكتف[4]واتخذ كثير من الناس السحر والشعوذة كوسيلة للتكسب السهل والسريع، وقد نقل لنا ابن الخطيب نصا بالغ الأهمية حول أحد المنجمين وهو واقف بين الناس ممتدحا قدرته الكبيرة في التنجيم وقراءة المستقبل، ومما قاله هذا المدعي" **أنا استذكرت بالأنبار، فرحة الإقبال وترحة الإدبار، وطالعت أقليدس فاستنبطته، وصارعت المجسطي فجسطته، وارتمطت إلى الأرتماطيقا، وأطقت الألوطيقا، ولحظت التحليل بحلّ ما عقده، وانتضيته ما مطل به الجهابذة فنفّذه، وعاينت زحل، حين استقلّ على بعيره ورحل**"[5]

---

[1] الإدريسي، م س ، ص. 48.

[2]علم الأكتاف هو علم يبحث في الخطوط والأشكال التي تُرى في أكتاف الظأن والمعز، إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالاتها على أحوال العالم .أنظر، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسماء الكتب والظنون**، دار العلوم الحديثة، بيروت ، د ت، ص. 141 .

[3] عبد الهادي بياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6-8هـ)** ، دار الطليعة ، بيروت، ط1 ، 2008، صص. 150_151.

[4] الإدريسي، م س ، ص88، حول الموضوع يُنظر، رضا بن النية، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005، ص61وما بعدها .

[5]وأكمل: وضايقته في ساحته، وحصرته في مساحته، وحضرت قرانه، وشهدت تقدّمه ومرانه، وشاهدته شفرا بشفر، وناجاني برقا يعدّ في الكفر، وتخريبه لملك الصّفر، وتفريقه لبلاد اللّطينة، وإنجاز الوعد في فتح قسنطينة. أنا

ويبدو من هذا النص أن المنجمين يبالغون في السجع المتكلف، ويمتدحون قدراتهم بشكل لافت، حتى يثق فيهم ضعاف العقول والنفوس، ويتخذون من الأسواق أماكن لجمع الناس حولهم، ولم تشر المصادر الموحدية المتوفرة إلى إتخاذ الخلفاء الموحدين لإجراءات خاصة للحد من عمل هؤلاء المشعوذين، بل والأكثر أن بعض الخلفاء والأمراء قد إتخذ لنفسه منجما، كما حدث مع الأمير أبو الحسن السعيد الذي نهاه منجمه عزوز عن الخروج الى إفريقية[1]ولكن الأكيد من بعض الأمثال الشعبية المتداولة في الغرب الإسلامي عموما أن المحتسبين عاقبواالمشعوذين بالضرب المبرح والتقييد بالحبال[2]

كما بين الفقهاء تحريم الإشتغال بالكهانة وأخذ الأجرة على إدعاء الغيب من خلال النوازل الكثيرة الواردة اليهم[3]الشيء الذي يبين جهل البعض بالحكم الشرعي من هذه الحرفة، والسذاجة التي ميزت الكثير ممن كانوا يأتون هؤلاء السحرة والمنجمين.

عقدت رشا الدّلو، وذروت غبار الحوت للفلو. أنا اقتدحت سقط الجوزهر، فلاح بعد خفائه وظهر. أنا استثرت الهلال من مكامن سرره، وأخذت عليه ثنايا سفره، وقددت قلامته من ظفره، ودللت طير الصّاير على شجره، فجنيت المرّ من ثمره، أنا طرقت الزّهرة في خدرها، وصافحتها من الفكرة بيد لم تدرها. أنا أذكيت على ذكاء فظلّت تلتهب، وأحرزتها من الوهم شطنا أجذبها به فتنجذب. أنا أنعى للمعتبرين حياتها، فيشبهون الحسنة ويتحرّون أوقاتها، حتى تنتشر بعد الطيّ حياتها، وتستقيل من العثار آياتها. أنا انتضيت للشباب شرخا وأضرمت للمرّيخ عقارا ومرخا، حتى أتغانى بملاحم حروبه، وحوادث طلوعه وغروبه، وتلمّظه إلى النّجيع ، وولوغه في مهجة البطل السّجيع. أنا أبرى من اللّمم، وأشفى من الصّمم، وأنقل العطش إلى الشّمابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج2 ، ص. 285.

[1] ابن عذارى ، البيان، ق م، ص. 385.

[2] ومن الأمثلة المتداولة قولهم: ضرابة الخفيف المقرع والتكتيف (**أمثال العوام**، مثل رقم 1632)، والخفيف يعني الرصاص، ويستخدم في الزجر والسحر وهي طريقة لمعرفة الغيب، وامتدت هذه الطريقة إلى أوربا كذلك، أنظر، دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ج1، ص. 385.

[3] الونشريسي، **المعيار**، ج 12، ص. 55_56.

۞لاعبو النرد:

معروف عند الفقهاء المسلمين تحريم النرد ولعبه، وكل مال تعلق به فهو حرام ويدخل في الكسب غير الحلال، فقد رُوي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله **"من لعب بالنردشير فهو كمن غمس يده في لحم الخنزير ويده"**[1] والعلة في تحريمه أنه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ويصُد عن ذكر الله والصلاة، وهو من القمار المنهي عنه[2]

في الغرب الإسلامي لم تُشر المصادر صراحة إلى من إحترفوا هذه الحرفة المحرمة ولكن يمكن إستنتاجها ضمنا، من خلال إشارات كتب الحسبة النظرية،وقد أشار إبن عبدون إلى هذه الفئة التي اتخذت من القمار مصدرا لدخلها، ويبدو أنها واصلت نشاطها في العصر الموحدي، خصوصا بالأندلس لقرب أهلها من عوائد الحضارة والتأنق والبذخ .

۞ عمال المكس:

المكس يعني في اللغة النقص والظلم في جباية الأموال، وفيها قول الشاعر جابر بن حنى التغلبي:

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم[3]

---

[1] رواه مسلم ، رقم الحديث 2260.

[2] السخاوي (أبو الخير شمس الدين محمد) ت 902هـــ، **عُمدة المُحتج في حُكم الشطرنج**، حققه وعلق عليه أسامة الحريري، نذير كعكة، دار النوادر، دمشق ، ط1، 2007، ص. 146.

[3] الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت1205هــ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، حققه مجموعة من المؤلفين، دار الهداية ، مصر ، ط1، 1986، ج16، ص. 514.

وفي الإصطلاح يقصد بالمكوس الضرائب التي تُفرض على البائعين، ويسمى المكاس بالعشار، وقد وردت أحاديث نبوية في ذم المكس وتحريمه، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **لا يدخل الجنة صاحب مكس**"[1]،فصاحب المكس هو آخذ أموال الناس بغير حق، خصوصا في جمع الضرائب[2]كما وجدت ضرائب أخرى ُعوفت بالقبالات[3]وهي من باب الحرام كذلك .

بالنسبة للعهد المرابطي، نقف على إشارات كثيرة تبين كثرة المكوس، خاصة في أواخر الدولة، منها ما ذكره الإدريسي أن المرابطين قد فرضوا القبالات والمكوس على كل الحرف دون تمييز بين الهامة منها والمتواضعة، حتى إن تجارة الجراد نفسها لم تنج من هذه القبالة[4]كما فرضت على المشتغلين بالتجارة خاصة مع بلاد السودان ضريبة خاصة مقابل تأمين طرق القوافل[5]وقد إعترض المهدي بن

---

(1)حديث حسن، أخرجه الامام أحمد في مسنده(150/4)، والدرامي في سننه(393/1)، والحاكم في مستدركه(404/1)، والطبراني في الكبير(317/17).

(2)قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق إمرأة زنت:"**لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لتاب الله عز وجل عليه**" ، حول الموضوع يُنظر، السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـــ)، **ذم المكس**، تحقيق مجدي فتحي السيد دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1991.

(3)**القبالات** :مفرها قبالة والقبيل هو الكفيل بتحصيل الخراج وأخذه لنفسه مقابل قدر معلوم يدفعه، وهو ما يُعرف بنظام **الإلتزام** ليستفيد السلطان من تعجيل المال ، وبستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله، ينظر، محمد ضياء الدين الريس، **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، دار الأنصار ، القاهرة ، ط4، 1977، ص. 261.

(4) الإدريسي ، م س ، ص. 45.

(5) Julien (ch A),**Histoire de l'afrique de nord** , 2eme ed , payotheque , 1978, p78.

تومرت على هذا حين طُلب منه المكس نظير عبوره وادي أم الربيع كما أفادنا به البيدق[1]واعتبر ذلك غير جائز في الشرع .

وعند قيام الدولة الموحدية، نميز فترتين مختلفتين، الأولى فترة قوة إتسمت بكثرة الموارد وتنوعها،ورخاء عم أطراف الدولة وعاصمتها، فلم تُفرض فيه مكوس غير شرعية ، **"فعبد المؤمن لم يفرض إلا ما توجبه السنة وتفرضه**[2] وسار على نهجه خلفاؤه في الإلتزام بما يفرضه الشرع والثانية تبدأ بعد موقعة العقاب(609هـ/1212م)، حيث بدأت الأمور تختل، والأوضاع تتأزم، فصار الخلفاء يفرضون إتاوات جديدة، لتوفير الأمن، خاصة وأن بني مرين عظم شأنهم، فكثرت المكوس في كل مكان[3]وهو موقف طبيعي في نهاية عمر الدولة، حين تلجأ إلى الضرائب غير المشروعة لتعويض عجزها، وهو إيذان بقرب نهاية الدولة ، "حيث استعان الخلفاء الموحدون بأموال الأعراب، لأن الفتن قد منعت جباية الأموال فخوت الخزينة، وغلت الأسعار وظهرت المجاعات، وكان ايذانا بالإنهيار الاقتصادي والسقوط الحضاري[4] .

❁ الفحامون:

---

(1) البيذق ، م س ، ص.45.

(2)المراكشي ، م س ، ص. 227.

(3) إبن أبي زرع، م س ، ص. 288_290.

(4) عبد الصمد حمزة، **إقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاسلامية ، 2010/2011، ص. 122.

يـُقصد بالفحام المشتغل بالفحم[1]، ويبدو أن الفحامين قد نالوا من سخرية العامة الكثير نظرا لعملهم المنبوذ حسبهم، وهذا ما نلاحظه في أمثال العامة بالغرب الإسلامي عموما فقد قيل أتيس من عبو الفحام الذي كان ينجم (يزين) الفحم بالورد[2]،ونشير هنا لموقف مهم ساهم في الحد من عدد الفحامين بسبب قتل أهل مكناسة للفحامين في جبلهم، حين قام عبد المؤمن بن علي **بعملية الإعتراف،** والتي حصدت ما يقارب ألف وخمسمئة وثمانين من معظم القبائل المجاورة [3] وكان هؤلاء الفحامون يعملون بالمناجم، في ضروف صعبة جدا نظير أجور زهيدة[4]

وللأسف، النصوص التي تصفهم نادرة، ولإستجلائها من خلال النصوص المناقبية النادرة، ولم نقف على ما يشفي غليل باحث، بالرغم من دورهم الذي لا يستهان به، وكذا حاجة عموم الناس إلى خدماتهم، ولكن الأكيد أن اللجوء إلى هذه الحرفة مرده الحاجة الماسة إلى المال، نظرا للنظرة الدونية من العامة، الذين لم يقدروها حق قدرها .

❁الزبالون (الكنافون):

---

(1) عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِـــيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ، أنظر، **صحيح مسلم** ، حديث رقم 4762 ،ج13 ، ص 73.

(2) الزجالي ، **أمثال العوام** ، مثل 494، ص.111.

(3) البيذق ، م س ، صص. 101-104.

(4) أحمد المحمودي، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، ص. 70.

الزبال لغة: من قولهم زبل الرجل الأرض زبولا، أي أصلحها بالزبل حتى تجود بالزراعة، فهو زبال[1] أما الزبال اصطلاحا وعُرفا: فهو جامع القُمامة والكناسة والمخلفات، يمر على المنازل والمصانع في أوقات معلومة[2]نظير أجر معلوم .

وصنف المحتسبون هذه المهنة ضمن الصنائع الرذلة، لأن الزبالين يباشرون النجاسات بأثوابهم وأبدانهم، حتى أن شهادتهم غير كاملة، لأن إختيارهم لهذه الصنعة مع استرذال الناس لها دليل على نقص عقولهم[3] وذهب ابن عبدون إلى أنها من مهن اليهود والنصارى (الذميين) فهم أولى بهذا الصنع، لأنها صنع الأرذلين[4]،وهذا الحكم كما يبدو ينم عن تعصب واضح واستعلاء عنصري بغيض[5]

والحقيقة أن جمع الأزبال وتنظيف الدروب والشوارع من صميم عمل المحتسب، وهو ما وضحه ابن عبد الرؤوف حين قال"...**وتتعهد المساجد ورحابها وما دار بها من طرح الأزبال بفنائها والنجاسات، وينهى عن فعل ذلك**..."[6]

لهذا يستنتج أن المحتسب كان يعمل بالتنسيق مع مشرف المدينة، ليوفر الزبالين الذين يباشرون تنظيف المدن والشوارع، ويتقاضون مرتباتهم من بيت المال، وهم عمال منتظمون، وهناك صنف آخر من المنظفين وهم المتطوعون، نظير أجر زهيد، فقد ذكر

---

(1) أحمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص.344.

(2) أحمد مختار عبد الحميد ، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ، عالم الكتب ، لبنان، ط1، 2008، ج2، ص. 972.

(3)إبن الأخوة (محمد بن محمد القرشي ت729هـــ) ، **معالم القرية في أحكام الحسبة**، نقله وصححه روبن ليوي، مطبعة دار الفنون ،كمبردج، 1937 ، ص. 215.

(4) ابن عبدون، م س ، ص. 48 .

(5)ابراهيم القادري بوتشيش، **تراث الغرب الإسلامي**، ص. 16.

(6)ابن عبد الرؤوف ، **ثلاث رسائل أندلسية**، ص. 111.

ابن الزيات بصدد الحديث عن أبي علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحياك " **كان يصيح عند أبواب الديار، من أنقل له الزبل ، ويعطيني ما أمكن ، فينقل الزبل على رأسه، ويعطى كسر خبز**"[1] وهذا يدل على أن بعضهم كان يتطوع لهذا العمل، من أجل سد حاجته، خاصة من الفقراء ومعدومي الدخل، ولعل ما يفسر نقاء المدن ونظافتها العدد المعتبر الذي كان موكلا بهذه الأعمال .

الخصاء:

الخصاء: هو الشق على أنثيي الرجل لقطع شهوته، وهي عادة قديمة معروفة عند مختلف الشعوب[2] وقد عرف المسلمون واليهود والنصارى الخصاء، فعن جابر بن عبد الله أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الخصاء، فقال عليه السلام: صم، وسل الله من فضله[3]

واشتهر الخصاء في العموم للرقيق، لتجريده من ذكورته، ويفيدنا المقدسي بطريقة الخصاء المتبعة في الأندلس بقوله "واختلفوا على هذا...فقال بعض يمسح القضيب والمزودان في مّرة واحدة وقال بعضهم يشقّ المزودان وتخرج البيضتان ثم تجعل تحت القضيب خشبة ويقطّ من أصله[4]...وإذا خصوهم جعلوا في منفذ البول مرود رصاص يخرجونه وقت البول إلى ان يبرؤوا، كي لا يلتحم، وكانت قلة قليلة تخرج سالمة من هذه العملية الوحشية، فقد كانت موجعة جدا وخطيرة في آن، خاصة وأن التخذير لم

---

(1) ابن الزيات، م س ، ص. 436.

(2) جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، دار الساقي ، لبنان ، ط4 ، 2001، ص. 45.

(3) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله احمد) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، السعودية ، ط1 ، 2001، ج23، ص. 232.

(4) المقدسي(أبو عبد الله احمد بن محمد)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 ،1991، ص. 242.

يكن يُعرف، ولا حتى تطهير الجرح[1] وكان الخصاء عملية مُربحة لأن الرقيق الخصي يزداد ثمنه لذلك يلجا النخاسون إلى هذه العملية .

بالنسبة للعصر الموحدي، نعثر على بعض الإشارات إلى وجود الخصيان، أولها زمن الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما عاد من حملته في المغرب الأوسط بنساء العرب وأبنائهم، حيث أوكلهم الى الخصيان يخدمونهم[2]وهي إشارة تبين وجود الخصيان في البلاط الموحدي، وفي نفس الوقت تبين أن عددهم كان معتبرا، وإلا كيف يمكنهم أن يخدموا الكم الهائل من النساء والأطفال ؟

وثاني إشارة وردت عند البيذق في سياق **العقاب"ثم جمع رضي الله عنه السوقة بأجمعهم صغيرهم وكبيرهم..وأمر باخراج أعداء الله من السجن وكانوا يقتلونهم بخصائهم"**[3]، فانتقام الخليفة من مناصري أخوي المهدي: عبد العزيز وعيسى الذين ثارا عليه، وهي حسب أحد الباحثين مبالغة أحد خدام الدولة المخلصين كالبيذق[4] .

من خلال الإشارتين، يبدو أن الدولة الموحدية على الأقل في بدايتها لم تمنع الخصاء ولم تعتبره عملا مشينا، مادام يوفر لها عبيدا طيعين، وفي نفس الوقت أبقته كوسيلة لردع كل من تسول له نفسه الثورة والتمرد على المخزن الموحدي، فهو إذن واقع اجتماعي تعود عليه الناس، فلم ينكروه رغم قساوته وتحريمه، ووسيلة للعقاب الناجع إن اقتضت الظروف إليه.

هذه جملة من المهن و الصنائع والحرف التي نص الشرع على تحريمها، أو المنبوذة في ذاتها لسبب واقع فيها، أو ما يترتب عنها من مضار على الإنسان ومجتمه،

---

(1) عبد الإله بنمليح ، **ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي**، منشورات الزمن ، الرباط ، ط1 ، 2002 ، ص. 84.

(2) النويري ، م س، ص. 477 ، عبد الاله بنمليح ، **نفسه**، ص. 90.

(3) البيدق، **اخبار المهدي بن تومرت**، ص. 79.

(4) عبد الاله بنمليح، م س ، ص.90.

أو منبوذة من عامة الناس، لأن لها خصوصية تجعلهم ينفرون منها، ومن مزاوليها، ولكن روادها يبقون جزءا مهما من النسيج المشكل لأهل الصنائع والحرف خلال عهد الموحدين، ولم تفصل فيها المصادر، أو في كثير منها على الأقل، لأن روادها لم يكونوا ممن يكتبون التاريخ، وتحتاج هذه الفئة الى دراسة مفردة، كونها من المواضيع غير المطروقة، عكس المهن المعروفة والتي أطنبت فيها المصادر وفي مزاوليها، والتي سنفصل فيها في الفصول اللاحقة .

الفصل الثالث :

المهن الدينية والأدبية بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي

الخليفة

المحتسبون

القضاة

المظالم

الموثقون (العدول)

المفتون(أهل الشورى)

المؤذنون

المؤقتون

صاحب الصلاة

الخطيب

الشعراء

مشرفو الخزانة الموحدية

المؤدبون ومعــلمو القرآن

تتميز المدينة الإسلامية عموما ببعض المهن المرتبطة بالدين في حد ذاته، فهي عبادة وسبيل للعيش في آن، وهي ما اُصطُلِح عليها في اللغة الفقهية بالعمالات الشرعية، أو الخطط الدينية، رغم ما أثارت من جدل عند الفقهاء حول شرعية التكسب منها، وشروط أصحابها، بصفتهم يمثلون الواجهة التي يقتفي أثرها العامة، حتى وإن كان بعض أهل هذه المهن يصنفون من العامة كذلك، ونظرا لهذه المكانة المقدسة التي أعطيت لهم إن صح القول، تجد رجال الدولة والسياسة يستميلون هؤلاء لكسب ودهم وهو ما يثير دائما جدلية العلاقة بين السلطة والفقهاء، وكذا الدور المنوط بهم، مما جعل الكثير من العلماء ورجال الفقه يدفعون ثمن مواقفهم وآرائهم المناهضة، والمصادر التاريخية زاخرة بعديد الأمثلة، وهناك مهن أخرى ارتبطت بالأدب واستقت منه وجودها، كالشعر والشعراء، وبالكتاب والخزائن العلمية، وهم واجهة الدولة وعنوان رقيها وتحضرها، رغم من نال من شأنهم واتهمهم بأنهم يتكسبون مما لا يجوز التكسب منه، في حين يرون أنفسهم أولى من غيرهم في العطاء والمنح، وبين هؤلاء وهؤلاء، تبقى مهنهم جزءا لا يتجزأ من تركيبة العمل المهني للخاصة والعامة .

❁ الخليفة :

الخليفة لغة: من الفعل خلف يخلف، خلافة، والخليفة هو السلطة العليا وإليه توكل الإمامة الصغرى والكبرى.

أشرنا سابقا أن ابن تومرت بعد أن أشاع صفات المهدي[1] في خطبته، فنادى المقربون به مهديا، وقالوا له: إن هذا الوصف لا يوجد إلا فيك، وأنت المهدي[2] ويظهر أن المهدي كان متأثرا بالتجربة النبوية، فبالإضافة إلى إدعاء النسب النبوي، نجده يحاكي ذلك من خلال كثير من التصرفات، أولها أنه كان يوهم الناس بأن له خوارق ومعجزات وأعاجيب[3] اجتباه الله بها، ليضفي على نفسه الشرعية المنشودة، وثانيتها أنه عند مرضه أعطى إمامة الصلاة لعبد المؤمن بن علي، تشُها بالنبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وعندما قال لهم"**أنتم المؤمنون وهذا أميركم**[4]

---

(1) يقول ابن القطان عن المهدي قوله" **الحمد لله الذي يفعل ما يشاء ويُقر ما يريد، لا اعتراض لأمره، ولا مرد لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنبأ بأن المهدي سيملأ الأرض عدلا وإنصافا كما امتلأت قهرا وظُلما، مكانه في أقصى المغرب، وزمانه آخر الزمان، وإسمه كإسم النبي، لقد غدا ظُلم الحكام ظاهرا، وامتلأت الأرض ظُلما، وهذا آخر الزمان، والإسم هو الإسم، والنسب هو النسب، والأعمال هي الأعمال**" ابن القطان، م س ، ص. 60.

(2) نفسه، ص. 61.

(3) منها أنه كان يذهب إلى المقابر، حيث كان اتفق مع بعض أعوانه أن يدفنهم هناك ليستجيبوا إلى ندائه، عندما يناديهم، فيُقدم بذلك البرهان، وكان على أولئك الأعوان أن يقدموا الدليل، على أن من يتبع المهدي سيصيبُ نجاحا، ومن يعارضه سيؤول الى الفشل...وبعد ذلك طمروا القبور التي كان الأعوان مختبئين فيها، فيهلكوا، و لم يعُد كشف السر ممكنا، وكان مقتنعا أن موهمه مشروع، ليُقنع القوم الجاهلين"حول الموضوع، أنظر، مادلين فليتشر، **الأندلس وشمال افريقيا في عقيدة الموحدين**، ضمن كتاب **الحضارة الاسلامية في الاندلس**، ج1، ص. 359وما بعدها.

(4) المراكشي، **المُعجب**، ص. 192.

وشرعا إذا عهد الإمام بالخلافة إلى من يصح العهد اليه على الشروط المُعتبرة فيه كان العهد موقوفا على قبول المُولى[1]و بتولية عبد المؤمن بن علي الذي صحت ولايته "**إصطبغ المُلك الموحدي بصبغة دينية ودنيوية معا**" ، حيث صار حُكما مطلقا، فكان عبد المؤمن القائد الأعلى للجيش ورئيس الهيئة الحكومية وبيت المال،ورئيس الهيئة القضائية (القاضي الأول في البلاد)، والشارع الأول، والوارث الشرعي لأفكار المهدي وعلمه وعقيدته"[2]

ويبدو بوضوح رغبة الموحدين في الإستقلال الروحي والإداري بعد عمليات التوسع، مما استلزم إنتحال ألقاب الخلافة[3] وكان من آثارها الواضحة قطع الخطبة العباسية والدعاء لهم في المنابر_ عدا سنوات قليلة في إفريقية، كان قد ملكها بنو غانية حكام الجزائر الشرقية_ عكس أسلافهم المرابطين الذين لم يقطعوا صلتهم بالمشرق.

واستكمالا للسلطة الموحدية، ضرب عبد المؤمن بن علي في السنة الرابعة من ولايته نقودا مربعة الشكل[4]تمييزا عن نقود المرابطين التي تحمل الطابع العباسي[5] والأكبر من كُل هذا كان الهدف الأكبر للخلافة الموحدية الناشئة النزوح نحو المشرق الإسلامي، وبسط السيطرة الكاملة على الحرمين الشريفين، إذ تمثل آنذاك مظهرا من مظاهر الخلافة، ولم يـُكتب لهم تحقيق ذلك[6].

---

(1) الماوردي(أبو الحسن علي)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح نبيل عبد الرحمن، دار الأرقم بن ابي الارقم للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2003، ص. 80.

(2) ينظر، محمد عبد الرؤوف المناوي، **التعاريف**، تح محمد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر ،لبنان، ط1 ،1410هـــ ص. 68 .

(3)ابن خلدون، العبر، ج1، ص. 257.

(4) نسبها بعض المؤرخين للمهدي لكن هذا الأمر مستبعد لغياب سلطة سياسية ،انظر صورة النقد الموحدي في الملاحق.

(5) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص. 317، هامش رقم(1).

(6) البيدق ، **الأنساب في معرفة الأصحاب**،ص.30، عبد الحميد حسين السامرائي، مرجع سابق، ص. 136.

۞ المحتسبون:

الحسبة لُغةً من الاحتساب وهو أن يبتغي الانسان على عمله الأجر والثواب، وتعني أيضا ًحسن التدبير والعد والحساب أو الإنكار على شيء[1] والحسبة في العُرف الشرعي هي أمر بمعروف ظهر تركه، ونهي عن منكر ظهر فعله[2]وهي وظيفة دينية، يجب على صاحبها أن يكون عارفا بأحكام الشريعة ليعلم بما يأمر وبما ينهى[3]خبيرا بحيل التجار وأنواع الغشوش والتدليس عند أصحاب الصنائع والحرف[4]وتعيينه فرض على القائم بأمر المسلمين (أو القاضي)، يعين من يراه أهلا لهذه الوظيفة الشريفة ليحارب البدع والغشوش، والتدليس والإحتكار والمجون والملاهي المحرمة .

كانت الحسبة قبل عصر الموحدين من إختصاصات القاضي، وفي الأندلس خطة متنقلة، ومع مجيء الموحدين الذين اتخذوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعارا من شعاراتهم،[5]أصبح المحتسب يُعين من طرف القاضي، فمحتسب العاصمة مراكش ويدعى مروان بن عبد الملك اللمتوني(ت571هـ)، قد عُين من طرف قاضي الجماعة بها آنذاك، وهو أبو يوسف حجاج بن يوسف[6]، لكن الجديد أنهم حصروها

---

[1] الفيروز ابادي، **القاموس المحيط** ، المكتبة التجارية ، مصر، مادة حسب، ج1، ص54، ابن منظور ، **لسان العرب** مادة حسب، ج1، ص. 305.

[2] الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد ،ت540ه) ، **الاحكام السلطانية والولايات الدينية** ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، د ت ، ص. 486 .

[3] ابن الأخوة ، م س ، ص. 14، السقطي، م س ، ص.9 ، الشيزري ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ص. 6.

[4] السقطي ، نفسه، ص. 34.

[5] بدأت الحسبة مع الزعيم الروحي محمد بن تومرت بعد عودته من المشرق، وبمروره بمدن طرابلس وتونس وقسنطينة وبجاية ، وفي الأخيرة لاحظ إختلاط النساء والرجال في يوم العيد، فتدخل بعصاه لتفريق جمعهم دون أن يخشى عاقبة تصرفه، كما تعرض لسلطان المدينة المنصور بن ناصر بن علناس الحمادي ، ونفس الشيء فعله في كثير من مدن المغرب، وتكسيره لآلات اللهو والغناء، أنظر، البيذق، **أخبار المهدي**، ص51، إبن خلدون، م س، ج1، 304، موسى لقبال، **الحسبة المذهبية**، ص. 50 .

[6]، التادلي ، م س ، ص. 238 .

في مراقبة الأسواق[1] وسُمي المُحتسب في عهد الدولة الموحدية بالأمين، وأمين السوق[2]، فقد أورد المراكشي أن الخليفة المنصور أمر أن يدخل عليه أُمناء الأسواق وأشياخ الحضر كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وأحكامهم[3]

ومن خلال النص يبدو أن إشراف الخليفة نفسه على أعمال الحسبة يشكل مظهرا من مظاهر الحكم المطلق الذي باشره الخلفاء الموحدون في دور العظمة والازدهار[4]

كما أن الموحدين لم يلتزموا بحدود الحسبة النظرية، كأن يرفع المحتسب العقوبة إلى القاضي للفصل فيها، بل أصبحت لهم سلطة تخول لهم إنزال العقوبات بالمخالفين وصلت الى حد القتل أحيانا، أو الضرب الشديد والمبرح، خاصة في الأسواق مع الباعة على حد قول المقري[5]

وبالأندلس كان للمحتسب هيبة كبيرة عند العامة والخاصة، ويعكس ذلك الأمثال الأندلسية حتى قيل: بحال محتسب يضرب ويطوف[6] (أي في الأسواق)، ويرجع الفضل الفضل في إرساء قواعد الحسبة إلى الخليفة الأول عبد المؤمن الذي نجده مثلا يـ ُكره

(1) محمد المغراوي، **ملاحظات حول مسألة الحسبة في الدولة الموحدية** ، مجلة دراسات، العدد2، 1988، ص. 56.

(2) ورد لفظ **المحتسب** في الدولة الموحدية أحيانا بمعنى آخر، وهو نوع من الجند المتطوع من القبائل الموحدية للجهاد في سبيل الله خاصة بالثغور الاندلسية حيث"أرسل عبد المؤمن بن علي خمسين رجلا **محتسبا** لحماية أنقاب جبل هزرجة التي همت بغدر الموحدين على إثر هزيمة البحيرة ، وقد ضاعف الخليفة المنصور عددهم في كل قبيلة موحدية باستثناء هرغة وعين على كل قبيلة مزوارا أوشيخا وسماهم الغزاة، أنظر، ابن القطان، م س، ص 121، البيذق، **المقتبس**، ص. 57_58 ، الحسين أسكان **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، المغرب ، ط1، 2009، ص.130.

(3) المراكشي ، م س ، ص. 362.

(4) عز الدين عمر موسى ، م س ، ص. 208.

(5) المقري ، النفح ، ج1 ، ص. 219.

(6) الزجالي ، م س ، ج2 ، مثل رقم 668، ص. 149.

يوسف بن علي الصوفي المؤذن (ت557هـ) على ولاية الحسبة(1)حين سمع بتقواه وعلمه، وكان من مهام المحتسب أن يرافق حرس الليل أحيانا2ويتعلق الأمر بالمدن الكبيرة، على غرار مراكش وفاس وتلمسان وغيرها، ومن المحتسبين في العهد الموحدي نذكر: ميمون بن علي الخطابي المكنى بأبي خبازة (ت637هـ)، وعبد الله بن ابراهيم بن محمد الأنصاري التطيلي (ت645هـ) (3)إضافة لمحمد بن عيسى بن مناصف (ت 610 هـ) 4، الذي يبدو أنه كان محتسبا من خلال الكتاب النفيس الذي وصلنا والموسوم بتنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، الذي يعطينا صورة عن المحتسب وضرورة تنصيبه: " **وينبغي للقاضي إذا خاف أن تتعذر عليه الإحاطة بحفظ الحوائز والأسواق وشوارع المسلمين ومجتمعاتهم من وقوع المناكر، وتعرف ما يعرض في ذلك من النوازل أو خشي أن يتشاغل عن إستيفاء البحث والكشف والنظر، بما يتشابه من أمر الخصوم ونوازل الأحكام، أن يختار أُمناء عدولا عارفين في ذلك، يتفقدون ما جعل إليهم من الحوائز والمواضع، ويرفعون إليه ما يتعذر عليه النظر فيه من ذلك، وإن**

---

(1) يوسف بن علي من أهل داي، كان مؤذنا لما يقرب من أربعين سنة، ونظرا لورعه أُكره على الحسبة، فدخل على أهله يبكي وهو يقول : لو أراد الله بي خيرا ما عرفني أحد ــ لشدة تقواه وورعه ــ فامتنع عن أكل اللحم من السوق إلى أن أُعفي من ولاية الحسبة، التادلي، م س ، ص. 168.

(2) **المستفاد في مناقب العباد** ، ص. 135.

(3) الذيل والتكملة ، م س، ج 2 ، ص. 362.

4محمد بن عيسى بن مناصف ولد بالمهدية، ونشأ بتونس، في أسرة علم وقضاء، كان جده قاضيا بقرطبة أيام المرابطين، وقد أقام كثيرا بمراكش مناوبا أئمة الصلاة، وخطيبا بجامع الكتيبة، كان فقيها نظارا جانحا إلى الإجتهاد ومائلا إلى مذهب الشافعي وكان مع ذلك شديد العناية بتلقين القاضي أبي محمد عبد الوهاب، أنظر، محمد بن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، تح محمد بن شريفة، ق1، ص.543وما بعدها.

أفرد لكل سوق وحومة أمينا منها ينظر في ذلك فعل، بحسب اجتهاده وحاجة الناس... [1]

وهو ما يبين أن الموحدين قد خصصوا لكل سوق في الأحياء أمينا محتسبا على الباعة[2] أو على الأقل الأسواق الكبيرة والتي كانت محط أنظار العامة .

وكان للأمناء (أي المحتسبون) زي خاص بهم، وأحيانا يختلف من مدينة لأخرى، وكانت مهامهم كذلك تحصيل الضرائب من التجار في الأسواق[3]وإن كانت أحيانا من وظائف مشرف المدينة، كما نجدهم يستعينون بالأعوان والغلمان لمساعدتهم في عملهم، وهم من الرجال الثقاة من أهل الأسواق ووجوه الصنائع، ويستظهر بهم على الباقين، حتى يطلعوهم على كل شاردة وواردة[4] .

۞ القُـضاة

القضاء لغة: الحكم والفصل والقطع يقال قضى، يقضي قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل، والقاضي القاطع للأمور المحكم لها، الذي يقضي بين الناس بحكم الشرع[5] ولفظ القضاء يأتي في اللغة على أنحاء مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، يقال " قضى الحاكم" إذا فصل في الحكم، وقضى دينه: أي قطع ما لغريمه قبله بالأداء، وقضيت الشيء: أحكمت عمله، ومنه قوله تعالى: ""إذا قضى أمرا[6]" أي أحكمه وأنقذه

---

[1] ابن مناصف (محمد بن عيسى) ، **تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام،** أعده للنشر عبد الحفيظ منصور، معهد الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس ، ص. 111.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش ، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي** ، ص103.

[3] المن ، صص. 484 ، 481، 482.

[4] ابن عبدون ، م س ، ص 111، سامية مصطفى ، م س ، ص 149.

[5] عبد الكريم زيدان ، **نظام القضاء في الشريعة الاسلامية،** مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط3 2009، ص 11 .

[6] النباهي (أبو الحسن بن عبد الله) **تاريخ قضاة الأندلس،** منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت دط ، 1980.

وكلمة القضاء مصدر، جمعها أقضية، وفعلها قضى يقضي قضاء أي حكم، وفي القاموس القضاء ممدود ومقصور، وقضى عليه قضاء وقضيا، ورجل قضي: أي سريع القضاء، واستقضى: صار قاضيا، والقضاء لفظ مشترك بين عدة معان ويستعمل بعدة إستعمالات منها: إحكام الشيء وإمضائه، ومنه قوله تعالى:"وقضينا إلى بني إسرائيل"[(1)] ويأتي القضاء بمعنى الفراغ من الشيء، ومنه قولهم: قضى حاجته، أي نالها، وبلغها وفرغ منها. [(2)].

واصطلاحا: القضاء هو فصل الخصومات والمنازعات، وهو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الالزام، وهو فصل الخصومات وقطع المنازعات على وجه خاص.[(3)]

والقضاء من وظائف الهامة، وقد أشار الى أهميتها النباهي : ""**وخطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط، فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل إليهم تصريف أمور الأنام يحكمون في الدماء والأموال و الحلال و الحرام، تلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء، فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء**" [(4)] واعتبرها [(4)] واعتبرها ابن خلدون من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، أي أنه في الأصل يتولى الخليفة القضاء بنفسه لقوله" **وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه خاص بالأحكام.**

---

[1] **سورة الإسراء** ، الآية17.

[2] محمد الزحيلي، **تاريخ القضاء في الإسلام** دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان 1995 ص. 9.

[3] - عبد الكريم زيدان، المرجع السابق صز 12.

[4] – النباهي ، المصدر السابق ص. 12.

بالنسبة للفترة الموحدية، فإن منصب القضاء ليس من الخطط التي استجدت بعد قيام الدولة، فقد كان أحد "العشرة أهل الجماعة"[1]وهو إسماعيل الهزرجي يقضي بين الناس عن إذن المهدي بن تومرت، و لما تولى عبد المؤمن بن علي أمور الدولة قلد خطة قضاء الجماعة أبا عمران موسى (صهره ومن أهل الخمسين).وبعد أن استقرت الدولة لم يقلد الخلفاء أحد من الموحدين أولي السبق في الدعوة، وإنما ولوها الفقهاء، وغالبا ما يصل متولي هذه الخطة إلى منصبه، بعد أن يتدرج في كثير من الخطط الدينية في الولايات [2]، وأصبح قاضي الجماعة محل إستشارة الخليفة، [3]، ومحل جلوس قاضي الجماعة هو قصر الخلافة، بل إن المنصور الموحدي أمر قاضيه أن يجلس في مكان يستطيع ان يسمع منه أحكامه، وقضاة الجماعة حريصون على تطبيق الأحكام التي يصدرونها حتى على أهل بيت الخليفة [4]، وكان الخلفاء الموحدون يستعينون بقضاة من خريجي "**مدرسة الحفاظ"،** تلك المدرسة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن لتخريج طبقة من الموظفين الذين شغلوا مناصب الإدارة في الدولة، ومن هذه المناصب وظيفة القضاء [5]واختص ولاة الأمر" الخلفاء" بتعيين قاضي الجماعة بالعاصمة مراكش ,كما قاموا بتعيين القضاة في المدن الكبرى، أما قضاة المدن الأخرى الصغيرة فقد ترك للأمراء المحلين أمر تعيينهم[6]وقبل إختيار القاضي كان ولي الأمر يقوم باستشارة من حوله في إختيار القاضي، حتى إذا أجمع أربعة من الفقهاء على اختياره، أصدر ولي

---

[1] البيذق ،المصدر السابق، ص. 33.

[2] عز الدين موسى ، المرجع السابق ص. 200.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق ، ج3 ص. 256.284.

[4] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص. 285.

[5] حسن على حسن ، المرجع السابق ص. 158.

[6] حسين أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الكتاب الحديث ، القاهرة . ط2 ، 1996 ص. 373.

الأمر أمره بتعيين القاضي[1]وفي بعض الأحيان كان الخليفة يستدعي أحد القضاة من مكان عمله ليوليه القضاء بجهة أخرى، كما فعل المنصور الموحدي في استدعائه لأبي عبد الله بن سليمان من الأندلس، حيث ولاه على العدوتين معا، واستمر قاضيا عليها نحو ثلاث سنين [2]

وكثير من القضاة كانوا من أهل البلاد التي استوطنوا بها، ولكن هذه الظاهرة لم تكن القاعدة ،فقد تقلد عدد غير قليل قضاء مدينة لم تكن لهم وطنا، ولا سيما أن التنقلات كانت سمة بارزة في سلك القضاء الموحدي، في أحيان كثيرة تجد أندلسيا قاضيا في المغرب، وفي حالات أخرى يذكر مغربي كقاض في الأندلس، وقد تجد الرجل الواحد قاضيا في أماكن متعددة [3]وكان قاضي عاصمة الولاية ينظر في الأنكحة والمواريث والشكايات، ويشرف على شؤون المحتسب[4]وهناك ما يشير إلى أن الشرطة الشرطة كانت من ضمن اختصاصات القاضي في الولايات، ولم يكن من سلطة هؤلاء القضاة الحكم في القتل الخطأ، ووجه القصاص والقطع والسرقات،وكل هذه القضايا من إختصاص الحضرة التي يجب أن ترفع إليها، بعد شرحها حسب ما وقعت عليه وتقيد البيانات بالشهود العدول، وكتابة أقوال المظلومين وحججهم وإقرارهم واعترافهم [5].

---

1 حسن على حسن، المرجع السابق ص. 162.

2 حسين أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص. 374 .

3 ابن القطان المراكشي (ابن محمد حسن بن على) ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تحقيق محمود على مكي، دار الغرب الاسلامي ، ط1999،1، بيروت، لبنان. ص132. ابن عذاري، المصدر السابق ج3 ،ص. 129.

4 ابن بشكوال ، مصدر السابق ص. 18.

5 عز الدين موسى ، المرجع السابق ص. 201.

ولقد شهد عصر المنصور الموحدي حركة نقل القضاة من مكان إلى آخر، تبعا لإحتياجات البلدة أو الولاية، ومثال ذلك مثلا: القاضي محمد بن علي مروان بن جبل الهمذاني الذي ولي قضاء تلمسان، ثم نقله الخليفة الموحدي الى قضاء الجماعة بمراكش سنة 584هـ / 1188م [1].

ومن أهم مهام القاضي في الدولة الموحدية "النظر في الخصومات والقضايا الشرعية المتصلة بالعبادات والمعاملات، ونجد مهاما أخرى[2]قد لا تتطابق حيثياتها بين العدوتين منها :

❁ توزيع الزكوات، مثال ذلك الرسالة التي ألح من خلالها الأمير يعقوب بن يوسف في رسالته إلى طلبة إشبيلية سنة 580هـ، يأمرهم فيها بدفع زكاة الفطر للقاضي أبو المكارم ليوزعها على الفقراء[3]

❁ الإشراف على مهنة التوثيق، وتمحيص أصحاب الشهادة ممن تجوز فيهم .

❁ النظر في شؤون الأحباس خاصة بالعدوة الأندلسية ، أما بالمغرب فكانت من اختصاص الولاة أو عمال المدينة ، كما كان مع عامل مدينة أغمات[4]

❁ تولية محتسب المدينة[5]بالأندلس وأمناء الأسواق بالمغرب[1]

---

[1] ليلى أحمد نجار ،**المغرب و الأندلس، في عهد المنصور الموحدي**، دراسة تاريخية وحضاريه، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى .المملكة العربية السعودية، ص. 64.

[2] مغراوي محمد، **خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية** ، بحث ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1987/1986، ص. 129.

[3] رسائل موحدية ، رسالة رقم 28 ، ص. 167.

[4] يقول التادلي أن القاضي أبو حفص بن عمر بعث إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، وكان صديقه فلما وصل إليه قال له القاضي : بقيت ثلاثة أيام لم يطب لي طعام ، فقال له : لم ذلك ؟ ، فقال له : لأن العامل كتب أحباس الجامع ليرفعها وأنا أرغبه ألا يفعل (بأغمات) ...التادلي ، م س ، ص.270.

[5] **الذيل والتكملة** ، ق1 ، ص306.

❁ إتسعت إختصاصات بعض القضاة، حتى شملت الإشراف على بعض أعمال البناء وخاصة ما يتعلق ببناء المساجد[2] فعلى سبيل المثال لا الحصر، تعددت هذه المهام للقضاة الذين قربهم الخلفاء الموحدون، فنجد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن يأمر سنة 567هـ/ 1171م قاضيه أبا القاسم بن محمد الحوفي أن يختط له ما يتصل بالقصور والمباني التي أتم بناءها وذلك ليغرس فيها أشجار الزيتون والأعشاب والفواكه المختلفة والسبب في إسناد هذه المهمة لقاضيه معرفته بالمساحة والتسيير والفلاحة، فضلا عن أمانته ودينه [3] وكان بعضهم يجمع بين وظيفتي القضاء في المغرب والأندلس: كالقاضي ابن رشد قاضي الأندلس[4] حين استدعاه الخليفة عبد المؤمن ليضيف إليه قضاء المغرب بجانب قضاء الأندلس[5]

وبرز مجموعة من القضاة في المغرب الأوسط بالتحديد، ولكنهم لم يتقيدوا بالرقعة الجغرافية، ، ومن أهم قضاة المغرب الأوسط نجد:

الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن منصور بن على بن هديمة القرشي، كان يتميز في عصره بالنباهة والوجاهة وقوة في الحق والصرامة، وكان أثيرا لدى سلطانه، لأنه كان أمينا على أسراره، ويأخذ دور الوزراء، فصار يشاوره في تدبير ملكه، فقلما كان يجري شيئا من أمور السلطنة إلا عن مشورته وبعد استطلاع نظره، وكان أصيل الرأي مصيب العقل، مذكرا لسلطانه بالخير، مساعدا له، وكان ينشىء الرسائل المطولة في المعاني

---

[1] ابن مناصف ، م س ، ص110.

[2] ابن عذاري ، م س ،. ص. 58.

[3] ابن صاحب الصلاة ، م س ، ص. 161.166.

[4] **ابن رشدالحفيد**: هو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بإبن رشد الحفيد ويلقب كذلك تمييزا عن جده ، ولد سنة 520هــ/ 1126م وتوفي 595/ 1198م، أنظر الزركلى، **الأعلام**، ص. 182.

[5] ابن عبدون ، **م س** ، ص. 24.

الشاردة، كان ذا حظ وأفر من علم العربية واللغة والتاريخ، شرح رسالة محمد بن عمر بن خميس الحجري التي استفتح أولها بقوله:

عجبا لها أيذوق طعم وصالها   مـن ليس بأمل أن يمر ببالها

وأنا الفقـــيد إلى تعله سـاعة   منها و تمنعني زكاة جمالها[1]

ومن قضاة عبد المؤمن عبد المؤمن المشهورين نجد: أبا محمد عبد الله بن جبل من أهل مدينة وهران، وكذلك عبد الله بن عبد الرحمن، المعروف بالمالقى لم يزل قاضيا له إلى أن توفي عبد المؤمن، وجزء من خلافة أبي يعقوب [2] وأبرز قضاة المغرب الأوسط كذلك: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني، كان هذا الفقيه في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم، عبرة وآية من آيات الله الكبر. قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للعلماء فيها من الأقوال، كان قاضيا ماضيا، عدلا قام بوظائف القضاء أجمل قيام ثم إنه كره الحكم بين الناس، وتبرم السيرة، مشكور الطريقة[3]ويعتبر القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري، وهو من أهل بجاية، من أهم القضاة الذين استعان بهم الخلفاء الموحدون [4].

دون أن ننسى علما من الأعلام وهو ابن القطان الفاسي[5] (562-628هـ) الذي كان يشغل منصب قاضي الجماعة بمراكش، وتوفي وهو يتولى قضاء سجلماسة، كما

---

1 النباهي ، المصدر السابق . ص. 134.135.

2 عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص. 269.

3 النباهي، م س ، صص. 170.169.

4 إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص. 335.

5 **إبن القطان الفاسي** أبو الحسن بن محمد بن عبد الملك الكتامي ، نزيل مراكش ، فاسي المولد، تلقى علومه على جملة جملة من العلماء منهم أبو عبد الله بن الفخار، وأبو الحسن النقرات وأبو عبد الله بن البقال ، وأبو بكر المواق، وقاضي الجماعة أبو القاسم بن بقي بن مخلد، كان من أيصر الناس بعلم الحديث ، خدم الخلفاء الموحدين وكان حضيا عندهم ، بدءِ من المنصور فابنه الناصر فولده المستنصر فعبد الواحد بن يوسف أخي المنصور ثم ابي زكريا المعتصم بن الناصر،

حدث أن تولى القضاء أعلام زمانهم في العلوم والفقه لكنهم لم يُحسنوا التصرف فُعزلوا من مناصبهم، كما حدث مثلا لابن دحية الكلبي(ت633هـ)[1] الذي تولى قضاء دانية مرتين ونُحي من منصبه .

نشير في هذا المقام، أنه بحكم قيام الدولة الموحدية بإقليم المغرب الأقصى ووجود العاصمة السياسية والإقتصادية بمراكش، واتصالها الوثيق بالأندلس، فقد أغفل جل المؤرخين الموحدين ذكر القضاة الذين كانوا بإقليمي المغرب الأوسط والأدنى، كما أن مؤرخي الدولة كانوا يراقبون الوضع بالعاصمة أكثر من أي موضع آخر، مقاربة مع الأندلس، نظرا لأهميتها الإستيراتيجية، واتصالها الوثيق مع المغرب الأقصى وكذا قُرب المسافة بينهما، لذلك لا تستغرب أننا عندما نعثر على هذه الأسماء،وكأننا ننحت في الحجر، لأن البحث في أمهات المصادر عن بعض هذه الأسماء يتطلب جهدا ومادة علمية غزيرة .

۞ المظالم :

ولاية المظالم وظيفة قضائية، إلا أنها أوسع من وظيفة القاضي العادي لأنها كما يقول ابن خلدون " **ممتزجة من سطوة السلطة و نصفه القضاء"**" [2]

حتى كان رئيس الطاعة ، مصروفة اليه الخطط المهمة مرجوعا إليه في الفتاوى العامة وشؤون الدولة، **التكملة** ، ص. 686، **النفح** ، ج3، ص.187.

[1] **إبن دحية الكلبي** أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي المحدث الحافظ اللغوي الأديب ، ينتسب الى الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي ، ولد بسبتة بين 544و548هـ ، وارتحل للأندلس وأخذ عن علمائها وارتحل للمشرق ومصر وتونس وانتهى به المطاف في اربل ثم القاهرة ، من تآليفه الشهيرة المطرب من أشعار اهل المغرب ، التنوير في مولد السراج المنير ، مصنف في رجال الحديث وغيرها ، **المُطرب** ، ص. 232، الغبريني ، **عنواد الدراية** ، ص. 160، **التكملة** ، ص. 659.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ج1 ، ص. 102.

وقد أسهم نظام القضاء منذ قيام دولة المرابطين في إقرار العدل بين الرعية، وشارك في تحقيق هذه الغاية نظام ولاية المظالم وهو لون من ألوان القضاء تنزح فيه سطوة الخليفة [1]أو بمعنى آخر هو نوع من القضاء العالي، إبتكره الإسلام، يشبه في وقتنا الحاضر مجلس الدولة أو المحاكم العليا[2]وكان النظر في المظالم من إختصاص الخليفة، فهو ينظر فيما يرفع إليه من قضايا، ويفصل في المظالم بين الناس بنفسه في المسجد، أو في قصر الخلافة[3]ومنذ خلافة المهدي بن تومرت خصص الخليفة أياما معينة للنظر في المظالم [4] واهتم الخلفاء الموحدون بولاية المظالم، وكانوا يخصصون لها أياما معلومة من الأسبوع، يجلسون فيها إلى الرعية للبحث في تظلماتهم، فالخليفة عبد المؤمن بن علي حين توجه إلى جبل طارق سنة 555هـ / 1190م، وخلال إقامته التي استمرت شهرين، كان ينظر في المظالم ويقضي فيها بنفسه، ولم يكن يتوانى عن توقيع أقسى العقوبات وأشدها على من ثبتت إدانته[5].وكذلك الخليفة المنصور مارس بنفسه مهامها فقد كان يقعد للعامة، ولا يحجب عنه أحدا من صغير ولا كبير[6]فأقبل الناس على الخليفة يعرضون عليه تظلماتهم وشكاواهم، حتى أندس فيهم من ليس منهم[7] وقد صور ذلك ابن عذارى بقوله " **كان ابتداء جلوسه غرة رجب في المسجد المجاور لقصر الحجز أياما من صلاة الضحى إلى قرب الزوال مع تأنيس الخصوم،**

---

[1] الماوردى ، المصدر السابق ص. 78، محمد الزحيلي ، المرجع السابق ،ص55 ، وهناك إشارة أشار ايها صاحب الحلل الموشية أن علي بن يوسف أوكل وزيره اسحاق بن ينتان للنظر في المظالم والشكايات .

[2] حسن على حسن، المرجع السابق ، ص. 165.

[3] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص. 285.

[4] المقري (أحمد بن محمد التلمساني) ، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،** ج 3 ، ص. 117.

[5] حسن على حسن، المرجع السابق ، ص. 165.

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص. 285.

[7] حسن على حسن ، المرجع السابق ص. 176.

وكل من ادعى شيئا ... أو دعوى صولح بما يرضيه، دفعا للبلوى [1] كما كتبت امرأة إلى المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب الخراج ، فنظر المنصور في أمرها وأنصفها[2] وأحيانا نجد الولاة يعينون القضاة إستثناء في النظر في المظالم، وهو ما بينه الزركشي بولاية إفريقية، حيث عين الناصر الشيخ أبا محمد عبد الواحد الحفصي، وأعطاه سلطة التصرف ، فكان يجلس كل يوم سبت لمسائل الناس[3]

أما بالنسبة لاختصاصات صاحب المظالم فمتعددة ويمكن إجمالها في النظر في تعدى موظفي الدولة على الرعية وتوقيع العقوبة على الظلمة، ورد الحقوق لأصحابها مع إشرافهم على الأوقاف العامة، وإقامة الشعائر والعبادات و تنفيذ الأحكام التي يعجز القضاة العاديون على تنفيذها.[4]

هذه المعطيات وغيرها، تؤكد دون أدنى شك أن مجلس المظالم بالعدوتين كان في أكمل صورته عهد الموحدين[5] ويتبين ذلك لما يرفع سكان المدن شكاويهم إلى الخليفة مباشرة، كما فعل أهل باجة ضد الحافظ أبي بكر بن وزير سنة 570هـ، لما أحسوا عدم إنصافهم من مظلمتهم[6]

ونشير أن خطة المظالم قد تلاشت بعد وفاة المنصور، والدليل أن أبا الحسن الفاسي إقترح على يوسف المستنصر إحياء خطة المظالم، وكتب مقالة في حث الإمام

---

1 ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ص. 173.

(2) النفح ، ج6 ، ص. 44.

(3) الزركشي ، **تاريخ الدولتين** ، ص. 19.

4 المقرى ، المصدر السابق ، صص. 30.29.

(5) هوبكتر ، **النظم الإسلامية** ، ص. 240.

(6) ابن عذارى، م س ، ص.133.

على القعود لسماع مظالم الرعية[1]وإن كانت المادة الخبرية التي وصلتنا لا تعكس الدور الكبير الذي لعبه هذا المجلس على المستويين الرسمي والشعبي.

۞الموثقون (العدول):

يقول الله عز وجل ﴿ وليكتب بينكم كَـاتِـبٌ بِالْعَـدْلِ وَلاَ يـأْبَ كَـاتِـبٌ أَنْ يكتب كَـمَا علمهالله ﴾[2]

العدول أو الموثقون هم أعوان القاضي يستعين بهم عندما يكتب عقدا بين متعاقدين، سواء في تجارة أو زواج أو تركة.. [3]وهي خطة يتولاها المنتصبون لكتابة العقود وضبط الشروط بين المتعاقدين، وهي من وظائف الدولة المساعدة للقضاء، ويُسمى عاملوها بالعدول والمنتصبين والموثقين والشهود والشراطين[4]

ولابد لهم من معرفة علم الوثائق، الذي عرفه إبن مغيث بقوله".... **علم شريف يلجأ اليه الملوك والفقهاء وأهل الحرف والسوقة والسواد، كلهم يمشون إليه ويتحاكمون بين يديه ويرضون بقوله ويرجعون إلى فعله، فينزل كل طبقة منهم على مرتبتها ولا يخل عن منزلتها** ..."[5]

وقد كثر الموثقون في بلاد المشرق والمغرب على حد سواء، واتخذ بعضهم التوثيق مهنة للتكسب بلا علم، فأساؤوا الى سُمعة الموثقين، مما جعل بعض الناس يتحامل

---

(1) ابن عبد الملك، م س ، ج8، ص. 165.

(2) سورة البقرة ، الآية 282.

(3) كمال السيد أبو مصطفى ، م س ، ص. 84.

(4) الونشريسي(ابو العباس حمد بن يحي) ، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق و أحكام الوثائق** ، دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن حمود ، دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث ، الامارات العربية المتحدة، ط1 ، 2005 ، ص. 15 .

(5) نفسه ، ص. 31 .

عليهم ويسبهم، وقد ألف لسان الدين ابن الخطيب رسالته الشهيرة الموسومة بمثلى الطريقة في ذم الوثيقة قال فيها "...**فما الفرق بينه وبين سائر الفعلة من الأساكفة والخرازين والحاكة وأرباب أسواق المضغ من الخبازين والسفاجين وكثيرا من أرباب المهن**"[1] وللموثق مجموعة من الشروط لابد أن تتوفر فيه حتى يكون أهلا لهذه المهنة يقول ابن عبدون الذي عاش بالعصر المرابطي بصدد الحديث عن صفات الموثق **'لا يجب أن يكتب الوثائق إلا من شهد له في ذلك بحسن الخط وترتيب اللفظ، واتساع في العلم من رجل خير ورع، ليكفي للقاضي والحاكم عند رؤية خطه ولفظه البحث والتعب فيهما، من براءة التدليس والتلبيس.. والصدقات لا يكتبها إلا ثقة والمناكح لا تعطى إلا لرجل فقيه ورع غني، ولا يكون شابا ممن يريد القاضي أن ينعشه بذلك..'**[2]

تشدد ابن عبدون في هذه الشروط التي تدل على البراعة الحسية من حسن الخط واتساع العلم، وأضاف الجزيري (ت595هـ/1189م) الذي عاش في العصر الموحدي في شروط الموثق والذي من خلاله يمكن أن نأخذ صورة حقيقية عن هذه المهنة في فترة الدراسة حين قال "**يجب على الموثق أن يتقي الله العظيم فيكتب كما علمه الله، وينصح فيه لمن استعمله، فيتوثق في المحق، ويتحرز من إبطال حق، ويتجنب الألفاظ المحتملة والمجملة والمبهمة والمشتركة، لا سيما في قطع الدعاوى، ولا يقيد موضع الإطلاق كما يطلق موضع التقييد، لأن في ذلك إخلالا بالعقود وتسببا للضرر...**[3]

ومن خلال ما وصلنا من مجموع المؤلفات القيمة التي تناولت علم الوثائق، في الفترة الموحدية بالذات، نجد على سبيل المثال:مختصر النهاية والتمام في معرفة

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق عبد المجيد التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1983 ، ص. 95.

[2] ابن عبدون ، م س ، ص. 15.

[3] الجزيري ، **المقصد المحمود** ، ص. 9 – 10.

الوثائق والأحكام لأبي الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم اللخمي (ت 570هـ) ، ومفيد الحكاميفا يـُعرض من النوازل والأحكام لهشام بن عبد الله الأزدي (ت 606هـ)، والمقصد المحمود في الوثائق والعقود لأبي الحسن علي بن يحي الجزيزي (ت 585هـ)، واشتهر عدد من الموثقين بالمغرب والأندلس منهم: يوسف بن عبد الله بن سعيد الأندلسي (متوفي ق6هـ)، وعلي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المدعو المتيطي (عاش ق 6هـ) وغيرهم كثير .

والموثق قد يغفل أحيانا مثلا في باب الوصايا كتابة الأعيان الموصى لهم، ولم يسند معرفتهم إلى أحد ففي هذه الحالة لا يـُدفع إلى الأعيان شيء[1]

وبالنسبة لأجر الموثقين، يبدوا أنه كان محل اتفاق مبدئي قبل الكتابة، بالنسبة لمن كانوا يكتبون للعامة، فقد أوردت كتب النوازل عدة قضايا تتعلق بالموثقين، منها قضية الأجرة، حين يكتب الموثق الوثيقة قبل الإتفاق على أجرة معلومة[2] أما من كانوا بالجهاز القضائي مباشرة فدون شك كان يـُصرف لهم مرتب من بيت المال، عند عملهم الرسمي، ودون شك كانوا يعملون أوقاتا إضافية عند فراغهم ليضمنوا دخلا إضافيا .

۞ المفتون وأهل الشورى:

الإفتاء من الخطط المساعدة للقضاء، وسمي في المصادر الموحدية بالمشاور[3]، وربما صار بعد مدة قاضيا إذا ظهر نبوغه، ويلجأ القاضي الى رأي المشاور إذا التبس عليه حكم من الأحكام، ويكون المشاور كثير الإطلاع على قضايا النوازل في بلده وما

---

(1) الجزيري، م.س. ، ص. 451.

(2) والاجابة على هذه النازلة أن تسمية الأجرة واجبة قبل العمل إلا ان يكون الكاتب كريم الطباع ، يقبل ما أُعطي له فلا يحتاج إلى تسمية ، أنظر ، الونشريسي ، **المعيار** ، ج 5 ، ص. 154 .

(3) انظر ، التكملة ، ج1 ، صص. 45، 67، 112، 133، 205، 234.

جاورها، فقد تختلف حيثيات القضايا بين العدوتين لاختلاف المكان والأحوال، ويجلس المشاور عادة في مجلس حكم القاضي، وقد يعينه القاضي أحيانا[1]وقد أشار ابن مناصف المعاصر للدولة الموحدية إلى خطر تعاطي الجُهال للعلم والفتوى بقوله"**أخبرني غير واحد عن رجل من العامة أعرفه الآن وقف على بعض كلام أهل الظاهر من غير تفهم لمعانيه ولا ملاقاة شيخ فيهن أنه يفتي للناس مجاهرا غير مستتر ولا مستح من الله تعالى**..." [2] وهي ظاهرة وجدت بالمشرق والمغرب على حد سواء.

۞ المؤذنون:

علامة دخول وقت الصلاة عند المسلمين هو الآذان[3]،وصاحبه ذو فضل كبير في الدنيا والآخرة[4]، رغم أن صاحب الآذان – على حد قول ابن خلدون – لا تعظم ثروته في الغالب، **"لأنه من أهل الصنائع الدينية، فيقسم لهم حظ من الرزق على نسبة الحاجة ولا يتساووا مع أهل الشوكة"**[5]،رغم أنهم أعزة على الناس، لأنهم لا يخضعون لأهل الجاه.

(1) الغبريني ، **عنوان الدراية** ، ص 165، عز الدين عمر موسى ، م س ، ص. 204.

(2) ابن مناصف، م س ، ص. 97.

(3)أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ،**في آداب الحسبة و المحتسب** ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،نشر ليفي بروفنسال ،المعهد العلمي الفرنسي ، 1955 ، ص. 72 .

(4)عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم الناس ما في النداء و الصف الاول ثم لم يجدوا إلا إن يستهموا عليه لاستهموا.،حول هذا ينظر :الدمردائي إبراهيم ،**تحفة الخلان في أحكام الآذان** ، مخطوط مصور عن المكتبة الأزهرية تحت رقم 6447، عدد الأوراق 128 ،موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية .

(5) ابن خلدون، **المقدمة** ، ص. 374.

وبالنسبة للعصر الموحدي، وبالرغم من كثرة المساجد[1] نعثر على إشارات متفرقة من المصادر، حول أحوال المؤذنين ووظائفهم، يقول عبد الواحد المراكشي في نص فريد بصدد الحديث عن صفة إقامة صلاة الجمعة «**يقوم رئيس المؤذنين ومعه العصا التي يتوكأ عليها الخطيب، فيقول: قد فاء الفيئ يا سيدنا أمير المؤمنين والحمد لله رب العالمين، يريد بهذا القول استئذانه في صعود الخطيب للمنبر، فإذا جلس الخطيب فوق المنبر، أذن ثلاثة من المؤذنين متفرقين،أصواتهم في نهاية الحسن، قد أنتخبوا لذلك من البلاد،ثم يقوم الخطيب**»[2].

هذا النص على قصره، يبين مجموعة من الحقائق والمعلومات، أهمها أن للمؤذنين رئيس، وهم على الكثرة في مسجد واحد، كما أنهم يؤذنون متفرقين، وهذا ما نجد ابن عبدون الإشبيلي ينادي به[3]، حين قال: يجب أن يكون من المؤذنين على عدد أبواب الجامع، و زيادة إثنين، واحد من القرب من الإمام ... والثاني في آخر البلاط، يعلن بصوته من يصلي في الصحن .

فعادة كثرة المؤذنين، كانت ببلاد المغرب والأندلس على حد سواء، أما اختيارهم فيخضع لمجموعة من الشروط، وممايؤكد تنظيم هذه الخطة، أن الخليفة الناصر(595هـ-610هـ) أسقط عن المؤذنين الذين يسافرون معه حمل السلاح[4] وأمر لهم بالموازين للأوقات خاصة، وهو إعفاء لهم من أعباء الجهاد، وإذن لهم بالتفرغ لمهامهم الدينية فقط.

---

(1) ذكر صاحب جذوة الإقتباس أن المساجد في عهد الموحدين بمدينة فاس وحدها أكثر من سبعمئة وخمسة وثمانون مسجدا (785)، أنظر، أحمد بن القاضي المكناسي (ت960هــ) ، **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،** دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، 1973 ، ص. 223.

(2) المراكشي ، **المعجب** ، صص 257- 258.

(3) ابن عبدون ، م س ، ص 21.

(4) ابن القطان، م س ، ص 65.

أهم شرط في الآذان أي يكون المؤذن صيتا، حسن الطريقة ،عالما بالأوقات وكذا سنن الآذان، مع الإقتداء دائما بمؤذن المنار[1]. الذي يعتبر أمين مهنة المؤذنين، الذي يشترط فيه العدل والثقة.

بالنسبة لصفة الآذان، أوردت المصادر الموحدية ان المهدي بن تومرت قد امر المؤذنين اذا طلع الفجر ان ينادوا في آذانهم أصبح والحمد لله[2]والذي يبدو انه أصبح شعارا للموحدين[3]

وقد أورد التادلي في تراجمه لشخصيات معروفة في عصر الموحدين ،امتهنت الآذان، على غرار أبي يعقوب يوسف بن علي من أهل داي الذي أذن لأكثر من أربعين سنة، حيث كان جهير الصوت عاليه ، يسمع منه ينشد في صومعته :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات .

ثم يبكي بكاء طويلا، فلا يسمع أحد صوته إلا بكى[4].

وبغض النظر عن شرط الذكورة[5]يتجنب المؤذن التطريب في الآذان، أو تلحين صوته أو الآذان بغير اللغة العربية، حيث لم تورد المصادر الموحدية أن أحد المؤذنين

---

(1) القوصي (أبو حاتم أسامة بن عبد اللطيف) ، **كتـــاب الآذان** ، قدم له عبد الرحمن مقبل ، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1987، ص 278 .

(2) ابن القطان ، **النظم** ، ص. 168.

(3) وردت هذه العبارة أثناء حصار الموحدين لمدينة وهران ،...فاجتمعوا ذات يوم في الجبل المطل على وهران فصاحوا صيحة عظيمة بلسان واحد : اصبح والحمد لله ، و لم يكن اللمتونيون يصيحون بذلك ، البيان ، ق م ، ص. 20.

(4) التادلي (أبو يعقوب يوسف) ، **التشـــوف الى رجال التصوف** ،تحقيق احمد التوفيق ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية، ط 2 ،1997، ص. 168.

(5) لو أذنت إمرأة بقدر ما تسمعها النساء، لم يندب ، و لم يكره ، وكان ذلك ذكرا لله تعالى ، و هيه إشارة انها لم يكن لها أجر الآذان ، حول هذا ، ينظر :ابن مناصف (محمد بن عيسى) ،**تنبيه الحكام في سيرة القضاة و قبول الشهادات وتنفيذ الأحكام** ،مخطوط مصور عن مخطوطات الأزهر الشريف ،تحت رقم 3031 ، ورقة 23 .

قد أذن بالبربرية مثلا رغم أن هناك بعض المساجد كانت تعيد النداء بالأمازيغية[1] نظرا للعجمة التي تميز كثيرا من القبائل البربرية .

وبالنسبة لأجر المؤذنين[2]، ليست هناك وثائق تعطينا صورة واضحة حول أجور هذه المهنة، غير أن الثابت أن بعضهم كان يعمل لصالح بعض الصالحين، كمؤذن خاص كما حدث لأبي شعيب ابن سعيد الصنهاجي، من أهل أزمور، الذي يأتيه مؤذنه الخاص في وقت كل صلاة[3]

كما بين الطاهر الصدفي ـ وهو من أهل القرن السادس ـ أن بعض المساجد كان يترك فيها أمر الآذان والإقامة للمجتهدين في العبادة، أو حتى عابري السبيل[4]، وفي هذه الحالة يبدو أن المؤذن ليس له أجرة، أو يكون مرتبه من أحباس المسجد، شرط أن يكون عارفا بأحكام الآذان وسننه[5].

---

(1) كانت هناك عدة لهجات بربرية ، مثلا اللهجة المصمودية تسمى تشليحت ، واللهجة الزناتية تسمى تاريفت ، واللهجة الصنهاجية تسمى تامزيغت ، أنظر ، احمد المحمودي ، م س ، ص. 138.

(2) يجوز أن يأخذ المؤذن رزقا على عمله، من سهم المصالح ، و منع الامام أبو حنبفة النعمان ذلك ، و كره بعض أهل العلم أخذ الأجرة، و رأوا الاحتساب في الأجر . انظر:الماوردي ، **الأحكام السلطـــانية**،ص.181.

(3) ابن الزيات ، م س ، ص. 116.

(4)طاهر الصدفي ، **السر المصون في ما أكرم به المخلصون** ، تح و تق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ، ط1 ،1998 ، ص.64 .

(5)أورد صاحب الاستقصاء أن المهدي بن تومرت قد أحدث في آذان الصبح : **أصبح ولله الحمد** ، ولكننا لا نعثر على إشارات واضحة تؤيد هذا القول ، أو ربما قد أحدث المهدي هذا في فترة الدعوة ، وان صح هذا ، فالمهدي يبدو متأثرا بالفكر الشيعي الذي أحدث هو كذلك في الآذان بعض العبارات . ينظر : أبو العباس بن خالد الناصري ، **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، الدولتان المرابطية والموحدية ، تح وتع جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، المغرب الأقصى ، 1954 ، ج2 ، ص. 86 .

كما يذكر ابن عبدون وظيفة أخرى ترتبط بوظيفة المؤذن، وهو **المنذِر**، وهذا الرجل يعينه أصحاب الأسواق ليشعرهم بآذان الظهر والعصر من كل يوم، ليتأهبوا للصلاة ، وله عليهم أن يجمعوا له كل يوم جمعة شيئا يستعين به في معيشته، ويجبر الناس على ذلك القاضي والمحتسب [1]، وبالتالي فأجرته أسبوعية، خلافا للمؤذن، ووردت مهنة أخرى مرتبطة بالمؤذن وهو **المسمع** أو **المبلغ**: وهو موظف في المسجد عمله إعادة كل أو بعض عبارات الإمام أو الخطيب[2] أثناء الصلاة .كما كان المؤذنون يقومون أحيانا بمهمة تغسيل الموتى، يساعدهم أحد أقارب الميت، فالمؤذن صالح بن يوسف غسل جملة من الفقهاء والصالحين[3] منهم الولي الصالح إسماعيل الخزرجي (ت 685هـ)، وعموما فان هذه المهنة تبدو أنها كانت بالأندلس فقط، ولم تذكر المصادر عنها شيئا ببلاد المغرب، وإن كنا نرجح أنها يمكن أن يأخذ بها أهل المغرب خاصة الأقصى منه، لقرب المسافة، وكذا الحركة الكثيفة بين العدوتين.

كما ورد تقسيم آخر للمؤذنين إلى طبقتين هما مؤذنو القبائل مقرهم في الأقاليم ومؤذنو الحضر الملحقون بالسلطة المركزية في مراكش[4]

نشير أن كتب المتصوفة تحمل بعض الإشارات المرتبطة بالمؤذنين ووظائفهم، وعلى سبيل المثال يشير التادلي في معرض حديثه عن مناقب أبي يعزى أنه كان يدرك وقت طلوع الفجر في رمضان وهو جالس في مكانه لا يتحرك، عكس المؤذنين الذين كانوا

---

(1) ابن عبدون ، م س ، ص. 23 .

(2) هوبكتز ج ف ب ، **النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى** ، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي ، الدر العربية للكتاب ، ليبيا تونس ، 1980 ، ص. 185.

(3) البادسي ، **المقصد الشريف** ، ص. 123 .

(4) هوبكتز ، نفسه ، ص. 186.

يراقبون ذلك بأعينهم[1]، ولكن تبقى هذه القصص بين مثبت لها ومشكك كون من كتب عنهم انبهر بشخصيتهم، أو كتب بعض الأخبار التي نسجت عنهم, ولا يمكن الجزم بصحتها .

۞ المؤقتون

يقصد بعلم المواقيت هو ما يتوصل به الى معرفة أزمنة الأيام، نهارها وليلها، ومعرفة أحوالها وكيفية التوصل إليها لضبط أوقات العبادات[2]،من صلاة وصيام وحج .

ووظيفة المؤقت من الوظائف الهامة التي ظهرت في الدولة المغربية[3] ، وقد أفادنا ابن أبي زرع ببعض الأسماء ممن اشتهروا بهذه الوظيفة في العهد الموحدي، كأبي عبد الله الحراز الذي كان مؤقتا بالجامع الأعظم بمراكش ثم محمد عبد الله بن عبد الرحمن الشابي الفاسي(ت 639هـ) ، الذي عُرف بعلو كعبه في علم الاوقات والنجوم، وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي السقطي القصري، الذي كان على دراية كبيرة بعلم الأوقات، وأبو محمد عبد الله بن يوسف الفاسي (ت ق7هـ) [4]، وغيرهم كثير، كابن الحباك أبو عبد الله الذي عاش اواخر العصر الموحدي (ت685هـ/1286م) واليه يعود

---

(1) أبو أحمد التادلي الصومعي ، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تح علي الجاوي ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،المغرب، ص. 115 .

(2) **علم المواقيت أصوله ومناهجه**، تق وتح محمد العربي الخطابي، مطبعة فضالة، المغرب الاقصى، 1986، ص. 3.

(3) ابراهيم القادري بوتشيش ، **علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين** ، ضمن متنوعات حليمة فرحاة ، جامعة محمد الخامس السويسي ، معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 2005،ص106.

(4) ابن ابي زرع ، م س ، ص56.

الفضل في صناعة اول ساعة مائية[1]ولا يستبعد أن كثيرا من هؤلاء المؤقتين كانوا مؤذنين، أو على الأقل على اتصال مباشر مع المؤذنين ليعلموهم بأوقات الصلوات، وأوقات الهلال ، ليسهلوا عليهم ضبط الأوقات،مما يبين دون شك تطور علم الفلك والنجوم في العصر الموحدي[2]

۞ صاحب الصلاة :

يطلق أهل المغرب والأندلس على من يؤم الناس في صلواتهم اسم صاحب الصلاة[3]، ويبدو أن أول ذكر لهذا اللقب يعود إلى القرن الثالث الهجري، وانتشر بعد ذلك في الأندلس وافريقية والمغرب[4]، و قد عدل الناس عن لقب الامام الذي عُرف من قبل، حتى لا يختلط مع الإمام الحاكم[5].

يورد المراكشي نصاُ مهما حين يتحدث عن الخليفة المنصور « ... **من ذلك أنه كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس لم يزل على ذلك مستمراً أشهراً إلى أن أبطأ يوماً عن صلاة العصر إبطاء كاد وقتها يفوت وقعد الناس ينتظرونه فخرج عليهم فصلى ثم أوسعهم لوماً وتأنيباً وقال:ما أرى صلاتكم إلا لنا وإلا فما منعكم عن أن تقدموا**

---

(1) ابن خلدون ، **العبر** ، ج8 ، ص. 355.

(2) بوتشيش ، **علم النجوم...** ، ص.111.

(3)يدعي بعض المستشرقين ممن لم يتمكنوا من اللغة العربية أن صاحب الصلاة يعني شخصا بعينه وليس وظيفة قارة وتعني الذي الف كتابا مسمى بالصلاة ، أو أنه يُقرأ بكسر الصاد وحذف الألف حول الموضوع ، يُنظر: مقدمة كتاب **المن بالامامة** ،صص. 6 – 9.

(4) ابن بشكوال ، **الصلة** ، رقم 501، 515.

(5) ابن صاحب الصلاة ، م س ، ص. 08.

رجلاً منكم فيصلي بكم أليس قد قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف حين دخل وقت الصلاة وهو غائب أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتبعون والهداة المهتدون فكان ذلك سبباً لقطعه الإمامة»[1]

وهذا ما يبين أن الخليفة نفسه قد صلى بالناس، وخشي أن تصير سنة له، فقطعها.

على العموم، كان متولي خطة صاحب الصلاة تابعا للقاضي، ولا يكون إلا من الفقهاء، وغالبا ما يتولاها رجل من أهل البلد[2]، ربما لتكون إقامته قريبة من المسجد، وتهيأ له ظروف العمل .

❁ الخطيب:

يشترط الموحدون في منصب الإمام الخطيب أن يكون من طلبة الحضر[3]، كون صاحب هذه الخطة مشاركا في سياسة الدولة، لأنه أحد أعضاء مجلس الخاصة[4]، ففي العاصمة مراكش يتولى خطيب الخلافة الخطبة والصلاة في الجُمع والأعياد بحضرة الخليفة[5]، حيث يتلوا الخطبة المعلومة كما يسميها الموحدون[6]، ولعل توحيدها في

---

(1) المراكشي ، م س ، ص. 133.

(2) الذيل و التكملة، ج4، ص. 125.

(3) ابن عذارى ، **البيان**، ج3، ص 204،ابن صاحب الصلاة ، **المن** ، ص. 420.

(4) المراكشي، م س ، ص 258، عز الدين عمر موسى ، **الموحدون في الغرب الإسلامي** ، ص. 211.

(5) يُنظر، البيان ، ج3، صص 90، 92، 93، 193.

(6) **ونصها**: الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً

مختلف أنحاء الدولة الموحدية له دلالات كثيرة، منها أن الخطبة هي وسيلة من الوسائل الدعائية للدولة، ولابد من توجيهها حسب إتجاه الدولة، ولا يمكن أن يحيد عنها الخطيب فهي علامة التبعية والإنصياع .

بالنسبة لأجر الخطيب، فمعلوم أن الخلفاء الموحدين قد نظموا عطاء خاصا لهذه الوظيفة، ضمن مرتبات أهل الخطط الدينية، لكنه ليس كافيا دائما، فقد بين الغبريني أن الامام الراتب بمسجد بلنسية قد طلب من الخليفة زيادة راتبه الذي رآه

ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً أسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فإنما نحن به وله.ثم يتعوذ ويقرأ سورة " قاف " من أولها إلى آخرها ثم يجلس فإذا قام إلى الخطبة الثانية قال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ونبرأ من الحول والقوة إليه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم آله واصحابه الذين اتبعوه ففاتوا الأنام جداً وعزماً وأنفدوا وسعهم في نصره والصبر على ما أصابهم فيه وفاء وصدقاً وحزماً وعلى الإمام المعصوم المهدي المعلوم أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي الذي أيد بالعصمة فكان أمره حتماً واكتنف بالنور اللائح والعدل الواضح الذي يملأ البسيطة حتى لا يدع فيها ظلاماً ولا ظلماً وعلى وارثة شرفه الصميم قسيمه رضي الله عنه في النسب الكريم المجتبي لوارثه مقامه العلي الخليفة الإمام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وعلى أبي يعقوب ولي ذلك الاستخلاص ومستوجب شرف الاجتباء والاختصاص اللهم وأرض عن المجاهد في سبيلك المحيي سنة رسولك الخليفة الإمام ... أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وعلى الخليفة الإمام أبي عبد الله ابن الخلفاء الراشدين اللهم وانصر ولي عهدهم الطالع في أفق سعدهم القائم بالأمر من بعدهم الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، اللهم كما شددت به عرا الإسلام وجمعت على طاعته قلوب الأنام ونصرت به دين نبيك محمد – عليه الصلاة والسلام – فأقض له بالنصر المقرون بالكمال والتمام اللهم كما اجتبيته من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين فاجعله من المقتفين لآثارهم المهتدين بمنارهم المقتبسين من أنوارهم اللهم وأيد الطائفة المنصورة والجماعة إخوان نبيك وطائفة مهديك الذين أخبرت عنهم في صريح وحيك أنهم لا يزالون ظاهرين على أمرك إلى قيام الساعة وأمدهم وكافة من انتظم في سلكهم من أنصار الدين وحزبك الموحدين بمواد النصر والتمكين والفتح المبين واجعل لهم من عضدك وتأييدك أعز ظهير وأكرم نصير، ثم يدعو وينزل، **المراكشي** ، م س ، ص343، 345.

زهيدا[1] أو ربما رأى هذا أن مكانته تقتضي راتبا عاليا فوق ما ُسمي له، وقد وصل الأمر يبعض الأئمة أن اشترطوا أضحية العيد[2]أو توفير السكن دون دفع مبلغ الكراء[3]، وقد وفرت الدولة الموحدية بعض الخطباء حتى بالسجون على غرار الدولة المرابطية.

❁ الشعراء:

إرتبط الحديث عن الشعر بالطبيعة التكسبية له، بسبب إرتباطه بإرادة صاحب البلاط من جهة، وإقترانه بعطائه من جهة أخرى[4]فغدىحرفة ي ُطلب بها المعاش[5]، ولما كان شعر المدح من دون فنون الشعر العربي مرتبطا على مدى التاريخ الأدبي بالساسة والحكام وذوي الجاه والنفوذ، وبعبارة أدق أكثرها تماسا والتصاقا بهذه الطبقة، فهو متأثر سلبا وإيجابا بموقفها، ولابد من نشوء هذا الفن من توخي عاملين[6] :

- الأذن الصاغية في الممدوح ، والذهنية الناقدة والحاسة المتذوقة .
- النفس الكريمة من الممدوح ، واليد المعطاء .

ويعتبر البعض أن شعر التكسب أقرب الى التسول، لأن الشاعر يضطر الى التملق والنفاق من أجل دنانير يأخذها، وقد أحس الشعراء بمرارة التكسب وإهدار كرامتهم أمام

---

(1) الغبريني(أبو العباس احمد بن محمد بن عبد الله) ، **عنوان الدراية فيمن عُرف من علماء المائة السابعة في بجاية** ، تحقيق وتعليق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1، 1979، ص. 144.

(2) الونشريسي، م س ، ج7، ص. 164.

(3) نفسه، ص. 184.

(4) سعدي ضناوي ، **موسوعة هارون الرشيد** ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 2001، مج 1 ، ص. 610.

(5) يصف ابن نواس التكسب صراحة بقوله : وبضاعة الشعر إن أنفقتها نفقت ، وإن أكسدتها لم تُنفقِ .

(6) محمد مجيد السعيد، **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس** ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ط2 ، 1985 ، ص. 79 .

أبواب الخلفاء على غرار الشاعر الأعمى التطيلي المعاصر للموحدين (ت525هـ) الذي يصف هذا الموقف المهين ببراعة شعرية في قوله :

وكم نطفة من ماء وجهي أرقتها بودي لو أني أرقت لها دمي[1]

في عصر الموحدين، إنتعش شعر المدح بشكل لافت حتى في البيت الموحدي نفسه[2]، وطغت عليه مسحة دينية شيعية إن صح التعبير في بعض الأحيان، متأثرة بتعاليم المهدي ابن تومرت، فنجده يضم التفاخر بالنسب، فقد كان الموحدون يرفعون نسبهم إلى قيس عيلان بن مُضر، ليتباهوا بذلك، يقول أبو محمد بن حامد في مدح سليمان حفيد عبد المؤمن بن علي :

ومؤيد من قيس عيلان الألى هم روضة الجاني وعود الجاني[3].

كما استجد في شعر المديح شيء جديد، وهو الإستنجاد والحظ على الجهاد بفعل الظروف السياسية، وصار من مستلزمات المدح، فهذا أبو مطرف محمد المخزومي يستصرخ أمير المؤمنين الموحدي عند حصار مدينة شقر في قصيدة طويلة :

تدارك أمير المؤمنين دماءنا فانك للإســـلام والدين ناصـــُر

ووجه الى استنقاذنا بكتيـــبة يهاب الردى منها العدو المحاصر[4]

---

[1]التطيلي(أبو جعفر محمد بن عبد الله)، **ديوان الأعمى التطيلي** ، تح احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1963، ص. 174 .

[2] كالشاعر ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحدي (552- 604ه) تولى ولاية بجاية، ثم تلمسان وسجلماسة التي أُضيف اليها تلمسان ، انظر ديوانه ، تح محمد بن تاويت وآخرين، منشورات جامعة محمد الخامس، دت .

[3] التجيبي، م س، ص. 83 .

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ، ص. 269.

كما اتسم الشعر أحيانا بالغلو والمبالغة، حتى إخراج الممدوح من صورة البشر، ومن ذلك قول الرصافي(ت 572هـ) يمدح الخليفة عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح :

لو جئت على نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور[1].

وقد كثُرت أسماء الشعراء الذين جعلوا المديح سبيلا لرزقهم، على غرار الشاعر الكبير ابن حبوس[2]شاعر الخلافة الموحدية، الذي ذاع صيته في بلاد المغرب والأندلس حتى قال عنه المراكشي أنه نال حظوة عند عبد المؤمن ونال في أيامه ثروة[3] ويبدو تأثر شعراء المغرب بنظرائهم في الأندلس واضحا، فُملك الموحدين من البربر لم يكن معنيا بكثرة الاطراء وتدبيج العبارات الخلابة المؤثرة في النفوس كشأن الأندلسيين[4]الذين لهم باع طويل في هذا الشأن، وقد تأثروا بدورهم بالمشارقة، وبدا ذلك من خلال أشعار مشاهيرهم كابن الأبار وابن سعيد وغيرهما[5]كما برز الشاعر الكبير الجراوي[6]، الذي قال له عبد المؤمن بن علي إنا نباهي بك أهل الأندلس، وابن

---

(1) الرصافي(أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي) ، **ديوان الرصافي البلنسي** ، جمعه احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1960، ص. 140 .

(2) ابن حبوس أبو عبد الله محمد بن حسين (500- 570هـ) ، أصله من تازا من أهل تسول، شاعر المغرب الأقصى ومفخرة صناعة الشعر، شاعر متين الاسلوب غزير المعاني بارع الصناعة متنوع الأغراض، تكسب ابن حبوس بالشعر فمدح الخلفاء و الأمراء و كثُر اتصاله بهم، حيث حضي بصحية عبد المؤمن وأصبح الشاعر الرسمي ،وأطلق عليه شاعر الخلافة المهدية، للمزيد يُنظر: ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن) ، **المُطرب في أشعار اهل المغرب** ، تح ابراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد ، راجعه طه حسين ، دار العلم للجميع ، سوريا ، صص. 197-202.

(3) المراكشي ، م س ، ص. 157.

(4) محمد رضا الشبيبي ، **أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية** ، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص. 74 .

(5) محمد جابر الأنصاري، **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1 ، 1992 ، ص. 56.

(6) الشاعر الأديب أبو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي (ت609هـ) ، صاحب مكانة رفيعة في عهد الموحدين، اتصل بعبد المؤمن وامتدحه ونال منه حُظوة ، انظر ، ابن بحر التجيبي ، **زاد المسافر** ، ص 49، **البيان** ق م ، صص 70 ، 72، 107، 240 ، 241، 249، 250.

الياسمين[1]وابن خلف الاندلسي[2]وغيرهم كثير ممن ذكرتهم المصادر الموحدية المختلفة، حتى أن البعض الشعراء الإنتهازيين إنتظر سنتين كاملتين للقاء أحد الخلفاء الموحدين[3]، حتى المؤرخ ابن صاحب الصلاة خصه الخليفة أبو يعقوب يوسف بظهير وأسهام ومواساة، نظير قصيدة يقول أنه بفضلها إستطاع التغلب على الزمان الدميم وأغنته عن اللئام[4] مما يبين سخاء الخلفاء وعطائهم الجزيل .

ولم يقتصر الأمر على الرجال فقط، بل تعداه إلى النساء، فقد فتح الخلفاء الموحدون أبوابهم للشاعرات والأديبات، وأكرموهن، والأكثر أن ُوظف بعضهن معلمات بقصر الخليفة، وكان منهن على سبيل المثال الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية (ت586هـ) التي أنشدت ارتجالا بين يدي الخليفة عبد المؤمن بن علي:

يا سيد الناس يا من يؤمـــل الناس رفده

امنـــن علي بطرس يكون للدهـــر عدة

تخط يمنـــاك فيه الحمـد لله وحـــده[5]

---

(1) الشاعر أبو محمد بن عبد الله بن حجاج ، سكن فاس ، خدم الخليفة يعقوب المنصور ثم ولده الناصر من بعده ، وبلغ منزلة عظيمة ، توفي ذبحا بمراكش (601ه، 1204م) ، ابن الأبار ، **التكملة** ، ج2 ، ص. 531 .

(2)الشاعر أبو الحسن علي بن موسى بن خلف الاندلسي الأصل ، فاسي المسكن ن كان خطيبا في جامعها ، (ت 593ه) ، وسمي شاعر الحكماء وحكيم الشعراء ، انظر ، ابن شاكر الكتبي ، **وفيات الوفيات** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ج2 ، 1951 ، ص. 181.

(3) يصف ابن صاحب الصلاة ظروف انتظار الشاعر أبو الحكم بن رضى البلنسي الذي أخرجته الفتن والمحن من بلده ، وتردد في البلاد ، فوصل الحضرة وأقام بها مدة سنتين ، على حالة ضيقة...ونجده يتعرض للوزير أبي العلي بن جامع وللفقيه أبي محمد المالقي في كل يوم ، يصف لهما قصده ويرغب من الله تعالى توسطهما له ...فيعدانه للوصول الى الخليفة أبي يعقوب يوسف ، أنظر ، **المن** ، ص. 334.

(4)**المن** ، صص 340-341.

(5) النفح ، ج2 ، ص. 522، التكملة ، ترجمة 2891.

وعموم القول أن الشعراء في العصر الموحدي قد وجدوا المناخ المناسب للإسترزاق وجمع الأموال الجليلة، أو للوصول الى مناصب في الدولة[1] لكن النظام الموحدي كان المستفيد الاكبر،حين كانت قصائدهم تروج للمشروع الجهادي في الأندلس، كما كان وسيلة لتمرير الأفكار، وذلك لتأثير الشعر على العقول، فقد كان إستثمارا على المديين المتوسط والبعيد[2]

۞ مشرفوا الخزانة الموحدية :

أولى الموحدون عناية خاصة بالخزانة، ووردت بأسماء عديدة،منها الخزانة[3]وخزانة بني عبد المؤمن[4]والخزانة العالية[5]وهي مؤهلة لإمتلاك وجمع وتخزين وتنظيم رصيد من الكتب، بحكم رعاية الخلفاء لها، والإمكانيات الهائلة التي تُصرف من أجلها[6]والمقصود ليست خزانة واحدة، بل **"خزانات كثيرة مصنوعة من الخشب المزخرف بنقوش مُذهبة طُليت مختلف اجزائها بطلاء الذهب وباللازوردي الرفيع**[7]ويُستفاد من ابن عبد الملك أن مهمة الإشراف على الخزانة الموحدية كانت تُصنف عند الموحدين ضمن الخُطط الجليلة التي لا يتولاها إلا علية القوم من أهل

---

(1) كما حدث مع محمد بن احمد بن جبير الكناني الغرناطي ، التي اتخذ شعره للوصول الى البلاط والمناصب ، حيث مدح أبا يعقوب يوسف عام 564ه/1168م ، بقصيدة طويلة تنم عن رغيته في الوصول الى منصب بالدولة الموحدية ومطلعها :

بشراي قد أبصرت خير إمام ـــــــفي حضرة التقديس والإعظام ، أنظر، **أعلام مالقة** ، ص. 139.

(2) محمد العمراني، **الموحدون في الأندلس الوجود العسكري وعلاقة السلطة بالمجتمع** ، أطروحة لنيل دكتوراه دولة ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 2003/2002، ص 465.

(3) ابن دحية ، المُغرب في أشعار أهل المغرب، ص. 231.

(4) المراكشي، **المعجب**، ص. 185 .

(5) **الذيل والتكملة**، ج1، ص. 228.

(6) محمد رابطة الدين ، **مراكش زمن الموحدين**، ص. 399.

(7) حسن الوزان، م س، ج2، ص. 105.

العلم، "ولا يتم تعيين متولي الخزانة العلمية إلا بأمر مباشر من الخليفة "[1]مما يبين مكانة الخزانة، ولكن لا نعلم ما هي معايير الإختيار للإشراف، هل هي معايير علمية تنم عن الكفاءة، أم حسب الولاء المخزني ؟[2]ودلتنا المصادر على خزانتين بالعاصمة مراكش: الأولى في قصر الحجر، والثانية بمدرسة القصر بحومة الصالحة،[3]ويُستفاد من من وثيقة تحبيس ربعة قرآنية من عشرة أجزاء مؤرخة في صفر عام 650هـ بخط الخليفة المرتضى أن مهمة الإشراف على خزانة المصاحف بجامع المرتضى كانت من نظر الخطيبين[4]وممن تولوا خطة الإشراف على الخزانة الموحدية في خلافة يوسف بن عبد المؤمن نجد : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الذي كان قاضيا، وكان شُغله الشاغل جمع الكتب[5] وأبو محمد عبد الله العراقي في عهد الخليفة الرشيد[6] وأبو الحسن بن القطان زمن الخليفة العادل[7]وابن شلبون الذي عاصر ابن الأبار، والذي والذي كان فقيها راوية ذو حظ من الأدب وقرض الشعر[8] إضافة إلى الخزائن الخاصة التي تملكها طلبة العلم، ومحبو القراءة ممن جعلوها جزءا من سكناتهم، وتولوا تنظيمها بأنفسهم .

۞ المؤدبون ومعلموا القرآن:

---

(1) ابن عبد الملك ،م س ، ص.228 .

(2) محمد رابطة الدين ، نفسه ، ص. 400.

(3) حسن الوزان ، ج1 ، ص. 105.

(4) أنظر صورة التحبيس في الملاحق .

(5) **الاحاطة** ، 190/1 ، **الذيل والتكملة** ، ص. 228 ، ابن أبي زرع ، م س ، ص. 188.

(6) **الذيل والتكملة** ، ج2 ، ص.476.

(7) نفسه ، ص. 477.

(8) نفسه ، ج5 ، ص. 274 ، عز الدين عمر موسى ، **الموحدون في الغرب الاسلامي** ، ص.213.

التأديب لغة من الفعل أَدَّبَ أي عَلَّم، وتَأَدَّب واسْتَأْدَب. والأُدبَة، بالضم المأْدَبةُ والمَأْدُبَةُ: طَعَامٌ صُنِعَ لدعوة أو عُرْسٍ. وآدَبَ البلاد إيدابا: مَلأَها عَدْلاً، والأَدْبُ، بالفتح العَجَبُ[1] وفي الاصطلاح: التأديب يعني خطة أخلاقية لنهج الفضائل والمناقب، وكل ما من شأنه أن يؤدب الناس وينهاهم عن المثالب والقبائح[2]

في الغرب الاسلامي عموما كان المؤدب يقوم بتعليم الصبيان الخط وحسن الألفاظ في القراءة والهجاء وتجويد وتلاوة القرآن، ويأمر من كان كبيرا منهم بالصلاة[3] ولاحظ ولاحظ إبن خلدون ذلك، حين قرر أن "**أهل المغرب مذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله..ولا يخلطون ذلك بسواه في شتى من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، الى أن يحذق فيه...وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم الى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة**"[4]

---

(1) الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة8، 1426 هـ - 2005 ج1 ، ص. 58.

(2) **ديب صفية ،التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، كنوز الحكمة ،الجزائر، 2011، ص. 199.

(3) ابن عبدون، م س ، ص. 25 .

(4) ابن خلدون، م س ، ص. 333.

في مرحلة الدعوة الموحدية رأى المهدي بن تومرت ضرورة تعليم القبائل المصامدة القرآن الكريم، بحكم أنهم جبليون أميون جاهلون بكتاب الله، وقد تولى في البداية أمر التعليم بنفسه[1]

ومع تمكن الدولة وتوسعها، وانتشار الكتاتيب ومجالس التعليم، زاد الإقبال من الناس على تعليم أبنائهم وبناتهم، واتخذ الخلفاء الموحدون مؤدبين لأبنائهم من خيرة رجال العلم والدين، ويتضح من المصادر المتاحة أن طائفة المؤدبين كان عددهم معتبرا، في المجتمع الأندلسي والمغربي على حد سواء، مما أثر كثيرا في المستوى العام لهؤلاء، حيث ذكر ابن رشد أنهم استخفوا باللغة العربية، وقرأ بعضهم القرآن الكريم باللسان الأعجمي[2]

وذهب أبو بكر بن عربي(ت543هـ/1148م)[3] إلى نقد طرق التربية والتعليم المتبعة في هذا العصر عموما عندما لاحظ عيوبا واضحة في التلقين، خصوصا قضية التدرج

(1) نظرا للعجمة التي ميزت قبائل الموحدين لجأ المهدي مثلا في تعليمهم الفاتحة الى أن سمى كل كلمة من كلمات الفاتحة رجلا، ثم أقعدهم صفا واحدا وقال للأول اسمك الحمد لله والثاني رب والثالث العالمين حتى أتم كلمات السورة، ثم قال لهم: لا يقبل الله لكم صلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء كلها على نسقها في كل ركعة من الصلاة، وهكذا يسر عليهم حفظها فحفظوها، أنظر، ابن أبي زرع، م س ، ص 119.

(2) حول الموضوع يُنظر، لطفي عبد البديع، **الاسلام في اسبانيا**، مكتبة النهظة المصرية، مصر، ط1، 1969، ص 110وما بعدها .

(3) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي الإشبيلي، أخذ العلم عن أبيه وخاله الهوزني، رحل الى أحواز والعراق والشام ومصر، ثم عاد الى اشبيلية، وتحول بيته الى مجلس للعلم، وعقد حلقات للدرس في الجوامع، أخذ عنه فطاحل العلماء، على غرار القاضي عياض اليحصبي، والحافظ المؤرخ ابن بشكوال، وابن رشد، قضى ابن عربي أكثر من أربعين سنة في التدريس والفتوى، والتأصيل للتصوف،من كتبه:العواصم من القواصم في تحقيق مواقف =

بقوله "**يا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي لكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم**"[1]

وقد أدرك الخليفة الأول عبد المؤمن أهمية التعليم الأولي، فحرص على نشر التعليم لترسيخ مبادئ شيخه المهدي، حيث أمر باستدعاء صبيان من حواضر الدولة: فاس وتلمسان وقرطبة وإشبيلية وغيرها، ليوجههم إلى حاضرة مراكش، فاجتمع له نحو ثلاثة آلاف صبي، متقاربي السن، كأنهم أبناء ليلة واحدة[2]، وتعهد بتدريسهم القرآن وصحيح مسلم، وتواليف المهدي وكتب الفقه[3]

والجدير بالذكر أن عبد المؤمن لأول مرة في تاريخ الغرب الإسلامي يسن إجبارية التعليم حين كتب مرسوما الى جميع الأنحاء مغربا وأندلسا، حاثا الناس على تعلم مبادئ التوحيد، بالعربية والبربرية، وسورالقرآن الكريم، كما أمر لذلك طلبة الحضر[4]

وقد ذكرت كتب التراجم والتصوف طائفة معتبرة من معلمي القرآن، على سبيل المثال لا الحصر:

=الصحابة، المتوسط، قانون التأويل، وغيرها كثير، أنظر، ابن فرحون، م س ، ص 400وما بعدها، القاضي عياض، **الغنية**، ص. 115.

(1) أنظر، عمار طالبي، **أراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ج1، ص. 234.

(2) **الحلل الموشية**، ص. 150.

(3) صفية ديب، مرجع سابق، ص. 93.

(4) **مجموع رسائل موحدية**، ص. 126 وما بعدها.

أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي (ت661هـ) من أهل مراكش[1]، ومنهم أبو يحي أبو بكر الورياغلي المعلم، وهو من أهل سلا[2]

أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلاليجي (ت564هـ/1168م) الذي كان مرجع أهل فاس، خاصة في كتابه"العقيدة البرهانية"[3]

ونشير أن للمؤدب صلاحيات كثيرة، إضافة لواجباته المعهودة، " فهو مُخول له بضرب الصبيان عند إساءة الأدب والفُحش في الكلام، أو عندما يلعبون النرد وأنواع القمار"[4]

أما عملية التأديب فيراعى فيها مجموعة من القواعد يراقبها المُحتسب، **"فالمؤدب لا يضرب الصبي بعصى غليظة تكسر العظم، ولارقيقة لا تُؤلم الجسم، بل تكون وسطا، ويضرب مواضع محددة كالألايا والأفخاذ وأسافل الرجلين، لأن هذه المواضع لا يُخشى منها مرض ولا غائلة"**[5]

ولحسن الحظ تركت لنا كتب العقود وثائق مهمة عن إستئجار المؤدبين ومعلمي القرآن، كالتي ذكرها صاحب وثائق المرابطين والموحدين حول استئجار معلم قرآن لابن فلان أو ابنته ليُ **علمه القرآن نظرا وظاهرا والكتب والخط والهجاء مدة**

---

(1) ابن الزيات ، م س، ص. 189.

(2) ابن الزيات، نفسه ، ص. 186.

(3) الغنية ، ص. 222.

(4) ابن الأخوة، م س ، ص. 170.

(5) نفسه، ص. 171.

عام كامل، ويدفع له المُستأجر في كل شهر دقيق القمح الطيب...والزيت"[1] وغيرها من الضروريات، كما حوت وثيقة أخرى حول استئجار مؤدبلي"**ُملي عليه الرسائل ومُخاطبات البُلغاء، وتوقيعات الأمراء، ويرويه من الشعلجاهلي والإسلامي الشعر الحسن السالم من وصف الخمر والخنا وقبيح الهجاء بكذا وكذا دينارا**"[2]

والواضح أن الأثرياء والمرتاحين ماديا هم من يلجأون الى إستئجار المؤدبين ومعلمي القرآن.

هذه جملة من المهن الدينية والأدبية التي أتاحت لنا المصادر الإطلاع عليها، تقابلها مهن اختصت بها الدولة وإدارتها وبلاطها، يصطلح عليها بالديوانية، وهي ما سنعالجه في الفصل اللاحق .

(1) الوثائق، ص 502.

(2) نفسه، ص506.

الفصل الرابع :

المهن الإدارية والديوانية بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي

- تمهيـــد

الولاة

الكتاب

الوزراء

الحجاب

الرقاصون

الرسل

السكاكون

صاحب المدينة والشرطة

المشرفون

،ديوان الأشغال المخزنية

السجانون

الجلادون

حرس المدن والاسواق والدرابون والسمار والمتجسسون وحراس الابواب

ترتبط كثير من المهن بالإدارة ودواوينها المختلفة، وعمالها هم عنوان تمكنها وتطورها، والعكس إذا كانت هذه الأجهزة لا تفي الغرض منها، والدولة الموحدية بحكم اتساع رقعتها وزيادة مداخيلها ومصاريفها، كان لا بد لها من عمال يضبطون امر المملكة ويقفون على حاجات الناس وانشغالاتهم، وسنحاول في هذا الفصل تتبع المهن الديوانية والإدارية، مفصلين لأنواع المشتغلين بها، والمهام المنوطة اليهم، بالرغم إلى افتقار مصادر متخصصة تناولت النظم الموحدية بالتفصيل، والإشارات التي نوردها متناثرة ضمن كتب ومصادر مختلفة، ولحسن الحظ أن بعض من أرخوا للدولة الموحدية كانوا قريبين من البلاط الموحدي، ومن السجلات والدواوين المخزنية، فزودونا بقصد أو بدونه بتفاصيل مهمة جدا عن سير دواليب هذه الدواووين وخصائص عامليها ومهامهم، وغابت عنهم أشياء أخرى نحاول تقصيها من مصادر أخرى .

❁ الولاة :

نقصد بالولاة الأفراد المسؤولين الذين يُعينهم الأمير أو الخليفة على أحد المدن أو الأقاليم، ففي العهد المرابطي سموا ولاتهم بالأمراء لأنهم كانوا من أفراد الأسرة الحاكمة[1]

وفي العهد الموحدي كان غالبية الولاة من السادة، وهو لفظ يعني في عهدهم بني عبد المؤمن[2]

ويبدو أن عبد المؤمن إنتظر حتى صارت له السلطة المطلقة ونقل الحكم إلى بنيه، مع إعلان الحكم الوراثي، حيث نجده قد أسس مدرسة الحفاظ[3]، تخرج منها من بنيه ثلاثة عشر ولدا، كان يعدهم ليكونوا ولاة على الأقاليم، وذلك سنة 551هـ، وصار هذا الفعل سياسة إنتهجها من جاء بعده من الخلفاء[4] ولكن في الفترة الثانية من الدولة إختلف الأمر، وصار أشياخ الموحدين عددهم معتبرا، بالرغم من بقاء حكم السادة الموحدين جاريا، وبقيت هيبتهم عند العامة، وحدث أن استنجدوا بهم في عديد المرات.

مهام الوالي: له عدة مهام منها: مهام أمنية تتجلى في حفظ الامن والسكينة.القضاء على بؤر التوتر والفتن والثورات الداخلية، مشاركة الخليفة في الغزوات بنفسه وجنده. [5]

الإشراف على بناء الحصون والدفاعات الأمنية، والاتصال بالدول المجاورة لتوثيق الصلات التجارية. ومراقبة محاسبة العمال، وإبلاغ الخليفة بكل شاردة وواردة، فيما يخص إقليمه، وأي خطأ قد يعرضه للنقل أو العزل[6]

---

(1) **البيان المغرب، قسم الموحدين** ، ص. 48.

(2) النفح، ج4، ص. 245.

(3) ذكر المراكشي تفاصيل هذه المدرسة، أنظر، **المعجب** ، ص. 233وما بعدها.

(4) عز الدين عمر موسى ، **الموحدون**...، ص. 126.

(5) **البيان المغرب، قسم الموحدين** ، ص. 334.

(6) **المن**، ص. 398،399.

❁ كتاب الرسائل الديوانية :

للأسف لم تصلنا مصنفات نفيسة تناولت رسوم الدواوين[1] لتعطينا صورة متكاملة على مهنة من أهم المهن الديوانية، والتي كان لها شأن منذ أيام المرابطين[2] .

تتمثل وظيفة الكاتب عهد الموحدين في الإشراف على ديوان الإنشاء والأوامر الخاصة بالأمير أو الخليفة، وإذاعة المراسيم والبراءات، وتدبيج الرسائل السياسية وإرسالها إلى مجاميع الأمة وعمال الدولة وختمها بختم الدولة بعد اعتمادها منهم[3]إضافة لمهام إستشارية، أو كتابة نص البيعة للخليفة الجديد، وخلال البيعة يقرأ الكاتب ذلك لكل مجموعة من المبايعين، فيبايعوا على مقتضاه[4] .

بدأ الكتاب في الدولة الموحدية[5] منذ عهد المهدي بن تومرت، فقد كان يكتب له سليمان أحضري الذي عُرف عند أهل أغمات بابن البقال وابن تاعظميت، وشاركه

---

[1] وصل من كتب المشارقة مصنفات مهمة كقوانين الدواوين لابن مماتي وصبح الاعشى للقلقشندي وصناعة الكتاب لأبي جعفر النحاس وغيرهم، أما في المغرب فلم تصلنا كتب قيمة ككتاب بستان الكتابة لأبي محمد القاسم بن أيوب الطائي وكتاب ترتيب الاعمال السلطانية في الدول الأندلسية لأبي الحسن بن خيرة السموري الميورقي وكتاب الحلى الكتابية لأبي الحجاج يوسف بن غمر ، حول الموضوع أنظر محمد بن شريفة ، **ابن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1992، ص.6 وما بعدها.

[2] يقول صاحب المعجب واصفا اهتمام علي بن يوسف بن تاشفين : ...إذ لم يزل هذا الأمير من أول إمارته يستدعي الكتاب من جزيرة الأندلس ويصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له ما لم يجتمع لملك ، المراكشي، م س ، ص 227.

[3] ابن عذارى ، **البيان**، ج3، ص. 231.

[4] **المُعجب**، ص. 326، عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص. 164.

[5] عرفت الدواوين منذ العهد المرابطي حيث نظمها الامير يوسف بن تاشفين ، أنظر ،ابن عذارى، **البيان، قسم الموحدين**، ص. 23.

أحد المتبنين من قبيلة هرغة (قبيلة المهدي) وهو ملول بن ابراهيم الصنهاجي الذي كان يكتب بالسريانية والرومانية عن إذن المهدي[1]

وعند قيام الدولة، وباتساع رقعتها وكثرة خراجها وتعدد ولاياتها وكثرة حركات خلفائها، إقتضى الأمر إنشاء الدواوين، وفي مقدمتهم ديوان الإنشاء الذي يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة والطلبة، وعين على رأسه خيرة أدباء الغرب الإسلامي وجهابذتهم[2]، ويعكسه الكم الهائل الذي وصلنا من الرسائل الرسمية[3] والتي تتشابه من الناحية الشكلية والفنية، حيث أنها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية على الإمام المهدي المعصوم على حد تعبيرهم، وسرد صفاته وأخلاقه ونعوته، ثم تدخل في صلب الموضوع المراد تناوله ونجد العلامة المباركة كما يسميها الموحدون وهي عبارة: " **الحمد لله وحده** " [4] وتُختم الرسالة بالسلام .

كما استعان كتاب الدولة الموحدية بالأشعار في رسائلهم، فكانت أحيانا كل الرسالة أو جلها شعرا، كالرسالة التي صدرت من عبد المؤمن من قسنطينة إلى إشبيلية والتي ورد فيها بعد البسملة والديباجة المعهودة قصيدة طويلة مطلعها :

---

(1) البيذق ، **المقتبس**، ص. 33 ، المنوني، م س ، ص. 122.

(2) إشترط الموحدون في المشتغل في ديوان الكتاب أن يكون بهي الملبس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة ، متوقد الذهن حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، لطيف المسلك، مستفره المركب، أنظر، ابن سلام الإشبيلي، **الذخائر والأعلاق** ، المطبعة الوهبية ، مصر، 1298هـ ، ص. 155.

(3) مزوزية حداد، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية**، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012 ، ص.06.

(4) انظر مثلا، رسائل موحدية (العزاوي) ، ج1، ص.94.

تصدى لأهل الحق نيل مرادهم   وطاب لهم فيما يرومونهم الورد[1]

والشئ الجدير بالتنويه هو العناية الفائقة بألفاظ الرسائل، وتوافق الوحدات الصوتية والعناية بالديباجة اللغوية، من طباق وجناس وإستعارات وكنايات وتشبيهات، مما ينم عن براعة الكتاب وتمكنهم من لغة الظاد، والأمثلة تنطبق على كل الرسائل الموحدية دون إستثناء .

وكتب للموحدين أكثر من مئة كاتب[2] ذكرتهم كتب التراجم[3]، وكان يكتب عدة كتاب في وقت واحد، أو ربما كان عددهم معتبرا بالحضرة مراكش، نظرا كونها العاصمة السياسية، كما كانوا يصحبون الخليفة في غزواته، كعبد المؤمن الذي صحبه ثلاثة كتاب[4]ومن أبرز الكتاب الذين جاء ذكرهم في المصادر الموحدية وكتب التراجم:

أبو جعفر بن عطية[5] (أحمد بن عطية القضاعي) وهو من أهل مراكش وأصله من طرطوشة شرق الأندلس، كان والده كاتبا لعلي بن يوسف وإبنه تاشفين، برع أبو جعفر في الكتابة، فظهرت بلاغته وجودة تركيبه، فقلده عبد المؤمن خطة الكتابة، وأسند اليه وزارته، ولما توجه الى الأندلس دبر له حساده المكائد للخلاص منه، وقد قيل الكثير

---

(1) نفسه ، ص 81.

(2) يرى بعض الدارسين على غرار محمد بن شريفة أن عدد الكتاب اكبر بكثير مما ذكر المؤرخون ، فقد اقتصروا على المشهورين فقط ، ويستدل في ذلك ما رواه ابن عذارى أن المنصور لما جلس لمحاسبة داود بن ابي داود صاحب الأشغال بإشبيلية تكلف بالنظر في ذلك أكثر من خمسين كاتبا، من كتاب الجهات، والواضح أن هؤلاء كانوا من كتاب الخراج حول هذا أنظر ، محمد بن شريفة ، **إبن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية** ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط1، 1992 ، صص. 06-24 .

(3) أنظر في الملحق قائمة بأسماء الكتاب ذكرت في المن والبيان والمعجب وتحفة القادم وغيرها .

(4) **رسائل موحدية**، رسالة رقم 19، 20 ، 21.

(5) أنظر ، ابن الأبار ، **الحلة السيراء** ، ج2 ، ص. 238 ، **إعتاب الكتاب** ، لنفس المؤلف، ص. 264.

عن نكبته، فقد قتله عبد المؤمن رفقة أخيه أبو عقيل سنة 553هـ، وعمره ستة وثلاثون سنة، بعد أن ترك رصيدا هائلا من الرسائل التي أنشأها للدولة الموحدية .

أبو عقيل بن عطية[1]، وهو أخو أبو جعفر، ولد سنة 530هـ، كتب مجموعة مهمة من الرسائل الموحدية للخليفة عبد المؤمن، وقتل رفقة اخيه سنة 553هـ .

أبو القاسم القالمي، وهو من قالمة، وصفه المراكشي أنه من أهل بجاية من أعمال بقالم، كتب لعبد المؤمن بن علي، وهو من نبهاء الكتابة[2] كتب مجموعة من الرسائل، منها الرسالةالواحدة والعشرون وكانت سنة الأخماس 555هـ/1160م[3]

أبو الحسن بن عياش (بن فرج بن عبد الملك بن هارون القرطبي)، بدأ الكتابة في أواخر عهد المرابطين، تقلد الكتابة لأبي اسحاق براز بن محمد المسوفي عامل اشبيلية لعبد المؤمن، وظل كاتبا لأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن طيلة أيام خلافته حتى توفي سنة 568هـ/1172م،كتب مجموعة مهمة من الرسائل[4]

أبو الحكم المرخي: وهو من أهل اشبيلية، ولي خطة الكتابة للموحدين، (لم نقف على ترجمته) .

أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيبي: وهو من أهل قرية برشانة، جنوب الأندلس، ولد سنة 550هـ، وصف أنه رئيس في صنعة الكتابة[5]وتوفي بحاضرة مراكش سنة 618هـ .

---

(1) انظر ، ابن عبد الملك ، م س ، ص.264.

(2) المراكشي ، م س ، ص. 266.

(3) رسائل موحدية (العزاوي) ، ص. 19.

(4) **رسائل موحدية** (العزاوي) ، الرسائل 13،14 ، 24 من المجموعة الجديدة .

(5) التجيبي المرسي، **زاد المسافر** ، ص. 20 .

إضافة الى كتاب آخرين، على غرار أبو حفص بن عبد المؤمن بن علي (ت564هـ) ، والذي كتب رسالة حول مقتل زعيم غمارة[1] وأبو موسى عيسى بن عمران بن دافال المراكشي (ت578هـ/1182م) [2]، وابن مصادق وابن مبشر وابن عبد الحميد[3]

لكن الأكيد أن أحدا من الكتاب لم يبلغ مبلغ "**عبد الله بن عياش**" صاحب القلم الأعلى في عهد المنصور والناصر والمستنصر، ونقف عند وصف المراكشي له في نص فريد يلخص مكانته في الكتابة "...**ولم يكتب لهم منذ قام أمرهم (أعني من كتبة الانشاء) من عرف طريقتهم، وصب في قالبهم، وجرى على مهيعهم، وأصاب ما في أنفسهم، كأبي عبد الله ابن عياش هذا، فإن القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب، ثم جرى الكتاب بعده على أسلوبه، وسلكوا مسلكه، لما رأوا من إستحسانهم لتلك الطريقة**"[4]

ولكن الكتاب على مرتبتهم المقربة من الخلفاء عانوا في نفس الوقت من سخطهم وعقابهم، حتى أن الخلفاء الموحدين إذا غضبوا من وال، إنسحب ذلك على جميع كتابه[5] وقد يقتلون لأتفه الأسباب، أو عندما يحس الكاتب أنه صار مقربا وبمعزل عن العقاب، ومن ذلك قتل إدريس المأمون لكاتبه **أبي علي بن يبقى**، وقتل الرشيد لكاتبه **ابن المؤمناني** وبطش المستنصر **بابن الأبار**[6]، والأمثلة يطول سردها، من كل هذا يتضح يتضح أن مكانة الكُتاب قد تأرجحت بين القرب المبالغ فيه أحيانا، ومن العقاب المبالغ

---

(1) المن ، ص.194 .

(2) ابن عبد الملك ، م س ، ص 256، ابن دحية ، م س،ص. 45 .

(3) البيان ق م ، ص 259، التجيبي ، م س ، ص. 31.

(4) المراكشي ، م س ، ص. 339.

(5) محمد بن شريفة ، **ابن عبد ربه الحفيد** ، ص. 16.

(6) للمزيد راجع كتاب ابن الأبار ، **إعتاب الكتاب** .

فيه كذلك، حتى أن بعض الكتاب كان يخشى على نفسه إن عمل بالبلاط الموحدي خوفا من سوء الخاتمة سواء بالقتل أو السجن[1]

❁ صاحب ديوان التوقيع:

ديوان التوقيع ملحق بديوان الكتابة، ثم أصبح قائما بذاته، وسمي في عهد الموحدين كذلك بديوان التتبع على العمال، ويقصد بالتوقيع هو ما يصدر من الخليفة أو الأمير لنفاذ الكتاب ليأخذ صفة الرسمية، وكان صاحب هذا الديوان يقوم بالتعليق على الطلبات أو الوقائع التي كانت ترفع إلى الخليفة بعد أن يتحرى الوزير في أمرها، وبعد إطلاع الخليفة عليها وإبداء رأيه فيها، يقوم بصياغة رأيه في أبلغ ما يستطيع بلاغة وجزلا[2]، وقد عرف عن الخلفاء الموحدين توقيعات في غاية الجودة والبراعة[3]، فعلى سبيل المثال كان أبو يوسف يعقوب المنصور حسن التوقيع، حتى عرف بذلك، منها أنه طلب من قاضيه رجلين لتعليم إبنه، فعرفه القاضي برجلين قال له فيهما:الأول بر في دينه والآخر بحر في علمه، فلما اختبرهما تبين للخليفة زيفهما، فكتب في رقعة القاضي: "**ظهر الفساد في البر والبحر**"[4] ونشير أن التوقيع كان يصدر أحيانا من ولي العهد كما حدث للمنصور وإبنه عندما استدعاه ملك إسبانيا للقتال، دعا ولده وولي عهد الناصر ، فوقع على الكتاب[5] .

❁ كتاب ديوان الجيش (العسكر):

---

[1] حول هؤلاء النماذج أنظر ، **السجن والسجناء في العصر الوسيط** ...

[2] حسام الدين السمرائي، مرجع سابق، ص273.

[3] إبن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية بحاضرة تونس ، 1316ه، ص.59.

[4] الزركشي، مصدر سابق، ص16

[5] إبن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص11.

وجد كذلك كتاب مختصون بالشؤون العسكرية ضمن ديوان العسكر الذي يرأسه أحد القادة العسكريين، والإشارات المتوفرة في المصادر قليلة، منها ما أفادنا به ابن عذارى **بقوله"وانفرد أبو عبد الله بن متبع بديوان العسكر، وما انضاف اليه من التنفيذات السلطانية وتقييد الجزيات في أنواع النفقات**[1]

ومن كتاب الجيش في العهد الموحدي نذكر أبو الحسين علي بن أبي حفص الهوزني الإشبيلي، وأبو عبد الرحمن الطوسي[2] في عهد الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .

وقد استمر الهوزني إلى عهد الخليفة المنصور الموحد[3]وأكمل بعده أبو الحسن بن مقن، وخلفه الكباشي[4]

وفي عهد أبي عبد الله الناصر الموحد، فقد تولاه أبو الحجاج يوسف المراني، ثم من بعده أبو جعفر احمد بن منيع[5]

۞ الوزراء :

لغة: الوزير مشتق من الوزر أو العبء، أو من الأزر وهي المعاونة، كون الوزير يتحمل أعباء الحكم وأثقاله، ويلخص الماوردي إشتقاق اللفظ على ثلاثة أوجه: أحدها

---

(1) ابن عذارى ، م س ،ص. 333 .

(2) المن ، ص. 261 .

(3) المعجب ، ص. 246

(4) هكذا أورده المراكشي في المعجب .

(5) المعجب ، ص. 312 ، عنان ، المرجع السابق ، ج2 ، ص. 326.

الثقل، وثانيها الوزر وهو الملجأ والثالث وهو الأزر أي الظهر، كون الملك يقوى بوزيره كما يقوى البدن بالظهر[1] .

واصطلاحا: الوزير هو موظف في أعلى هرم الدولة، وفي قمة الجهاز الإداري، وهو حلقة وصل بين الخليفة ومختلف نظم الدولة المكونة من دواوين الكتابة والمالية والعسكرية[2]

بالنسبة لفترة الدعوة الموحدية، لم تذكر المصادر الموحدية إتخاذ المهدي بن تومرت وزيرا له، بل كان له تنظيم ما يعرف بأهل الجماعة المكلفون بالمشورة في عظائم الأمور، ولم يوصفوا بالوزراء، إلا من طرف مؤرخ واحد وهو ابن القطان[3]وهو على مايبدو معنى ليس مناسبا في هذا الموضع، ومنصب الوزير إتضح صريحا في عهد عبد المؤمن بن علي، حيث ذكر البيذق أن وزيره دون أن يذكر إسمه كان يشرف على جمع الغنائم عند فتح مراكش[4]

ولكن أغلب الظن أن أول وزير في عهد الموحدين كان إبن عطية، وهو ما يؤكده ابن خلدون وإن كان متأخرا " **ولما جاءت دولة الموحدين لم تستكمل فيها الحضارة، الداعية الى إنتحال الألقاب وتمييز الخطط فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير، فكانوا يخصون بهذا الإسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره، كابن عطية وعبد السلام الكومي، وكان له مع ذلك النظر في الحساب والأشغال المالية، ثم صار**

(1) الماوردي ، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، ص 34، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص. 455..

(2) عز الدين عمر موسى، **الموحدون تنظيماتهم ونظمهم** ، ص. 153.

(3) ابن القطان ، **النظم**، ص 74، عز الدين ، **الموحدون**...، ص. 154 .

(4) البيذق، م س ، ص. 106.

بعد ذلك إسم الوزير لأهل نسب الموحدين كابن جامع وغيره"[1]وكان ذلك أواخر 542هـ وأوائل 543هـ/1148م، حيث كان يجمع بين الكتابة والوزارة حتما[2] حتى سيطر الموحدون على بجاية، فاستكتب عبد المؤمن من أهلها، وانفرد ابن عطية بالوزارة[3] .

وغلب في اختيار الوزراء إعتبارات القرابة والنسب لضمان الولاء، وإكتساب خبرة تؤهله لمنصب الخليفة إن اقتضى الأمر، فتجد عددا من الوزراء من أبناء عبد المؤمن، المسمون عادة بالسادة[4]منهم أبو حفص عمر بن عبد المؤمن[5]

ولكن الأكيد أن الخلفاء الموحدين قد اتخذوا وزيرا واحدا غالبا في مرحلة القوة والتمكن، وانعكس الأمر في فترة الضعف وبداية القلاقل، حيث نجد مثلا للخليفة يحي المعتصم وكذا السعيد وزيرين اثنين[6]

وكان يراعى في اختيار الوزراء كذلك موافقة أشياخ الموحدين، بحكم نقل أوامر الخليفة إليهم وما عزل الوزير عبد السلام الكومي وتولية أبو حفص بن عبد المؤمن إلا بمشورة الأشياخ وإرضاء لهم[7]لكن رأيهم لم يعد ذا بال مع تمكن الدولة واستقرارها،

---

(1) ابن خلدون ، العبر ، ج1، ص. 233_234.

(2) المراكشي ، م س ، ص. 200.

(3) نفسه، ص. 201.

(4) أنظر: مجموع رسائل موحدية حيث ورد اللفظ في كثير من الرسائل، المقري ، م س ، ج1، ص. 399 .

(5) النظم، ص. 173، المعجب ، ص 199، البيذق ، م س ، ص. 122.

(6) المعجب، ص. 233.

(7) المن ، صص. 177، 178.

فقد بقي الوزير أبو سعيد عثمان بن جامع وزيرا رغم عدم موافقة الأشياخ وكرههم له، في خلافة الناصر ثم المستنصر[1]

إختصاصاتهم :

تعددت إختصاصات الوزراء إبان العهد الموحدي، فبالإضافة الى المهام المعهودة من تنفيذ توجيهات الخليفة والسهر على إيصالها إلى جميع أجهزة الدولة، والإشراف على الجهاز الاداري، وإبداء حسن المشورة والرأي، نجد مهاما أخرى إدارية وعسكرية وإقتصادية وعمرانية مثلا :

- إخماد حركات التمرد والثورة على السلطة المركزية[2]
- عقد اتفاقيات صلح مع العدو.

مثال: كما فعل بن عطية في استنقاذ مدينة المرية[3]

- إعداد الإحتفالات الرسمية والمراسيم، وما يتعلق بالدخول على الخليفة من تشريفات[4]
- إعلام الخليفة بالمخاطبات الواصلة والإجابة عليها بين يديه، كما فعل الوزير أبو العلاء إدريس[5]
- ترتيب دخول الناس عند مرض الخليفة أو وصوله من غزوة أو سفر[6]

---

(1) العبر ، ج6، ص. 544 ، عز الدين عمر موسى ، الموحدون ..، ص. 156 .

(2) المعجب ، ص. 315.

(3) ابن ابي زرع ، م س ، ص. 155 .

(4) **المن**، صص. 457،524،430،431،420،50، روض القرطاس ، ص. 155.

(5) **البيان**، ج3 ، ص. 88، **المن**، ص.435.

(6) **المن**، ص. 105.

- الإشراف على بيعة الخليفة الجديد مشاركة مع مزوار أشياخ الموحدين[1]
- تمثيل الخليفة في الأسفار إلى الجهات البعيدة عن العاصمة، وتفقد الأحوال بها كالأندلس[2]
- إدارة جهة من جهات الدولة عند الإقتضاء، كما عهد الناصر ولاية افريقية إلى وزيره أبو محمد عبد الواحد أبي حفص[3]
- تنظيم الجيوش وقيادة العسكر[4]وإدارة المعارك حتى وإن كان الخليفة نفسه مشاركا فيها[5]
- النظر في الحسابات المالية والأشغال المالية[6]
- الإسهام في وضع الخطط للرخاء الإقتصادي، ومنهم ما فعله الوزير أبو عبد الله محمد بن علي في عهد الخليفة الناصر**"حيث رأى الناس في أيام وزارته من الخصب وسعة الأرزاق وكثرة العطاء"**[7]
- يحضر مجالس العلم والعلماء والأطباء، ويتخير منهم أحسنهم سيرة وعلما[8]
- حضور الصلوات المفروضة مع الخليفة ويتولى التأمين على دعائه[9]

---

(1) **المن**، ص. 250 .

(2) **نفسه** ،ص. 435 .

(3) الزركشي، م س ، ص. 13، عبد الحميد حسين، **تاريخ حضارة المغرب**، ص. 176.

(4) ابن خلدون، م س ، ص. 455.

(5) المن ، ص. 175.

(6) القلقشندي ، م س ، ج5 ، ص. 177 .

(7) المعجب، ص. 310 .

(8) نفسه، ص. 256.

(9) نفسه، ص. 354.

- المساهمة أيام الجدب في شراء الأقوات والزروع[1]
- الإشراف على أعمال البناء والتعمير، كما فعل مثلا أبو العلاء الوزير في عهد الخليفة أبو يعقوب المنصور، حين عهد إليه ببناء قصور البحيرة خارج باب جهور، وإعمار إشبيلية[2]
- التكفل بأشغال العدوتين في آن، كما فعل المنصور الموحد مع وزيره أبو زيد بن يوجان[3] إلى غيرها من الأعمال، مما يبين دون شك مكانة الوزير وعلو كعبه ابان العهد الموحدي .

الحجاب :

الحاجب: هو الموظف الذي يحجب السلطان عن العامة[4] وهو الواسطة بين الناس والخليفة فهو يدرس حوائجهم ويوصي بقضائها، ويميز بين الحاجة الى المثول بين يدي الخليفة من عدمها، فهو من خيرة الموثوق بهم[5]**"فيجب على الخليفة أو الملك أن ينظر إلى خواصه ومقدمي دولته فيختار أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم ورعا وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأزكاهم نفسا فيجعلهم حجابا له ليكشفوا إليه أحوال الرعية وأمور الناس ومظالم العباد..."**[6]

---

(1) المن ، ص. 544.

(2) نفسه ، ص. 502 .

(3) البيان ، ج3 ، ص. 300 .

(4) ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص. 223.

(5) عبد المعز فضل عبد الرازق، **النظم الإسلامية – السياسية والإقتصادية –**، الجريسي للطباعة، مصر، ط1، 2011، ص. 111.

(6) الهروي (علي بن ابي بكر) ، **كتاب التذكرة الهروية** ،مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، د ت ، ص. 9.

ظهرت وظيفة الحجابة كخطة كاملة الصلاحيات ببلاد المغرب الإسلامي مع بداية الدولة الفاطمية[1]ولم يرد ذكر الحجاب في نظم المرابطين، لأن الأمراء كانوا لا يحجبون رعيتهم عنهم، كحال الأمير تاشفين بن علي[2] و نجد ابن خلدون يقرر في مقدمته أن " **إسم الحاجب لم يكن معروفا كذلك في دولة الموحدين يومئذ**"[3]

بداية نقر بنقص المادة الخبرية التي تفصل لنا تطور منصب الحجابة، حتى أن كثيرا من الدارسين أغفلوا هذا المنصب في دراساتهم [4]ويبدو أن ابن خلدون قد جانب الصواب حين نفى هذا المنصب إبان عهد الموحدين، أو أنه قصد أن هذا المنصب لم يكن معروفا بالإسم بالدولة الموحدية[5]والمعروف أن المهدي قد اتخذ حاجبا له سمي أبو محمد واسنار، رغم أن ملامح الدولة لم تتضح في أيامه ،**"فكان يقوم بخدمته ويتولى وضوءه وسواكه، والإذن عليه للناس وحجابته، وكان رجلا أسودا من أهل مدينة أغمات"**[6]، ولم تورد المصادر الموحدية أن عبد المؤمن اتخذ حجابا[7]والراجح في

---

[1] أنظر ، الصنهاجي(أبو عبد الله محمد)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم** ، تحقيق وتعليق ، جلول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص.29،32،48،55.

[2]الاحاطة ، ج1 ، ص. 445.

[3] ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص. 335.

[4]على سبيل المثال لا الحصر، انظر دراسة عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم .

[5]انظر ، هوبكنز ، **النظم الاسلامية** ، ص. 56.

[6]المراكشي ، م س ، ص. 338.

[7]ايرى هوبكنز أن حاجب المهدي واصل خدمة عبد المؤمن ، لكننا لم نعثر في المصادر ما يؤكد ذلك أو ينفيه .

فترته أن الحجابة كانت ضمن اختصاصات الكتاب والوزراء، لتمكن البداوة في بداية عمر الدولة[1]

وورد في المصادر المعاصرة للموحدين ذكر الحجاب للخلفاء يوسف والمنصور والمستنصر وسعيد والمرتضى، مما يبين أن تعيينهم صار عادة من عوائد الملك، فقد ولي الحجابة ليوسف أبو المسك كافور،أو كافور بغرة[2]وتولى عنبر وريحان حجابة المنصور[3]وللناصر ريحان ومبشر، وذكر ابن عذارى حاجبا آخر له وهو فضيل[4]وذكر المراكشي حجابا آخرين له من الموالي كريحان الخصي ويدعى بينك، وبعد وفاته خلفه مبشر الخصي، ويدعى مبشر ولدي، وبقي حاجبه الى أن توفي الخليفة[5]

ويمكن أن يكون هؤلاء الموالي من السود، أو من الصقالبة، كريحان الحاجب، ومفهوم الحجابة عند مؤرخي الموحدين فيها نظر، فالمراكشي الذي خدم في البلاط الموحدي ويدرك تفاصيله، قال في مؤلفه الذي كتبه بالمشرق، أن منصب الحاجب هو رئيس الخاصة في البلاط الموحدي[6]، بينما إبن أبي زرع والذي تأخر عن الفترة الموحدية (القرن الثامن) يرى في الحجابة الوزارة الأولى، حين نسب الحجابة لعمر بن عبد المؤمن لأخيه يوسف وكذا الوزير عثمان بن جامع[7]، وهو معذور في تصوره،

---

(1) حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، القاهرة، 1982، ج4، ص. 336.

(2) المراكشي، نفسه، ص. 244.

(3) نفسه ، ص. 263 .

(4) ابن عذارى ، م س ، ج3 ، ص. 141.

(5) المعجب ، ص. 311.

(6) هوبكنز ، نفسه ، ص. 59.

(7) ابن ابي زرع ، م س، 133.

بحكم أن الحجابة في الأندلس قد وصلت الى هذه الدرجة من النفوذ، ولكننا نستبعد أن تكون بنفس الصورة في المغرب، وعموما لا يصح أن نُقر بعدم وجود هذا المنصب، للتفاصيل السابقةوإن كان حتما لا يُماثل نظيره بالمشرق.

۞ صاحب ديوان التضييف :

نشير أن بلاد الغرب الإسلامي انفردت بديوان التضييف عن المشرق، الذي استحدث في القرن 7هـ، وظيفته إستقبال السفراء والإهتمام بهم، بحكم كثرة الوفود خاصة الأوربية، والأرجح أن أبو محمد عبد الواحد أبي حفص والي إفريقية هو الذي "**اخترع زمام التضييف للوفود**"[1]وقد تولاه أيام الخليفة أبو عبد الله الناصر سنة 607هـ/1210م أبا الجيش محارب، "**لإستقبال ملوك الروم وسفرائهم والإشتغال بإنزالهم وضيافتهم والترجمة لهم بدلا من ابن عوبيل الذي أعفي من المنصب**"[2]

۞ صاحب المدينة والشرطة :

ذكر ابن سعيد المغربي خطة الشرطة قائلا: ويعرف صاحبها في السن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل[3]،وورد في أمثال الأندلسيين صاحب الشرطة باسم صاحب المدينة[4]،وهو في إفريقية معروف باسم الحاكم[5]ويبدو أن اختياره كان يخضع يخضع لشروط منذ العهد المرابطي، فقد قال ابن عبدون : "**يجب أن لا يكون صاحب المدينة إلا رجلا عفيفا فقيها شيخا لأنه في موضع الرشوة وأخذ أموال الناس**"[6]،والأهم

---

(1) ابن سعيد ، م س ، ص. 245.
(2) عبد الرحمن حجي، **التاريخ الأندلسي**، ص 499.
(3) الزركشي، مصدر سابق، ص. 18.
(4) ابن عبدون ، م س ، ص. 16.
(5) ابن خلدون ، **العبر** ، ج1، ص. 387.

الناس"[1]،والأهم في الإختيار أن يكون من أهل البلد، فالأندلسيون يرفضون بربريا في هذا المنصب[2]،وأهل المغرب يدركون ذلك، ويعاملونهم بالمثل أحيانا، وبالتالي فمراعاة الجنس في الإختيار يبين خطورة المنصب وحساسيته، ونقف لأول مرة على التمييز في بعض المهن بين أهل العدوتين، وهو ما أكده ابن خلدون حين اقر أن الشرطة كان لها حظ عظيم عند الموحدين، ولم يجعلوها عامة، ولا يليها إلا رجالات الموحدين[3]

والحق أن الإشارات إلى وظيفة الشرطة قليلة خلال العصر الموحدي، وأول إشارة إلى صاحب الشرطة كانت في عهد الخليفة المنصور، وجاء إسمه مقرونا مع إسم الوزير حين اختصم إليه رجلان فقضى بينهما، وأمر الوزير أبا يحيى صاحب الشرطة أن يضربهما ضربً ا خفيفًا[4] وهو كما يبدو إبن عمر ينتي[5]

الرقاصون:

يطلق على صاحب البريد في العرف المغربي والأندلسي إسم الرقاص، وهو لفظ متداول حتى القرن السادس للهجرة[6]،والبريد في الاصطلاح: يقصد به جعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها و قد تعب

---

(1) ابن عبدون، م.س.، ص. 17.

(2)ذكر صاحب نفح الطيب ،"وأهل العدوة يعني المغرب بالطبع يكرهون أهل الأندلس" ، أنظر ، المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ج 6 ، ص. 12.

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص. 467 .

(4) المراكشي ، م س ، ص. 108.

(5) هوبكنز ، **النظم الاسلامية** ، ص. 231 .

(6)ابن صاحب الصلاة ، **المن بالإمامة** ، ص135،ابن عذارى ، **البيان المغرب**، ج3،ص.42.

فرسه ركب غيره فرسا مستريحا وهو يفعل ذلك في المكان الآخر حتى يصل إلى هدفه[1] وتقدر المسافة في المغرب بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال [2].

إجمالا، تبقى المعلومات عن موضوع البريد الموحدي هزيلة ولا نستطيع من خلالها رسم صورة واضحة عن هذا القطاع الحساس، الذي لم يكن له ديوان خاص أيام المرابطين، لكن من القرائن المتوفرة يبدوا بوضوح أن البريد الموحدي كان يسير بطريقة عشوائية غير منظمة، ولا أدل على ذلك من عدم جداوته في القضاء على كثير من بؤر التوتر التي عرفها تاريخ الدولة الموحدية في المغرب والأندلس[3]، وإلا كيف نفسر الإهتمام المفاجئ للخليفة الموحدي عبد المؤمن بالبريد، من خلال رسالته الشهيرة إلى ولاته، وهل فعلا وصل البريد الموحدي الى درجة متردية أوجبت تدخل الخليفة نفسه لوضع حد لمشاكله؟ .

مما لا شك فيه أن سعة الرقعة الجغرافية للدولة الموحدية وتعدد ولاياتها وكثرة حركة التنقلات، خاصة في المناصب السياسية، وتوفر عدد هائل من الكتاب [4]،يبين دون أدنى شك أن عمال البريد كانوا يشكلون طبقة لا يستهان بها، مما ينفي أن هولاء ليست لهم القيمة المعنوية المطلوبة، نظرا لحساسية المنصب الذي يتولونه وخطورته في آن، مما يطرح تساؤلات أخرى .

---

[1] العمري، مسالك الأبصار، ص27،عبد الحميد حسين، **تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، دار شموع الثقافة ، ليبيا ،ط1 ، 2002،ص.290 .

[2] حسن علي حسن ،**الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، ص. 149.

[3] محمد أرناؤوط، **رسالة العدل المومنية** ، مجلة المؤرخ ، العدد الخامس المغرب، 2009، ص. 15.

[4] أحمد عزاوي ، **رسائل موحدية – مجموعة جديدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة ، المغرب 1995 ، ج1 ، ص. 05.

يوضح إبن صاحب الصلاة أنواع الرقاصين، بين الرقاص العادي، ورقاص الشرط وهو حامل البريد المستعجل [1]،وقد تختلف الوسيلة في نقل الرسائل، بين الركض والخيل، والمراكب، كما فعل عبد المؤمن بن علي في رسالته إلى إبنه أبي يعقوب يوسف بالأندلس، يخبره بالإنتصارات العسكرية المحققة، وكذا فتح مدينة قفصة: "**وركب الرقاص بالجواب المذكور مركبا من مدينة بجاية سابحا في البحر في طريق غير يبس، ويسر الله له... ووصل اشبيلية وغرناطة في أقرب تاريخ دون تعب**"[2].

ولكن هؤلاء الرقاصين قد تعدوا وظلموا، فنجد في مقطع من رسالة أرسلها الخليفة الى ولاته بالأندلس " **هؤلاء الرقاصون الذين يردون بالكتب ويصدرون، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فانه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم، ويلزمونهم في زادهم..و علفهم ...ويحلون بأفنية الناس حلولا شنيعا ويكلفونهم مئوناتهم تكليف المجرم ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى أنهم لا يرضون في ضيافتهم إلا بأسمن الجزر**[3] .

هذه التصرفات المشينة تدل على أن أصحاب هذه المهنة قد تعدوا أصولها وشروطها، مما دفع بالخليفة إلى اتخاذ قرارات مستعجلة وردت في نفس الرسالة السابقة، تصب كلها من أجل إصلاح البريد الموحدي أهمها :

- التخير والإنتقاء في إختيار أصحاب هذه المهنة، من خلال تكليف أهل الثقة والمقدرة.

---

(1) ابن صاحب الصلاة ، م س ، ص. 135 .

(2) نفسه ، ص. 238 .

(3) أبن القطان ، م س ، ص88.

- تزويد الرقاص بكل ما يحتاج إليه من المئونة لذهابه وإيابه، حتى لا يكلف الناس ذلك، ولا يتعدى ويظلم.
- تحديد أيام معلومة لتنتهي إليها مواقف الرسائل، موزعة بانتظام على المسافات للوصول المنظم.
- تحذير الرقاصين من إستغلال الناس – ولو مثقال ذرة- أثناء تأدية مهامهم.

كما ورد لفظ السكة الذي لا يعني النقود، بل يعني طريق البريد ، أي أن السكاكين مهامهم لا تختلف عند الموحدين عن غيرهم، من ضمان نقل المراسلات والتجسس وغيرها من الوظائف الموكلة لهم[1]

نشير فقط إلى استعمال وسيلة أخرى كانت معروفة في العصور الوسطى عموما وهي الحمام الزاجل، ربما استعملها الموحدون ،فقد أشار ابن صاحب الصلاة أن خبر الإنتصار في غرناطة وصل إلى الرباط في نفس اليوم[2]والأرجح أن الحمام كان وسيلة البريد المقصود[3] وإن لم تشر المصادر الموحدية المتوفرة صراحة، إنما يمكن ان يُستنتج من هذا ضمنا .

● الرسول:

تختلف موصفات الرسول عن صاحب البريد[4]، ويختلف الرسول عن كونه رجلا منفردا أو مصحوبا بخادم، يتنقل للقيام بمهام محدودة ومستعجلة لا تحتمل إنتظار

(1) أدم ميتز ، م س ، ص 254.

(2) ابن صاحب الصلاة ، م س ، ص 135.

(3) الحسين أسكان ، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، ص. 137.

(4) يقول الهروي في هذا: وليحذر أن يرسل رسولا إلا بعد امتحانه واختبار أسراره وإعلانه وليعتبر دينه وليختبر عقله، فإن وجد له ميلا إلى الدنيا وطمعا في جمع المال فلا يأمنه على سره ولا يعتمد عليه في أمره، وليرسل معه رقيبا وليجعل

البريد، أو للقيام بمهام سرية تتطلب الأمانة الكبيرة[1]، وقد يكلف صاحب البريد بمساعدة الرسول أو بنقله على دواب البريد، وتقدم هذه الخدمة عندما يكون الرسول غير مستعجل، أو سفارته غير سرية أو خطيرة، ويحمل الرسول معه أوامر مخزنية توصي بالعناية به، وتسهيل مروره والعناية به، وغالبا ما نجده متنكرا عند المهام السرية، ومن الرسل من يشتط في استعمال نفوذه، والتوصيات التي في صالحه، فيثقلون على الناس بشروطهم، حتى تضرر الناس في كثير الأحوال واشتكوا ذلك إلى الخلفاء[2]

أما استقبال رسل الملوك من طرف الخلفاء الموحدين، فكان في بداياته عفويا وغير منظم، إلى أواخر عهد المنصور الذي نظم خطة الاستقبال لرسل الروم[3]وقبل هذا، كانت السفارات التي حظيت بمقابلة أبو يعقوب يوسف تلك التي وردت برئاسة الزعيم القشتالي فيرناندو رود ريكيزدو كاسترو " F R Castro"، وهو صهر فيرناندو الثاني ملك ليون سنة 563هـ، وأخرى استقبل فيها كذلك بن همشك، وهلال بن مردنيش، مما يبين دون شك تهافت الملوك المسيحيين على البلاط الموحدي، وتسابقهم إلى بعث سفرائهم طلبا للصلح والمهادنة، مما عزز دون شك دور الرسل[4]،وحتى قادة المشرق لما أحسوا بالخطر المحدق استصرخوا بخلافة الموحدين

معه وكيلا، وليحذر أن يرسل رسولا إلى صديقه أو عدوه مرارا متوالية، فربما حصل بين الرسول والمرسل إليه مؤانسة وصداقة فبصير بطانة لعدوه، فيضره من حيث لا يشعر...، علي بن أبي بكر الهروي(ت611هـ)، **كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية**، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د ت، ص. 14.

(1) محمد حجي، **النقل والتنقل خلال العصر الوسيط** ، أطروحة دكتوراه دولة مخطوطة، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط،السنة الجامعية 1996_1997، ص. 329.

(2)رسائل موحدية ، ص.223 .

(3)ابن عذارى، **البيان المُغرب** ، ج3 ، ص 234 ، عز الدين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي**، ص. 166.

(4) محمد رابطة الدين ، مرجع سابق، ص. 90.

أرسلوا وفادة برئاسة صالح بن رزيك، وأخرى من السلطان صلاح الدين الأيوبي برئاسة الأمير ابن منقذ .

❁ السكاكون:

لا يخفى على دارس العدد الكبير الذي أقامه الموحدون من دور السكة، على كامل تراب الدولة بالعدوتين على حد سواء، وللأسف لم تعكس المؤلفات هذا الزخم[1]، والمؤلف المهم الذي يمكن الإستئناس به هو كتاب أبو الحسن علي بن يوسف من خلال كتابه "**الدوحة المشتبكة في ضوابك دار السكة"**، وإن كان في العصر المريني،"غير أن التطور البطيئ لمؤسسات السك تجعلنا نُجزم أن الإطار التنظيمي لها بقي ساري المفعول بعد المرينيين، وقد كان نفسه قبلهم"[2] ويأتي في أعلى هرم عمال السكة :

ناظر السكة: الذي يشترط فيه معرفة أحوال الصناعة، وأوصاف المعادن، وما يصلحها وما يفسدها[3]بالإضافة الى أمانته ونزاهته، وكأني به محتسب دار السكة، وتوكل له فحص القطع النقدية التي يدفعها له السكاك، فإن وجد بها كسرا أو خللا ردها إليه، أو لم تكن موافقة للوزن، كما يتفقد الخليط الذي يضاف الى الذهب أو الفضة، أثناء صهرها الذي يسمى الفرض، وفوق كل هذا يراقب الفريق الفني الموكل بصناعة السكة،

---

(1) منها المؤلف المشهور الذي كتب خلال العهد السعدي الموسوم بـــ: **الأصداف المنفضة عن أحكام صنعة الدينار والفضة** ، للجزنائي (أبو العباس أحمد حمدون)،تحقيق: خالد بن رمضان وعبد الحكيم القفصي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988م.

(2) عبد الهادي التازي ، **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية عن التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، مطبوعات المكتبة الوطنية المغربية ، ط2 ، 2003 ، ص. 32.

(3) الدوحة المشتبكة، ص. 70.

في جميع المراحل المعهودة، من سكاك وحداد، ولا يحول السكاك أي قطعة ذهب أو فضة إلا بحضور الناظر[1]

الشاهدان: وهما ضروريان جدا في دار السكة، ويشترط فيهما العدل، للمحافظة على إمام الذهب ويكون في يد كل منهما مفتاح الصندوق أو الجولق، لأن مهامهما معاينة ما يقبض وما يطبع وما يندفع بدار السكة، وضبط ذلك كله في زماميهما في كل يوم وتخليصه في كل شهر[2]إضافة الى معاينة السكاكين وقت طبع الدنانير والدراهم، وإختبار وزنها ومقابلتها بوزن الذهب والفضة[3]

المشرفون الفنيون: ويتكون من فريق متكامل مهمته الأعمال الفنية، وأهمهم وأخطرهم السكاكون لأن أعمالهم أصعب الأعمال، وتتمثل في قبض مال صاحب المال، وصناعة ما أراده، من القطع النقدية، وتحديد عيار الذهب والفضة، ويتولى إعداد المسمى الفرض، وتقدير كميته، وبعد إخراج السبائك يجب عليه تقطيعها[4]ويدفعها للناظر لاختبار وزانها.

كما يجب عليه الختم على السكة، ويشترط فيها أن تكون بارزة في كتاباتها، متوسطة القطعة النقدية، غير محرفة ولا مائلة .

الفتاح: ويقال له كذلك النقاش، وتسند اليه مهمة النقش يصنع الأختام التي تضرب بها السكة، وذلك بحفر كتابات عميقة مقلوبة على القالب، حتى تبدو بارزة بوضوح على السكة أثناء الختم، لذلك لابد أن يكون خطه جميلا واضحا[5]

---

(1) نفسه، ص. 75.

(2) الدوحة المشتبكة، ص. 71.

(3) نفسه، ص. 72.

(4) بأن يجعل الدنانير مستديرة والدراهم مربعة .

(5) **الدوحة المشتبكة**، ص. 75.

نشير أن الخلفاء الموحدين كانوا يتحققون من احتيال اليهود لبراعتهم في التقليد، وقد حدث هذا في عدة مناسبات، مما دفع بالناصر الموحدي الى توحيد الضرب بدار سكة واحدة في فاس، لكن سرعان ما عاد الأمر إلى ما كان عليه في كبار بلاد الدولة، وقد عثر على دراهم ودنانير تحمل أمكنة ضرب متعددة، كسجلماسة، فاس، سبتة، مراكش، قسنطينة، تلمسان، الجزائر، اشبيلية، قرطبة، ميورقة[1]

❁ المشرفون:

المشرف من خطط الأعمال السلطانية ورمز من رموز سيادة المخزن[2]يسمى متوليها في المشرق بالوالي، ويـُعرف مكانها في المدينة بدار الإشراف وبيت الإشراف[3] وأساس هذه الخطة تسيير وإدارة شؤون المدن ومجال عمالتها من طرف تنظيم مخزني مهيكل مهمته تامين وحماية السكان في أنفسهم وممتلكاتهم من خلال الأجهزة الثلاثة : الأمن والجبايات والشؤون العامة[4]

نلاحظ أن وظيفة المشرف لم تكن موجودة في العاصمة مراكش إلا في أواخر الحكم الموحدي وبالضبط من خلافة الرشيد، أما في باقي الولايات فقد كان فيها مشرفون منذ عهد عبد المؤمن بن علي، حيث أبقى في بعض الحالات على المشرفين الذين وجدهم على الأقاليم حين تأكد من ولائهم[5] كما فعل مع عبد الله بن خيار الجياني الذي أبقاه مشرفا على مدينة فاس[6]ووجد مشرفون في معظم المدن الهامة

---

(1) **السكة الاسلامية**، منشورات وزارة الثقافة، المتحف الوطني للآثار، نوفمبر ، 1984، ص ي.

(2) ابن عبد الملك ، م س ، ج1، ص 301.

(3) ابن الزيات ، م س ، صص 166، 469.

(4) محمد رابطة الدين ، مرجع سابق ، ص. 107.

(5) البيان ، ج3 ، ص. 283.

(6) البيذق ، م س ، ص.102.

كسجلماسة وتلمسان، وفاس ومكناسة الزيتون وبجاية وإفريقية واشبيلية ومرسية وغرناطة وازمور وميورقة[1]وكان للخليفة سلطة التعيين، ويراعى في الإختيار الخبرة وحسن التصرف والولاء التام للسلطة الموحدية، وربما يكون المشرف قد تولى خططا من قبل، كالقاضي بن حجاج القاضي الوالي زمن المرتضى[2]أو يكون من الأشياخ كأبي علي بن أبي احمد الوالي زمن الرشيد[3]أو من المقربين عائليا، كالسيد أبي العلي إدريس صهر الخليفة الرشيد[4]وفي حالات نادرة يـُقدم أهل المدينة مشرفا يرونه أهلا للمهمة، كما حدث مع أهل مراكش الذين قدموا جعفر بن أبي السعيد[5]وهي من الحالات القليلة جدا، كما تولى الخطة بشرق الأندلس أبو محمد بن مالك الذي استقل بعلمه أحسن استقلال، كما تولى الإشراف عليه أبو محمد بن عامر الذي لُقّب بالوزير[6]

ولدار الإشراف مسؤول يدعى"**شيخ كتاب بيت الإشراف**"، حيث تولى هذا المنصب أبو بكر المرادي أيام الخليفة أبو يعقوب يوسف ، كما تولاه أبو عمران موسى[7]

وتنقسم دار الاشراف الى أنواع : دار الإشراف على عمال الديوان، وعلى السكة، وعلى الأمتعة وهو المعروف بالقاعة، ودار الاشراف على البناء والتجارة وما يرجع إليهما[8]

---

[1] البيان ، ج3 ، صص. 112،110، 131، 173، 448، عز الدين عمر موسى ، مرجع سابق ، ص. 172.

[2] البيان ، ق م ، ص. 413.

[3] نفسه، ص. 335.

[4] نفسه، ص. 305.

[5] نفسه، ص. 300.

[6] ابن القطان ، م س ، ص. 99.

[7] نفسه ، ج3 ، ص 140 .

[8] عز الدين عمر موسى ، **النشاط الاقتصادي** ، ص. 177,

تتلخص مهام المشرف حسب ما ورد من إشارات في المصادر في مهام سياسية وجبائية إحصائية وعامة :

مهام سياسية: كالعمل على ضمان ولاء سكان الإقليم الذي يُشرف عليه، فمثلا مشرف مكناس كان يُؤتمن على مفاتيح الإقامة المخزنية في أوقات غياب الخليفة عن العاصمة[1]

مهام أمنية: من خلال توفير السكينة والطمأنينة في أرجاء المدينة، وإخماد أي حركة أو تمرد تهدف الى معارضة الحكم الموحدي[2]

مهام إحصائية وجبائية: ولحسن الحظ لدينا وثيقة إحصائية قام بها مشرف مدينة فاس[3] سنة 585هـ/1140م، لكل هياكل المدينة من بيوت ومحلات وحمامات ومصانع، وهذا الإحصاء هدفه جبائي بالدرجة الاولى لتسهل على المشرف ضمان حقوق المجابي[4] إضافة إلى مهام عامة كتحسين المرافق العامة والنظافة وغيرها .

أعوان المشرف :

إستعان المشرف الموحدي في وظيفته بمجموعة من الأعوان، ولدينا إشارة نادرة لابن عذارى بصدد حديثه عن معاقبة الخليفة أبو يعقوب يوسف سنة 579هـ/1183م لمشرف فاس، وكان آنذاك عبد الرحمن بن يحي ومعاونيه قائلا" **ثم قيض على سائر**

---

[1] البيذق ، م س ، ص79.

[2] **رسائل موحدية** ، ج1 ، ص. 431.

[3] ابن ابي زرع ، م س ، ص. 47_48.

[4] محمد رابطة الدين ، مرجع سابق ، ص. 110.

العمال وكان عددهم ثمانية عشر عاملا، أولهم مشرف فاس المذكور، وخازنه على المال الذهبي، وخازنه على الطعام الطرسوقي"[1]

من خلال هذه العبارة يبدو من أعوان المشرف عونان مهمان هما:

- الخازن على المال الذهبي والخازن على الطعام.

إضافة إلى الكتاب والذين يُشترط فيهم علمهم بالزروع والمساحات، لكثرة ما يجري ذلك في أعمالهم، وأصل ما تمسح به الأرضون[2]

❁ صاحب الأشغال :

صاحب الأشغال مصطلح موحدي صرف، لم يُستعمل في نظم الدول التي سبقت الموحدين في المشرق أو المغرب أو الأندلس[3] مهمته النظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها[4] وأطلق هذا المصطلح أيام الموحدين على متولي الأعمال المالية في الحضرة ولا يتولاها إلا أبناء أشياخ الموحدين[5]

وصاحب الأشغال في الأندلس يتمتع بنفس الإختصاصات والسلطات، ولا يختلف إلا بقدر ارتباطه إداريا بصاحب الأشغال المركزي بمراكش، ووضح المقري مكانته **"وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير، وأكثر أتباعا**

---

(1) ابن عذارى ، م س، ص ج3، ص. 131.

(2) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ج2، ص. 90، عبد الحميد حسين، **تاريخ حضارة المغرب والأندلس**، ص. 313.

(3) عز الدين عمر موسى ،م س ، ص. 168.

(4) ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص. 266.

(5) أنظر ، البيان ، ج3 ، صص. 202، 227، 237، 358، الزركشي ، م س ، ص. 19.

وأصحابا وأجدى منفعة، فاليه تميل الأعناق، ونحوه تمد الأكتف، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار، ومع هذا فإن تأثلت حالته واغتر لكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر..."[1]

وذكرت المصادر بعض من تولوا هذا المنصب على غرار الفقيه أبو عبد الله بن الصقر قاضي إشبيلية، الذي نقله الخليفة أبو يعقوب يوسف المنتصر إلى الحضرة العلية ليوليه الخزائن وبيت المال[2]وقلد أبو يوسف يعقوب عام 593هـ/1196م أبو زيد بن يوجان أشغال البرين (يقصد المغرب والأندلس) من الأعمال العلية والأشغال السلطانية وما يتعلق بها من أشغال الموحدين "فاستقل بذلك إستقلالا ظهر به صلاح الأحوال، وترتيب الأشغال وتوفير المجابي واجتماع الأموال[3] وعين الخليفة أبو عبد الله الناصر في الإشراف على الوجوه السلطانية والأشغال العملية أبا محمد عبد العزيز بن عمر بن أبي زيد على إشراف البرين، وضم الأعمال وتفقد الأشغال[4]

لهذا كان صاحب الأشغال يتمتع يصلاحيات واسعة في محاسبة العمال بأمر من الخليفة[5]

وكانوا في نفس الوقت عرضة للمحاسبة القاسية من الخلفاء الموحدين جراء تقصيرهم أو تعديهم في أخذ الأموال، والأمثلة كثيرة على عدد من المشرفين نُكبوا وصودرت أموالهم، كما فعل المنصور الموحدي سنة 579هـ/1183م مع مشرف

---

(1) المقري ، النفح ، ج1 ، ص. 266.

(2) ابن ابي زرع ، م س ، ص. 154.

(3) ابن عذارى ، م س ، ج3 ، ص. 200.

(4) نفسه ، ص. 226.

(5) عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي** ، ص. 170.

تلمسان أبي زكريا بن حيون شيخ كومية وابنه علي وكما فعل المنصور مع داود بن أبي داود صاحب الأشغال باشبيلية[1] ويعتبر المؤرخون هذه السنة "**سنة تصحيح الإشراف المالي**"بسجن أكثر من ثمانية عشر عاملا، حيث عمد الخليفة لحملة شعواء إلى استئصال أموالهم، ورد للمخزن ضياعهم ورباعهم، وترك لكل واحد منهم دارا واحدة، وأجبرهم على تقديم أربعين وستين ألف دينار، يقسطونها على أنفسهم، وشهد العدول بذلك[2] حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر .

ويساعد صاحب الأشغال رؤساء الدواوين المالية بالدولة ، وهم :

۞ صاحب ديوان الأعمال المخزنية :

ومهمته الإشراف والمراقبة على المداخيل والإيرادات، وكذا أوجه الصرف، مع مراقبة العمال ومحاسبتهم[3] أو حسب تعريف ابن خلدون" **القيام بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، وإمضاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أوقاتها، بالرجوع إلى القوانين التي تسير أعمال الديوان ...ولا يقوم بهذا كله إلا المهرة من أهل تلك الأعمال"**[4]

وبالتالي فمهمة صاحب الديوان هي الأخطر على الإطلاق، لأنه المسؤول على كل العمال، والخليفة يعود اليه في كل شيء، ويسأله عن كل شاردة وواردة، وربما جاز لنا أن نطلق عليه رئيس المشرفين[5]

---

[1] البيان ، ق م ، ص. 224-225.

[2] نفسه، ص. 158.

[3] عنان محمد عبد الله ، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس** ، ج2، ص. 624.

[4] ابن خلدون ، العبر ، ج1 ، ص. 255.

[5] حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية** ..، ص. 188، رضا رافع ، **الإقتصاد في المغرب الأقصى** ، ص. 126.

وكان في هذا الديوان كتاب من جميع الجهات، في الولاية الواحدة، يقيدون ما تحصل في سجلات وخرائط، وتضبط بالشهوه وتُرفع الى الخليفة فيختمها بخاتمه، مما يجعل عملية المحاسبة يسيرة، كما فعل بالكثير من المشرفين، كأبي زكريا بن حيون بتلمسان، حيث نكب سنة 579هـ[1] وأبو الحسن بن أبي بكر بفاس، حيث نكب سنة 604هـ وفي نفس السنة نكب أبو الربيع بن أبي عمران على مكناسة[2] كما استعان الموحدون بطريقة نقل عمال الجباية من مكان لآخر، حتى لا يتمكنوا، ويزيد نفوذهم في أقاليمهم، وهي طريقة دون شك ساهمت في استقرار الدواوين وضبطها[3]

۞ متولي المجابي:

وهو العامل المختص بتحصيل الضرائب بمختلف أنواعها، وله عمال في مختلف المدن والبوادي، ويحق لمتولي المجابي طلب مساعدة صاحب الشرطة أو قائد الحامية الموحدية في المكان الذي يجمع فيه الضرائب، لإرغام المتخلفين على دفع مجابيهم[4]

۞ متولي المستخلص:

وهو الديوان المسؤول عن إدارة الأملاك السلطانية الخاصة، التي يرجع ريعها إلى خزانته الخاصة[5] أو هو الديوان المسؤول عن أموال الخليفة، والمحافظة عليها

---

(1) **البيان ، قسم الموحدين** ، ص. 127.

(2) نفسه، ص. 226.

(3) عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص. 170.

(4) علام عبد الله علي، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 ، ص. 264.

(5) ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ص. 133، هامش رقم 1 .

وتحميل ما يتعلق بها من مختلف أبواب الدخل[1]ومن الذين اشتغلوا بهذا الديوان أبو بكر بن ملول بن إبراهيم بن يحي الصنهاجي الذي كان أمينا على ضياع وأموال الخليفة المنصور الموحدي، حسب رواية البيذق[2] واستعمل بعض الخلفاء هذه الأموال للمصلحة العامة، ولم يستأثروا بها لأنفسهم فقط، فقد أفادنا صاحب المن أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بنى سور إشبيلية من ماله[3] واشترى من خزينته الخاصة مئة دار لضيوفه الوافدين من إشبيلية[4]ولعل الخلفاء الآخرين قد حذوا حذوه، وان لم تذكرها المصادر المتوفرة .

۞ السجانون:

السجن هو الحبس[5]وهو مؤسسة عقابية تربوية، تعيد تأهيل الخاطئين والمنحرفين، وله دور هام في استقرار المجتمع، وتوفير الأمن فيه من خلال ردع المخالفين[6]ويعتبر مؤسسة ضرورية في أي دولة وفي أي عصر، ويسمي الأندلسيون السجانين أحيانا بالحدادين من خلال امثالهم[7] .

ويرتبط البحث بالسجن والسجناء بتاريخ المهمشين والضعفاء كونهم في منظور المجتمع خارجون عن الضوابط المتعارف عليها، وفضاء السجن يبعث على التقزز

---

(1) عنان محمد عبد الله ، مرجع سابق، ص. 625.

(2)البيذق ، **أخبار المهدي** ، ص. 118.

(3)انظر ، المن ، صص 509،514،516، 521.

(4) نفسه، ص. 484.

(5) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج6 ، ص. 183.

(6) القفطي(جمال الدين أبو الحسن)،**كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء** ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، د ت ، ص.132

(7) كقولهم شبهت الملائكة بالحدادين ، الزجالي ، م س ، ج2 ، مثل رقم 1822، ص.431.

ويوحي بالظلمة، ويرتبط بصفة الغياهب[1]، وينعكس هذا الأمر على حضور مادة السجن والسجانين بالمصادر التاريخية عموما، والموحدية خصوصا، فهو لايعدو لُمعا وشذرات، كإشارة ابن صاحب الصلاة لبيعة الخليفة الموحدي أبي يعقوب حين عفا عن المسجونين[2].

من خلال الإشارات المتوفرة يمكن أن نوجز أهم مهام السجان في :

أولا:ـ تقييد السجناء وتكبيلهم بعد تلقيه الأمر ، حيث لما سُجن ابن واندوين بأزمور في عهد السعيد الموحد كان عليه كبل ثقيل لا يقدر أن يتحرك من ثقله[3]كما يفيدنا صاحب صاحب التشوف أن من كرامات كثير من المتصوفة أنهم كانوا يتحررون من قيودهم وحدهم وقت الصلاة[4]

ثانيا: - حراسة السجناء، كما فعلوا مع المُعتمد وبعض قُطاع الطرق، بسجن أغمات[5]

ثالثا: -يُكلف السجان أحيانا بتنفيذ أوامر الخليفة، إذا تعلق الأمر بتسميم أحد المسجونين، كما فعل سجان عبد المؤمن الذي أمره أن يضع السم للمسجون الوزير عبد السلام الكومي الذي مات بفعل هذا العمل[6]

إضافة الى أعمال أخرى، كأن يكون واسطة بين المسجونين (خاصة السياسيين) وبين الخليفة، يوصل استعطافهم وطلبهم العفو .

---

(1) مصطفى نشاط، **السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط**، ص. 12.

(2) ابن صاحب الصلاة ، **المن** ، ص. 266.

(3) البيان ، ق م ، ص. 368.

(4) **التشوف**، ص. 155.

(5) **البيان** ، قسم الموحدين ، ص. 367.

(6) المن، ص. 118، وقد أورد ابن الأبار أن عبد السلام الكومي مات مخنوقا بأمر من عبد المؤمن، **الحلة السيراء**، ج2، ص. 237.

۞ الجلادون:

مهمة الجلاد ضرب السجناء بالعصا أو بالسياط، قد تؤدي أحيانا الى الموت، وتتعدى مهمته إلى تنفيذ القتل مباشرة بطرق مختلفة[1]

وتذكر المصادر مهام المحتسب في مراقبة عمل الجلاد حيث يُ"منع أن يضرب **أحدا بالسوط إلا بأمر من السلطان وصاحب المدينة والقاضي والمحتسب والحاكم فقط**[2] وحتى الأسواط التي يضرب بها لا يجب أن تكون طويلة جدا ولا رقاقا، ولا محكمة القتل، ولا يقم الجلاد على قدميه وينزل السوط، فلا يفعل هذا إلا إذا أراد قتله[3]

ونظريا، على الجلاد أن لا يجلد في المواضع المهلكة كالوجه والبطن، ولا يضرب في الحر الشديد والبرد القارس، ويُمكن أن يُقسم الجلدات على خمسة أيام[4]

ومن الأمثلة التي ذكرتها المصادر الموحدية، ما أمر به الخليفة عبد المؤمن بن علي بجلد شيخ ثمانين جلدة اتهم الخليفة أنه إبن زنا، وكسر أسنانه، ثم قتل بالرماح فيما بعد[5] ونفس الشيء فعله الخليفة الرشيد، حيث أمر بضرب إبن سعادة ألف سوط على

---

(1) مصطفى نشاط، **السجن والسجناء**..،ص. 106.

(2) ابن عبدون، م س ، ص. 20.

(3) ابن عبدون، مصدر سابق، ص. 21.

(4) مصطفى نشاط، نفسه، ص. 108.

(5) الذيل و التكملة، ق1، ص. 194.

كلام غير لائق قاله فيه[1]،ويبدو أن الخلفاء الموحدين لم يتوانوا في ضرب وجلد كل من تعدى حدوده.

وقد يقوم الجلاد بحز رأس السجين، إذا كان من الثائرين، مثلما أمر الخليفة عبد المؤمن جلاده مع أخوي المهدي بن تومرت الثائرين عليه، بعد أن سجنهما، أمر بقطع رأسيهما، وهي دلالة رمزية على أن قطع الرؤوس من أجل إنهاء التمرد والثورات على المخزن الموحدي.

وعموما تحاشت المصادر الموحدية ذكر تفاصيل كثير من أعمال الجلادين، لأن الخلفاء كانوا يعمدون أحيانا الى التصفية الجسدية للمسجونين دون مراعاة لأي حيثيات حفاظا على أمن سلطة المخزن وحمايته من الثورات التي لم تتوقف شرقا وغربا طوال فترة الحكم.

۞ حرس المدن والأسواق والدرابون والسمار والمتجسسون وحراس الأبواب:

نقصد بحرس المدن : **الإطار البشري المكلف بضمان أمن وسلامة أهل المدينة وممتلكاتهم، وهي مجموعة من الفرق المتنظمة توزع مهامها حسب الإطار المكاني، وحسب تقسيم ساعات العمل ليلا ونهارا**[2]ومن هذه المجموعات ما ذكره صاحب التشوف حول فرقة كلفت بحراسة السوق ليلا ونهارا، مصحوبين بالكلاب المدربة[3] إضافة إلى حرس الليل الذين يهتمون بحراسة المدن من اللصوص، وأعلاهم رتبة

---

(1) البيان، ق م، ص. 360.

(2) محمد رابطة الدين ، مرجع سابق، ص. 126.

(3) ابن الزيات، م س ، ص389.

المسمى العريف[1] ووردت بلفظ الدرابين، وهم على ما يبدو موكلون بحراسة الدروب والأزقة، ويستعملون في مهامهم الأسلحة والفوانيس للإضاءة الليلية والكلاب[2]ومنهم من تقتصر مهمته على حراسة أسوار المدينة، خاصة وأن طراز المدن المغربية والأندلسية كان يرتكز على السور كوسيلة دفاعية وأمنية[3]وقد يوزع هؤلاء على حسب عدد أبواب المدينة، ويوكل كل واحد بحراسة بابه، حتى يسهل محاسبته في حالة وقوع سرقة أو انتهاك، وقد أورد ابن عذارى أن الخليفة أبو دبوس حين دخل مراكش"**أمر بتفقد الأسوار هل هي خالية من أسوارها**"[4]

وهناك من الحراس من يحرس السجن والسجناء، وورد إسمهم بالُسمار[5]

كما أوكل الخلفاء لبعض الحراس مهمة التجسس والبحث عن المجرمين ومثيري الفتنة، والتحقق منهم والقبض عليهم، بطرق سرية، وقد حدث سنة 607هـ حريق قيسارية مراكش، فعمل هؤلاء على البحث عن الفاعلين، عندما تبين أن هذا العمل كان مقصودا. [6]

وعموما هذه بعض المهن التي وصلتنا من خلال المصادر، والأكيد أن كثيرا منها لم نفصل فيه لانعدام المادة الخبرية حوله، أو لقلتها وعدم تخصصها، ولعل بروز

---

(1)نفسه، ص. 455.

(2)levi provencal ; conférence sur l’Espagne musulmane .caire.1951.p82,

(3) محمد رابطة الدين، نفس المرجع، ص. 128.

(4)ابن عذارى، **البيان، قسم الموحدين**، ص. 438.

(5)ابن الزيات، **التشوف** ، ص. 171.

(6)**البيان، قسم الموحدين**، ص. 258.

مصادر جديدة مستقبلا سيجلي دون شك بعض البقع المعتمة ويجيب على الأسئلة التي لا تزال تنتظر الأجوبة ، كما وجدت مهن أخرى لم ترتبط بالبلاط ولا بالدولة ولكنها ضرورية ومهمة، نفصلها في الفصل اللاحق.

الفصل الخامس

مهن وصنائع ضرورية وخدماتية

تمهيد

الاطباء

الصيادلة

البياطرة

العشابون

الحلاقون

الطباخون والفرانون والخبازون والشواؤون

المرضعات

الملاحون

الحكاكون

حافر القبور

السقاؤون

المنادون

القصاصون والمهرجون

الحجامون والفصادون

القومة

المغنون والموسيقيون

بينا في فصل سابق تفاضل المهن فيما بينها وفضل بعضها على الآخر، وإن اختلفت نظرة العامة والخاصة إلى هذا التفاضل، ونقف هنا عند وصف ابن عبدون حين حصر حاجة الناس الضرورية الى أربعة أشخاص يحتاج الناس إلى صلاحهم بقوله **"أحوج ما هم في العالم إلى قاض عادل، وإلى وثاق ثقة، وإلى قلفاط[1] جيد، وإلى طبيب ماهر، فهذه الأربعة فيها حياة العالم، وهم أحوج إلى أن يكون فيهم الخير والدين من كل واحد، فإنهم أمناء الله على الأموال والمهج، فهم أحوج الناس الى الدين والخير"**[2]

والحقيقة أن حكم ابن عبدون قد يلزمه وحده عندما حصر المهن الضرورية في هؤلاء الأربعة فقط، لأن كثيرا من المهن والحرف قد تبدو غير هامة أو ضرورية، أو يبدو مزاولوها من أراذل الناس حسب تفكير العامة[3]لكن غيابها قد يسبب ضررا يطال العامة والخاصة على حد سواء، وهي مهن تمنح خدمات ضرورية للعامة والخاصة من الناس، ووجودها حتمي لا مناص منه، خاصة في التجمعات السكنية والحضرية، إقتضتها ضروف العيش، ومتطلبات التمدن، وليس سرا عندما نقر أن المصادر المتاحة لا تعير اهتماما لبعض المهن الضرورية التي تبدو في مظهرها غير لائقة، أو تميز مزاولوها بالبساطة والسذاجة.

وسنحاول في هذا الفصل إستجلاء بعض المهن والحرف الضرورية المختلفة التي زاولها العوام والخواص في العهد الموحدي بالغرب الإسلامي عموما، وبعض المهن العامة الخدماتية ، وإن تفاوتت درجة أهميتها، عند الناس.

---

[1] **القلفاط (أو الكلفاط أو الجلفاط)** : تطلق هذه اللفظة على الحرفي الذي يباشر وضع القار على ألواح السفن، وهي عملية طلاء على ألواح السفن، لمنع تسرب المياه وصناعته الجلفطة، وقد انتقلت هذه اللفظة إلى بعض اللغات الأوربية:**Calfatage**، راجع: القروي (أبو القاسم خلف)، **كتاب أكرية السفن**، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2009، ص.77، هامش3، **المقصد المحمود**، ص.245.

[2] ابن عبدون، م س، ص. 55-56.

[3] كالكنافين مثلا، انظر، فصل المهن المنبوذة والمحرمة .

❁ الطبيب :

من نافلة القول بيان التطور الملحوظ للطب والصيدلة في العصر الوسيط عموما عند المسلمين مشرقا ومغربا إذا ما قورن بالأوربيين[(1)]ولم تكن الدولة الموحدية بمعزل عن هذا التطور، ولا أدل على ذلك من إشارة المراكشي حين أقر أن كثيرا من الخلفاء الموحدين "**لم يكن يعقد لهم مجلس من مجالس القصر إلا بحضور عدد من الأطباء الأعلام**"[(2)] فضلا عن كبير الأطباء[(3)] ومن عجائب تنظيم الطب عندهم ما ذكره صاحب روض القرطاس عند ذكره لطاعون حل سنة 571هـ قوله:"**كان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب إسمه ونسبه وموضعه في براءة يجعلها في جيبه، فإن مات حُمل الى موضع أهله**[(4)]وهذا النوع من السجل الطبي سبق الموحدون إلى ابتكاره وإستعماله (الدفتر الصحي في أيامنا) يبين دون شك العبقرية الموحدية التي تجلت في هذا التنظيم[(5)] تناول أطباء الحقبة الموحدية أخلاقيات المهنة بكل تفصيل وهو ما يبين دون شك أن لهم اهتماما بالغا بمعايير إختيار المهنة الطبية، ومن بينهم إبن زهر الذي اشترط على الطبيب أن يكون مؤمنا بالشريعة غير كافر بها، وأن يكون قد حفظ عهود أبقراط

---

(1)Danielle jaquart et françois Micheau : **la médeçine arabe et l'occident médévale** , Maison neuve et larose , Paris , 1996,pp 143-145. .

(2) المراكشي، م س، ص. 426.

(3) ابن أبي اصبيعة (موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس)، **عيون الأنباء في طبقات الاطباء**،تحقيق نزار رضا، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1401ه/1981، ص. 426.

(4) ابن ابي زرع، م س، ص. 177.

(5) محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، ص. 92.

ومواثيقه[1] إضافة للتواضع والصدق، أي لا يكذب على مريضه إرضاء له، مع اختيار العلاج ما خفت مئونته ووجد[2]دون كبير عناء .

بداية يجب أن نميز بين صنفين من الأطباء: أطباء الخلفاء والأمراء وأطباء العامة. فالصنف الأول: وهو من أصعب الأشياء للطبيب، لأن الخلفاء تعودوا ان يأمروا ولم يتعودوا أن يُـأمروا[3]كما أن خطأ الطبيب قد يكلفه حياته، فلا مجال هنا للتهاون والغفلة. وهناك أطباء للعامة وفي المؤسسات الإستشفائية والتي اصطُلح عليها بالبيمارستان[4]

ومن أطباء الخلفاء الموحدين، نذكر أطباء عبد المؤمن بن علي: أبو مروان عبد الملك بن زهر الاشبيلي (557هـ)، الذي ألف له كتاب "**الأغذية**"، والذي ترجم الى عديد اللغات[5] وكذا أبو بكر محمد الحفيد، الذي خدم كثيرا من الخلفاء كيوسف والمنصور والناصر، ألف لهم كتاب الترياق الخمسيني[6]ومن أطباء أبو يوسف المنصور المنصور أبو جعفر بن هارون الترجالي الإشبيلي وأبو مروان عبد الملك بن قاسم

---

[1]ابن زهر(أبو مروان عبد الملك الإيادي الإشبيلي)، **الطب العربي في الأندلس، مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير**، تقديم فضيلة بوعمران ، منشورات ثالة ، الجزائر، ط1 ، 2007، ص. 152.

[2] نفسه، ص. 153.

[3]الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا) ، **أخلاق الطبيب**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة ، ط1 1397ه،1977، ص. 19.

[4] **البيمارستان**: كلمة فارسية الأصل تتألف من مقطعين بيمار بمعنى مريض والعليل وستان بمعنى مكان او دار ، وبهذا يكون معناها مكان المرضى(وهي المستشفيات في عصرنا)، وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة تُعالج فيها جميع الأمراض والعلل، من باطنية وجراحية وعقلية ،للنساء والرجال وبالمجان، إلى ان أصابتها الكوارث وهجرها المرضى فاقفرت إلا من المجانين، فصارت كلمة بيمارستان إذا سُمعت لا تنصرف إلا لمأوى المجانين، ينظر، احمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الاسلام** ، دار الرائد العربي ، لبنان، ط2، 1981، صص.15_17.

[5]أثر ابن زهر تأثيرا بالغا في الطب الأوربي الى نهاية القرن 17م بفضل الترجمات العبرية واللاتينية ، المنوني ، ص. 88 .

[6] ابن ابي اصيبعة ، م س، ص. 377.

القرطبي (ت575هـ) [1] ومن أطباء المنصور أبو الحسين بن أسدون (588هـ)، وأبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي البلنسي(ت 598هـ)، الذي ألف للخليفة كتاب " **تدبير الصحة** "[2]وأحمد بن عتيق البلنسي المراكشي البلنسي(ت 601هـ)، وأبو مروان عبد الملكين قبلال الغرناطي (ت ق7هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي المريبطري (ت619هـ) [3] وغيرهم ،ونشير الى أن الخلفاء لم يستأثروا بالأطباء دون نسائهم، فقد كانت : **القابلات** التي اعتبر ابن خلدون عملهن من المهن الشريفة[4] "**وتعدى دور القابلة بالغرب الإسلامي من تلقي الولد إلى أدوار قضائية واجتماعية كإثبات الجنس والعذرية والإجهاض والحمل، وإثبات عيوب المرأة وولادة الطفل حي هو أم ميت**"[5]، **ميت**"[5]، وأضاف ابن عبدون لمهامها مهمة أخرى تمثلت في حبس النساء، واشترط فيها أن تكون "**إمرأة قابلة خيرة قد عرف القاضي فضلها إلى أن تنطلق**"[6]

وكانت في البلاط الموحدي من تخصصن في خدمة نساء البلاط، منهن أخت الحفيد أبي بكر ابن زهر أم العلاء (ت595هـ) وابنتها: اللتان كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة، واكتسبتا خبرة في مداواة النساء فكانتا تدخلان على نساء الخليفة المنصور، حيث لا يقبل المنصور وأهله إلا أخت الحفيد وابنتها لما توفيت أمها[7]

بالنسبة لأطباء العامة، فقد كان البيمارستان مركزا أصيلا للعلاج، فقد أسس مثلا يعقوب مارستانات للمرضى والمجانين في مراكش وشالة والقصر[8]وقد وصفه

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي ، م س، ص. 167.
[2]ابن ابي اصيبعة ، م س ، ص. 169.
[3]نفسه ، ص. 171.
[4]ابن خلدون، **المقدمة** ، ص.192.
[5] نجلاء سامي النبراوي، **القابلة في المغرب والأندلس**، شبكة الألوكة ، مصر ، د ت، ص 06.
[6] ابن عبدون، **ثلاث رسائل** ، ص.19.
[7]نفسه ، ص 166، المنوني ، م س ، ص.92.
[8]نفسه ، ص. 98.

المراكشي وصفا بديعا[1]مما يبين مدى العظمة والتطور الذي وصلته دولة الموحدين آنذاك، **ونقصد مرحلة ازدهار الدولة**، وذلك لجعل الخدمات الطبية في متناول العامة، وتمكين المرضى والمساكين من التطبيب بالمجان[2] رغم أن العوام ارتبطوا غالبا بالعلاجات البدائية إما لضعف قدراتهم الشرائية في شراء الأدوية والفحوص الطبية، وإما لتجريبهم كثيرا من العلاجات الذاتية[3] التي أثبتت نجاعتها، خاصة أمام تفشي الأمراض الأمراض والأوبئة بشكل كبير، بالخصوص أيام الفتن والحروب[4]

ومن أشهر الأطباء الذين اشتهروا للعامة والخاصة، نذكر على سبيل المثال لكثرتهم:

إبراهيم الداني البجائي (توفي شهيدا في غزوة العقاب 609هـ/1212م)، أصله من بجاية وولي أمانة البيمارستان في عهد أبي يعقوب المستنصر ، وكان طبيبه بالحاضرة كذلك[5] كذلك[5] الباجي عبد العزيز بن مسلمة (ت قبل سنة620هـ)، وأصله من باجة الغرب، يعرف بابن الحفيد،نبغ في صناعة الطب نبوغا ظاهرا، وخدم المستنصر وكان من أطباء البلاط[6] إضافة لسعيد الغماري وابن الحلاء المرسي ومحمد بن سحنون الندرومي [7].

.[7]

۞ مزوار الأطباء :

---

[1]انظر الملحق (**وصف بيمارستان مراكش**).

[2]المراكشي، م س ، ص. 412.

[3] على سبيل المثال يذكر صاحب الاستبصار أن بعضالنباتات بجبل فازار كانت تستخدم لعلاج بعض الأمراض، وبمدينة ايجلي وجد شجر يصلح لعلاج الكلى وإدرار البول، مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص. 187.

[4] أحمد المحمودي، **عامة المغرب الأقصى** ، ص. 126.

[5]**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص. 126.

[6] **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص534.

[7] راجع : أحمد متفكر، **الطب والأطباء عبر العصور**، صص.36_70.

أحدث الموحدون منصبا جديدا لمراقبة الأطباء وأعمال الصيادلة، ويسمى مزوار الأطباء[1]وسماه المقري بمزوار الدار السلطانية[2]ومما يبين أهمية هذا المنصب وخطورته، أن تعيينه كان يتم بأمر من الخليفة الموحدي نفسه، ممن يرى فيهم الكفاءة والنزاهة والولاء[3]ودون شك كانت اجرة المزوار معتبرة حيث يـ ُصرف له مرتب معتبر من بيت المال[4]،وممن تولوا هذا المنصب الطبيب أبو جعفر الذهبي(ت600هـ/1203م) الذهبي(ت600هـ/1203م) الذي كان مزوارا للأطباء ومزوارا للطلبة[5].

۞ الصيادلة :

الصيدلة من الناحية اللغوية كلمة معربة مشتقة من جندل أو صندن وهو خشب العطر، والجندنائي هو مزاول العطور، وأطلق العرب هذا المصطلح على مزاول الأدوية بدلا من مزاول العطور حسب البيروني[6]

والصيادلة:حرفتهم إعداد الأدوية وبيعها في دكاكينهم المتواجدة عموما بسوق العطارين[7] وإن كان الكثير من الصيادلة يجمعون بين الطب والصيدلة وإعداد العشوب.

العشوب.

---

(1) نفسه، ص. 488.

(2) المقري ، **النفح** ، ج6 ، ص. 307.

(3) نور الدين زرهوني ، **الطب والخدمات الطبية في الاندلس خلال ق6ه/12م** ، ص. 51.

(4) محمد الرشيد ملين ، **عصر المنصور الموحدي** ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1996م ، ص. 177.

(5) ابن ابي اصيبعة ، نفسه ، ص. 88.

(6) البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد)، **كتاب الصيدنة**، تح محمد سعيد، مؤسسة همدود الوطنية، كراتشي ، الباكستان ، 1973 ، ص. 43.

(7) عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع**...، ص. 318.

ووضح هذا الأمر الطبيب أبو جعفر أحمد الغافقي(ت بعد 560هـ/1170) وهو من أشهر الأطباء الصيادلة في عهده بقوله"**أطباؤنا كلهم صيادلة، يتولون بأنفسهم..عمل الأدوية المركبة وجميع أعمال الصيدلة**[1]

وكانت تتم عملية التحضير والمزج والتركيب في أماكن معلومة ليتم حفظ الأدوية وتخزينها وبيعها، غالبا في الصيدليات والحوانيت، أو الدكاكين[2]وهذا النوع موجه لعموم الناس.

ونظرا لحساسية هذه هذه الصناعة فقد اهتم الخلفاء الموحدون بتخصيص صيادلة خاصين بهم، يُعرف اسمه بـ"**صاحب خزانة الأشربة والمعاجين**" وهو موجه لأهل الخاصة من الخلفاء والمقربين منهم، ونذكر ممن تولى هذه المهمة أيام الخليفة يوسف : أبو محمد قاسم الإشبيلي[3]، أبو جعفر أحمد بن الغزال المري وأبو يحي بن قاسم للخليفة الموحدي يعقوب المنصور[4]

ومن أشهر الأطباء الصيادلة في العهد الموحدي نذكر:أبو جعفر أحمد الغافقي[5]وأبو العباس أحمد بن الرومية[6]

۞ العشابون:

---

(1) نور الدين زرهوني، مرجع سابق، ص. 98.

(2) **الذيل والتكملة**، ج1، ص. 177.

(3) ابن أبي اصيبعة ، م س ، ص. 466

(4) نفسه، ص 467.

(5) وُلد في أواخر القرن الخامس في مدينة غافق ضواحي قرطبة، كان أبوه طبيبا مشهورا في مداواة أمراض العيون، يعود الفضل للغافقي في اكتشاف أحد عشرة نباتا جديدا ، هي أمليلس، آذان الأرنب، أطرمالة، الجبار، البذذ، بربينة، البشنة، البلختة، الوطم، الهذيلية، يربه شانة، أنظر، الصفدي(صلاح الدين خليل)، **الوافي بالوفيات**، اعتنى به سي يدرينغ، دار النشر فرانز شتايتر، بيفيسبادن، 1970، ج7، ص. 333.

(6) **ابن أبي أصيبعة**، م.س.، ص 467.

يختلف العشاب عن الصيدلي، فحرفته خصوصا جمع الأعشاب وجلبها إلى المدينة، أو يقوم بشرائها ممن يجمعونها، ويضطر أحيانا للسفر إلى مناطق بعيدة حيث تتوفر أعشاب لا تتوفر في منطقته[1]وقد يبيعها بأثمان غالية للصيادلة والأطباء، كما يبيعها لعامة الناس لاستعمالها إما للعلاج، وإما للوقاية من بعض الأمراض، وتستعمل أحيانا حتى في بعض الأكلات، واشتهرت الأندلس مقارنة مع أرض المغرب، بكثرة العشابين، نظرا لكثرة الحشائش الطبية التي عرفها الأندلسيون نتيجة ترجمة كتب اليونان على غرار ديسقوريدوس، وكان العشابون في الغالب يتوارثون مهنة العشابة أبا عن جد، وتناقلوا خبرتهم، واجتمعت دكاكينهم ليسهل على الزبون إقتناء ما يريده، وقد ينصح العشابون مرتاديهم إلى استعمال أنواع معينة من الأعشاب، نظرا لخبرتهم فيها، وقد يقومون بطحنها ومزجها بناء على طلب زبائنهم.

۞ الحلاقون:

الحلاق من يقوم بقص الشعر وتحسينه وتهذيبه[2] يسمى غالبا في الغرب الإسلامي المزين، لذلك قيل [3]:

إن المزين محبوب صناعته   على جميع صناعات الورى رفعت

يخلو مع الملك المرهوب جانبه   وآلة الفتك في صندوقه جمعت

---

[1] ولد عام 561هـ/1165م، معروف باسم أبي العباس النباتي، كان ابوه عالما بالنبات، وكان جده أبو الخليل الأموي كذلك، قال عنه ابن عبدالملك" امام اهل المغرب قاطبة في معرفة النبات...وعاين في وجهته المشرقية كثيرا مما لا يكون بالمغرب منه...ولم يزل باحثا عن حقائقه كاشفا عن غوامضه حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره، ممن تقدم في الملة الاسلامية" من مؤلفاته: الرحلة المشرقية، شرح حشائش ديسقوريدوس وأدوية جالينوس، أنظر، الذيل والتكملة، س1، مج2، ص 266، التكملة، ج1، ص 122، زرهوني نور الدين، مرجع سابق، ص 206 وما بعدها.

[2] حسن علي حسن ، مرجع سابق ، ص 354.

[3] الزجالي ، م س ، ص 188.

تعلو أنامله في حال خدمته مواضعا لو علتها غيرها قطعت

من هذه الأبيات المعبرة تظهر لنا مميزات هذه المهنة، التي يمكن لصاحبها أن يصل للملك أو الخليفة بسهولة تامة، يظهر منها أن الحلاق كان في كثير الاحيان متنقلا، حاملا لحقيبته أو صندوق أغراضه ومن المعروف عند العامة بثرثرته في الغالب، وقد أورد التادلي في مصنفه إلى وجود حلاق بسبتة[1]، ولكن لم تتعرض المصادر إلى ذكر حلاقين خاصين بالبلاط الموحدي، ولهذا يرجح أنهم استعانوا بحلاقي العامة لكنهم اختصوا بخدمتهم .

كما تواجد الحلاقون بالحمامات كذلك، مستغلين فرصة التنظيف، لحلق الشعر وتهذيب اللحية [2]، ووردوا أحيانا باسم الحجامين، في الأندلس مثلا يقال: "**حجام إن بالغ**"[3] ، والمقصود في هذا المثل الحلاق وليس الحجام ،وأحيانا أخرى يكون المطهر أو من يقوم بعملية الختان هو نفسه من يحلق للصبي شعره[4] وقد أورد ابن الأخوة شروط الحلاق في نص فريد قوله "**وينبغي أن يكون المزين خفيفا رشيقا، بصيرا بالحلاقة ، وتكون حديده قاطعة ولا يستقبل الرأس، ولا يأكل ما يغير نكهته كالبصل والثوم و الكراث وغيره ، لئلا يتضرر الناس برائحته فيه عند الحلاقة، ولا يحلق شعر إلا بإذن وليه، ولا عبدا إلا بإذن سيده، ولا يحلق.. أمرد ولا مخنث**" [5]

هذا النص يبين دون شك حرص المحتسبين على الذوق العام للزبائن وعدم إيذائهم، كما أن الحرص على عدم تزيين المخنث له دلالات أخرى، تتعلق بالجانب الأخلاقي

---

(1) التادلي ، م س، ص. 254.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية**، مجلة عالم الفكر، الكويت, مجلد 11. ص 45.

(3) الزجالي ، مثل رقم 828، ص. 188.

(4) لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ص. 103.

(5) ابن الأخوة، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، نقله روبن ليوي ، ، كمبردج، 1937 ، ص. 156.

أيضا، وربما كان بعض الحلاقين من لا يلتزم بهذه القواعد، مما جعل المحتسبين يراقبونهم على شكل زبائنهم ومظهرهم.

۞ العطارون:

العِطْر اسم جامع للطِّيب والجمع عُطوٌر والعطّار بائعه وحِرْفَتُه العِطَارةُ [1]، وللعطار مكانة مرموقة في المدينة الإسلامية عبر عصورها ، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنواعا من الطيب تليق بالرجال وأخرى بالنساء[2] وقد ذكر الثعالبي عن عمر بن الخطاب قوله" **لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر شيئا، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه"** [3]

والحقيقة أن المصادر الموحدية نادرا ما تذكر حرفة العطارين، وذلك حتما لندرة العطر نفسه، وقد أشار البيدق أن المهدي أباح الطيب للرجال والنساء، والمراكشي المعاصر للدولة قد ذكر العطر مرة واحدة في مصنفه يصدد حديثه عن فاس بقوله : **"ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غيرها إلا ما كان من العطر الهندي، سوى مدينة فاس هذه فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة"**[4] ، فالمدن المغربية كانت تستورد العطور من الهند لحاجة الناس إليه مع قلة محترفي العطارة رغم أن كتب التصوف تذكر لنا بعض من احترفوا العطارة ، كأبي يعقوب عطار مدينة داي"، وكيف كان يلقي شبكته على سلعته حين يكثر مبتاعوه، وقد

---

[1] ابن منظور ، **لسان العرب**، ج 4، ص. 582.

[2] علي جمعان الشكيل، **صناعة العطور في الحضارة الإسلامية** ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، السنة السابعة، العدد 25 و26 ، مركز جمعة الماجد ، الإمارات العربية المتحدة، 1999 ، ص. 155 .

[3] الخزاعي التلمساني (أبو الحسن علي بن محمد)،**مختصر تخريج الدلالات السمعية** ، إعداد احمد مبارك البغدادي ، مكتبة السندس، الكويت ، 1990، ص. 328 .

[4] المراكشي، م س ، ص. 354.

أشار الإدريسي إلى سوق العطر بلورقة الأندلس ،ولم يذكر سوقا بالمغرب[1] ،رغم أن صاحب إختصار الاخبار قد أشار بصدد الحديث عن أسواق سبتة بقوله" ...**ومن أشرفها قدرا وأجملها مرأى سوق العطارين**"، وقد أشار إلى هذا السوق ابن القاضي عياض بصدد ذكر أحباس حمود بن أبي مسلم الصدفي[2]ولكن من الواضح أن كثيرا من النصوص حتى التي تعود ما قبل الموحدين تبين أن هذه الفئة لم تحترف بيع العطور فقط، بل اعتمدت على حرف أخرى، واتخذت العطارة كدخل إضافي فقط في الغالب، نظرا لمحدودية دخلها من العطور، والثابت أن حرفة العطارة انتشرت بالأندلس بكثرة مقارنة بالمغرب، وهذا راجع الى طبيعة الانسان الأندلسي المائل الى التأنق والتجمل بشكل لافت، وهو ما بينته كثير من الامثال الأندلسية [3]، حتى أنهم قالوا في **أمثالهم"واحد يموت بالبرد وآخر يرش بماء الورد"**[4] كما أن كتب الحسبة بينت أن غشوش العطارين يصعب كشفها، وهم في الغالب أندلسيون[5]

۞ الصباخون والفرانون والخبازون والسفاجون والشواؤون وما شابههم :

---

(1)الادريسي، م س، ص. 222.

(2) أبو عبد الله محمد بن عياض السبتي، **التعريف بالقاضي عياض**، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة والشؤون الاسلامية والثقافة، المغرب الأقصى، د ت، ص. 142 .

(3) كقولهم : أبرد من دق العطار، الذي وقعت عليه الصاعق و لم يحترق، ويقصد بدق العطار العقاقير المدقوقة لصنع الطيب من العطور ، أنظر: **أمثال العوام**، المثل رقم 544، ص. 121 .

(4) كانت العادة عند الأندلسيين وحتى المغاربة رش الضيوف بماء الورد،أنظر، الزجالي، م س، ج2، مثل1967، ص.452.

(5) يبين السقطي المالقي أن كثيرا من العقاقير تتشابه بعضها ويصعب التمييز بينها يقول في هذا الصدد: ...فيغشون الحناء بقشور الرمان ، والفلفل بالكرسنة المدبرة ، والزنجبيل بالموجود شبيها له بجبال الأندلس ، وكذلك السنبل والقرفة وهذه الأشياء يوجد لها بالجبال المذكورة اشباه ... أنظر ، السقطي ، **في آداب الحسبة** ، صص. 41- 44.

إحتل الطبخ مكانة مميزة بالغرب الاسلامي خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، ويتضح ذلك من خلال الكتابين النفيسين اللذين وصلانا[1]، وإن اعتبر البعض أن المؤثرات المشرقية واضحة جدا من خلال التأثير العباسي الذي كان في أوج عطائه الحضاري[2]، لكن هذا لا ينفي أن معظم الوصفات المذكورة كانت شائعة في بلاد المغرب والأندلس .

بداية لابد أن نميز أصناف الطعام بين العامة والخاصة، وهذا حتما يقودنا الى تمييز الطباخين كذلك، وإن كان حتما أن الخلفاء يختارون من العامة طباخين خاصين بهم ممن اشتهروا ببراعتهم، وكذا نظافتهم ،حيث أولى لها المحتسبون عناية خاصة كقولهم أن"**أول ما يجب أن يبدأ به في صناعة الطبخ التحفظ في تناولها من الأوساخ والعفونات، وتنظيف الأواني المستعملة لذلك مع نظافة الطباخ**"[3]

وحول أعداد الطباخين الخاصين بالبلاط الموحدي وخدمة الجيش، فيبدوا أنه كان كبيرا جدا، ويوضحه إشارة ابن عذارى عندما أقر أن أعدادا ضخمة من الجيش تفوق عشرات الألوف قد اُطعموا لمدة خمسة عشرة يوما بمراكش في عهد يوسف بن عبد المؤمن[4] كما أكل المصامدة الجراد بكثرة، مقليا ومملحا، إذ كان يباع منه بمراكش كل يوم كميات تصل إلى ثلاثين حملا كما أشار الى ذلك الإدريسي[5]

۞ المرضعات :

(1) الكتابان هما: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي، وكتاب الطبيخ لمجهول .

(2) دايفد وبتر، **فنون الطبخ في الأندلس**، فصل منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، جمع سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 ، 1998، ج2، ص. 1019.

(3) مجهول، **الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص79، أنظر النص كاملا في الملاحق.

(4) ابن عذارى ، البيان المُغرب ، ق م ، ص. 117.

(5) الادريسي ، م س ، ص. 228.

المرضعة: هي المرأة التي تمتهن إرضاع الصبيان نظير أجر معين، وعرف العرب هذه المهنة منذ القدم وكانوا يعدون أخذ الأجر على الرضاع سبة، ولذلك قيل في أمثالهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[1]،وقد استرضع النبي صلى الله عليه وسلم في صغره، أرضعته ثُـوَيْـبَةَ وحليمة السعدية[2]، و قد أبقى الإسلام على هذا المهنة، ولكن ضمن شروط وضوابط ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "**يَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ**" [3]، خشية إختلاط الأنساب .

وللمرضعة ببلاد المغرب والأندلس عامة حظ في كتابات الموثقين والأطباء والفقهاء من حيث مواصفاتها وكيفية اختيارها ودورها في الإرضاع تجاه الرضيع وتغذيتها وأجرتها فقد كان يتم إستقدامها بطريق الإستئجار بعقد يتضح فيه حقوقها وواجباتها[4]، وتلتزم المرضعة غالبا بإرضاع الصبي حولين كاملين حسب ما يقتضيه الشرع، مع غسل خرق الصبي ولفائفه وتحممه، ويلتزم المستأجر بدفع نفقتها كل شهر وكسوتها شتاء وصيفا، وإن كان للمرضعة زوج وجب عليه أن يشهد إجارة الارضاع، أو ما تسمى في كتب العقود إجارة ظئر،لأنه ملزوم أن لا يطأها، فإن فعل، فلأب الصبي أن يفسخ الإجارة[5]وعموما كانت المرضعات تنتمين إلى الطبقات الإجتماعية الفقيرة، ويلجأن إلى عملهن من أجل سد ضروريات الحياة.

۞ الملاحون (النواتية) :

---

[1] البكري (أبو عبيد)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981 ج1، ص. 289 .

[2] ابن كثير ، **السيرة النبوية** ، ص. 233.

[3] **صحيح البخاري** ، ج 9 ، ص. 124 .

[4] أنظر ملحق: **عقد استئجار مرضعة** ، الجزيزي ، م س ، ص.246.

[5] الجزيزي ، م س ، ص.247..

أول ما يلاحظ في حقل المصطلحات البحرية في القرنين 6و7هـ ذلك التنوع الكبير في مجال السفن والمراكب، وهذا راجع دون شك للدولة الموحدية ودورها الفعال في إرساء تقاليد بحرية راسخة، وقد شهد على هذا التطور المؤرخون الأوربيون أنفُسهم، في عديد من الدراسات المتخصصة[1]، رغم أن المصادر المتاحة لا تولي للعاملين بقطاع البحر كبير اهتمام، شأن معظم فئات العامة، ممن يعملون بأيديهم اعمالا شاقة ومتعبة، ويعتبر البحر مصدر رزقهم الوحيد[2]

والنواتيون هم الملاحون فِي البحرِ، وَهُو من كلامِ أَهلِ الشام، وقيل بأنها معربة، ونُوتيه وَهُو الـمَلاّح الذِي يدِير السفينة فِي البحر، ، كَأَنَ النوتِيٍ يُمِيلُ السفينة من جانِب إِلى جَانِبٍ[3] ولم تنوه المصادر كثيرا إلى رجال السفن والمراكب أو النواتية، الذين ارتبط نشاطهم بأعمال البحار[4]عدا بعض المؤلفات النوازلية[5] أو المتعلقة بأكرية السفن السفن وإن كانت تعود للقرن 4هـ، حيث بينت أن "كراء السفن ككراء الدواب، وفي تضمين أرباب السفن، وفي الشركة في المراكب،والنزاع القائم بشأن الإصلاح[6]

---

[1] أُنظر على سبيل المثال :

Mas Lattrie (le conte**) Relations et commerçe de l'afrique septentrionale au** = **maghreb avec les nations chrétiennes au moyen age-** paris- 1946 - pp 196_ 200,

[2] عبد السلام الجعماطي ، **دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي** ، دار الكتب العلمية لبنان ، ط1 ، 2012 ، ص. 120.

[3]الزَّبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني) الملقّب بمرتضى،**تاج العروس من جواهر القاموس**،ج5 ص. 130.

[4] جمال طه، **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصر المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر ،ط1 ، 2004، ص. 130.

[5] كالمسألة التي طرحت على القاضي الوليد ابن رشد حول إجارة ملاح لنقل حمولة تين من إشبيلية إلى سبتة ، **فتاوى ابن رشد**، ص.1121.

[6] حول الموضوع، ينظر: أبو القاسم خلف القروي، كتاب **أكرية السفن**،تطوان،2009، صص.50-80.

۞الحكاكون (قيّمو الحمامات) :

من المهن الضرورية التي لا مناص للناس من مشتغليها: عاملوا النظافة بالحمامات الذين ينظفون أجساد الناس من الأدران والأوساخ العالقة بها، ويعمل الحكاكون بالحمامات، ووظيفتهم إزالة الأوساخ من على أجسام الزبائن بواسطة المحاك، ويسمون أيضا بالقيمين[1]وهم علامة صحية للمجتمع، اذ هم علامة النظافة والتأنق، وقد انتشرت هذه المهنة بحمامات الأندلس والمغرب على حد سواء، وتعكسها الأمثال الشعبية المتداولة بين العامة، ومن بينها قول الأندلسيين: "**حك أجارك الله**"[2]وهي كناية واضحة عن الأجر الزهيد الذي يتقاضاه الحكاك، وحتى أهل المغرب كانوا يقولون: "**حك لي وأحك لك**"، أي نتبادل هذا العمل لنتفادى دفع أجرة الحكاك ، بالرغم من أن هناك من يدفع بسخاء من أجل نظافته، ويبينه قولهم: "**حك بواجب من الساقين للحواجب**" [3]والواجب هنا يعني الأجر، مما يبين أن عادة إستئجار الحكاكين كانت معروفة عند أهل الأندلس، خاصة وأن عدد الحمامات كان معتبرا، وقد وصف أبو جعفر بن سعيد العنسي أحد الحكاكين (قيم) بقوله:

وقيم يجـــــذبني جذبة　　　وتارة يكســر إبهامـــــي

ويجمع الأوساخ من لؤمه　　　في عضدي قصدا لإيلامي[4]

والشاعر هنا يصف الحكاك بأسلوب تهكمي ساخر وفكاهي.

---

(1) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج1، ص. 309.

(2) الزجالي ، م س ، ج2، ص. 188.

(3) نفسه، ص. 194.

(4) المقري، م س ، ج4، ص. 345.

ولم يتخلف المحتسبون في مراقبة الحكاكين وعملهم وبالخصوص مراقبة محاكهم ومآزرهم، يقول السقطي في الحسبة على الحكاكين: "...**وكذلك الخدمة بالحمامات يبيتون محاكهم التي يحكون بها أرجل الناس في الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب رائحة كريهة، ويغسلون ميازرهم كل عشية بالماء والصابون...** [1] مما يبرز أن هذه المهنة كانت تتم ضمن ضوابط معينة، منها الحشمة والسترة فقد نهى المحتسبون أن يمشي الحكاك في الحمام إلا بالتبان والسراويلات[2] كما نشير أن الحكاك له موضع معلوم بالحمام يزاول فيه عمله وكان غالبا مايسمى بالبيت الساخن[3]

والأكيد أن مزاوليها كانوا من الطبقة المتوسطة أو الضعيفة، كحال معظم المهن التي يصطلح على وصفها بالوضيعة .

۞ حافر القبور:

من المهن التي يتشائم منها الناس حافر القبور، بالرغم من قيمة مهنته، ونعثر في المصادر التاريخية وكتب الحسبة والنوازل على بعض الشذرات التي تعرفنا بهذه المهنة، ومن المعروف في نماذج تخطيط المدن الاسلامية أن المقابر عموما تقام خارج أسوار المدينة، لكن باتساع المدن أصبحت معظم المقابر داخل المدينة[4]،لكثرة السكان وبالتالي تكثر الوفيات، فيصاحبها كثرة مزاولي هذه المهنة، التي شدد المحتسبون في

---

(1) السقطي، م س، ص. 67.

(2) ابن عبدون ، م س ، ص. 31.

(3) البيت الساخن هي حجرة ضيقة طويلة مغطاة بسقف منحني وفيها يوجد صهريج المياه الساخنة في مكان مفنوح في الحائط ، أو في مدخل الباب وفي جانبه صهريج للمياه الباردة ، حول تصميم الحمامات وشكلها الهندسي ينظر :
Terrasse(H), **Trois bains merinides**, paris, 1950, pp 311_320 ,

(4) عصمت عبد اللطيف دندش،**طقوس الجنائز** ضمن كتاب **دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع**،دار الغرب الإسلامي تونس، ط1، 2009، ص. 210.

تقييد عملهم بقولهم: "**ويأمر حافروا القبور أن يعقوها قدرا حسنا بحيث لا تظهر روائحهم ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم وأن يستر ما خرج لهم من عظام الموتى في التراب ولا يتركونه ظاهرا**[1]، وقد وردت في كتب النوازل عدة مسائل تتعلق ببناء القبور ومدى جواز إعلائها وكذا بناء السقائف والقباب والروضات حولها وغيرها[2] ،وكان حافر القبر في كثير الأحيان يعلم بمكان الذي يرغب فيه أهل الميت، أو بناء على وصية الميت نفسه،فقد ذكر ابن عبد الملك أن أبا الحسن محمد بن عبد العزيز الشقوري (ت 579هـ) دفن بقبرة على قارعة الطريق إزاء قبر هارون بن سالم حيث قبر ابن حبيب وابن وضاح وذلك رغبة في التبرك بالدفن بجوار الصالحين[3]، فلا يجد حافر القبر إلا أن ينفذ رغبة أهله .

وأحيانا يضطر حافر القبور أن يدفن الناس بعضهم على بعض اذا ضاقت المقابر أو حصلت مجاعات وأوبئة تؤدي لكثير الوفيات[4]،وفي هذه الحالة يشترك الناس في حفر قبور موتاهم، لعدم قدرة الحافرين التحكم في هذه الظروف، وأحيانا ينبش قبر الميت لأسباب طبيعية أو من الحيوانات الضالة ،أو في حالات السرقة، وفي هذه الحالة يلزم على الورثة إعادة تكفينه ودفنه[5] ويستدعى ربما الحافر لأجل ذلك.

۞ السقاؤون:

---

(1) السقطي، م س، ص. 68.

(2) القاضي عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**،تح محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 308، المعيار المغرب ، ج7 ، ص. 469.

(3) ابن عبد الملك، م س، سفر 6، رقم 1037، ص. 387.

(4)ابن عبدون، م س ، ص. 26.

(5) الجزيزي ، م س ، ص. 350.

يقصد بالسقائين من يقومون بتوصيل المياه إلى المنازل والدور بواسطة البراميل وما شابهها من وسائل نقل، وتقديم المياه للمارة من أجل إرواء عطشهم بواسطة القرب (بكسر القاف) والأكواب[1]، وقد لعبوا دورا مهما في حياة المجتمع الذين يعملون على خدمته، فهم بالإضافة إلى أنهم كانوا عنصرا رئيسا بالنسبة للحياة الإجتماعية، فقد برزت قيمتهم في نقل الأخبار ونشرها بين أهل المنازل التي يتعاملون معها[2]

بالنسبة للإطار التنظيمي لهذه الحرفة، فقد كان واضحا مذ العصر المرابطي، فقد أشار ابن عبدون لذلك بقوله: " .**يجب أن يُحد لهم موضع يصنعون فيه قنطرة من ألواح ما يُحصر إليه النهر...فيكون موضع السقاية معلوما ولا يترك أحد يتسور عليهم**[3] كما روعي في ذلك النظافة لأن نقل المياه القذرة يؤدي إلى مالا يُحمد عقباه، وهنا نجد المحتسبين يراقبون السقائين لئلا يستقوا من أرجل الدواب على الحمأ والماء المكدر[4]

۞ المنادون:

---

(1)روجيه لوتورنو ،**فـــاس في عصر بني مرين**،ترجمة نقولا زيادة، فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت،1967، ص 82 .

(2)عبد الستار عثمان ، **المدينة الاسلامية** ، منشورات عالم المعرفة ، أوت 1988، ص 182.

(3)ابن عبدون ، م س ،ص. 32.

(4)ابن عبدون ، م س ، ص. 34.

ويسمون في النصوص المغربية والأندلسية بالبراحين، وبراحي حمام [1] ،ومهمتهم النداء في الأسواق والشوارع وغيرها، وقد وردت عدة أمثال شعبية كانت متداولة في القرن السادس والسابع للهجرة تصف هذه المهنة[2]،حيث كانت معروفة عند المرابطين فنجد ابن تومرت بعد عودته من رحلته إستقبله الناس يشكون ظلم الوزير، فتوسط ابن تومرت عند الأمير يحي بن فانو، الذي أمر المنادي أن يعلن للناس أنه من كانت عنده مظلمة عند الوزير فليقبل إلى دار الأمير[3]،وبقيت هذه المهنة سائرة عند العامة والخاصة في العصر الموحدي.

أما عن شروط هذه المهنة، فلم تتكلم المصادر عنها بالتفصيل، لكن من المنطقي أن يكون صاحبها جهوري الصوت عاليه، إضافة إلى أمانته في تبليغ ما كُلف به، والواضح أن العامة كان بمقدورها إستغلال المنادي نظير أجر معين، حسب المثل الأندلسي السائر[4] .

كما كان المنادي – بالمغرب والأندلس – في حالة الوفاة الطبيعية للناس، تعود أن يسير في أسواق وطرق المدينة يعلن عن الوفاة ومكان الجنازة[5]، ويقول الصلاة على الجنازة إذا كان المتوفى غريبا عن البلد[6] ،كما كلف أيضا بإعلان الخطوبة،

---

[1] يقصد ببراح حمام من بنادي في الأسواق معلنا عن افتتاحه، أو إرادة كرائه ، ويبدو أن كلمة حمام محرفة عن حماره، وهذا ما يؤكده المثل الشعبي المغربي الأندلسي: ***براح ومشى ليه حماره***، أي أن البراح بدون حماره لا يستطيع العمل إلا إذا بذل جهدا كبيرا ، أنظر: **الزجالي،** م س ، ص. 132، هامش 581.

[2] كقولهم : وزيادة في القراح قطعه البراح ... ، الزجالي، م س ، صص. 230، 390.

[3] البيذق ، **أخبار المهدي بن تومرت** ، ص. 62.

[4] المقصود به : أدخلت الزلال و أطلقت البراح ، الزجالي ، م س ، ص. 230.

[5] ابن الحاج ، **المــدخل** ، ج2، ص 226 ، الونشريسي ، **المعيــار** ، ج1، ص. 317.

[6] ابن عذارى، **البيان،** ق م ، ص. 391، الصومعي، كتاب المعزى، ص. 256,

عندما تنتهي مراسيمها، يطوف بالشوارع معلنا أن فلانا ابن فلان قد خطب فلانة بنت فلان[1].

وبالموازاة مع اشتغاله مع العامة، فقد كلف من طرف الخلفاء بإبلاغ الرعية، كوفاة خليفة من الخلفاء، وتولي آخر، ومطالبة الناس بالإنتقال من مكان لآخر أيام الحرب، أو خوفا من كارثة طبيعية[2]وغيرها من الأوامر والنواهي العاجلة.

۞ القصاصون والمهرجون:

عموما يتخذ القصاص أمكنة معروفة وتكون مكشوفة على مقربة من أبواب المدن يحكون على مسامع الحاضرين قصصا مشوقة وأخبار الحب والمفاخر التي قام بها سلفهم مصحوبين بآلة دف أو نفخ[3]، أما المهرجون فيقومون بحركات عجيبة غريبة أو مضحكة أو يعرضون الأفاعي والحربايات، مقابل دراهم يخرجها المتفرجون، من باب الإستعطاف فقط، وهمهم جمع دراهم من جيوب الناس.

۞ الحجامون والفصادون:

الحجامة لغة من حجم يحجم، والحَجْم فعل الحاجم وهو الحَجّامُ واحْتَجَم طلب الحِجامة وهو مَحْجومٌ وقد احْتَجَمْتُ من الدم[4] .

---

(1) الونشريسي ، م س، ج3، ص. 96.

(2) إبن الزيات ، م س، ص. 149.

(3) لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ص. 108.

(4) ابن منظور ، لسان العرب، ج 12، ص. 116 .

واصطلاحا: الحجامة هي المداواة والمعالجة بأداة أشبه بالكأس، يقال له المحجم يوضع على الجلد فيحدث به تهيجا ويجذب الدم بقوة [1]،وهي على نوعين، منها الضرورية وهي عند الحاجة، والثانية وهي ما توفر فيها عشرة شروط[2] .

وقد روى الإمام مالك رحمه الله تعالى في " الموطأ "عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: **"إحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حجمه أبو طيبة، فأمر له بصاع من تمر وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجه"** [3].

وقد عُرفت مهنة الحجامة في الحضارة الإسلامية على مر عصورها، بالمشرق والمغرب على حد سواء،وإن اختلفت النظرة إلى هذه المهنة بين محب وكاره، فالعلماء والفقهاء ينظرون إليها نظرة تقدير وإحترام، لأنهم يدركون أن هذه المهنة لم تخرج إلى الوجود إلا لحاجة أساسية طبية تتعلق بحياة الناس وصحتهم[4]، وحتى الخلفاء، كما فعل العباسيون أن جعلوا عيدا خاصا مثل بقية الأعياد أطلقوا عليه عيد الإحتجام، وفيه يهدي أصحاب المحتجم له الهدايا، ويعمل له أجود أنواع الطعام، تكريما لهذه المهنة الشريفة[5]، رغم أن العامة ينظرون إليها نظرة إزدراء وامتهان، ربما

([1]) ابن القف(أبو الفرج)، **كتاب العمدة في الجراحة**، مطبعة حيدر أباد بالدكن الهند، د ت، ج1، ص. 175.

([2]) **الشروط هي** : أن تكون في وسط الشهر ، أن تكون في الثلث من النهار ،وأن يكون استعمالها في زمن الصيف ، و يكون استعمالها فيمن كان دمه رقيقا، و أن تشغل المعدة قبل استعمالها بشيء من الأشربة المقوية لها، وتجنب لمن كان متخلخل البنية، تتجنب لمن دون السنتين وبعد الستين ، ويجنب استعمالها عقب الحمام ، أو عقب الجماع، او عقب الحركة المفرطة ، ابن القف ،م س، ج1، ص. 176.

([3])الخزاعي التلمساني ، م س، ص. 740.

([4]) صلاح حسين العبيدي، **الحجـــامون والفصـــادون ، نماذج من صورهم على الآثار العربية**، مجلة كلية الآداب ببغداد، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ،الجزء 26 ، 1979، ص. 148 .

([5])آدم متز ، **الحضـــارة الإسلامية في القرن الرابع هجري**، ص. 300.

لأن الحجامين بحكم مهنتهم وتنقلهم بين البيوت واحتكاكهم بين الأسر المتباينة في مستواها الإجتماعي، كانوا مدعاة لتسرب الأخبار، مما جعل الكثير ينظر إليهم نظرة عدم الثقة والإحتقار، إضافة لإلصاق تهمة كثرة الكلام والفضول واللؤم والفقر والحمق.

ولا يختلف الأمر كثيرا ببلاد المغرب والأندلس، فنجد ابن عبدون يحذر من هذه الفئة حين قال: "**يجب ألا يخلو حجام بإمرأة في حانوته، إلا أن يكون في السوق وفي موضع ينظر إليه وترمقه الأبصار**"[1]، مما يبين خوف العامة من سوء خلق الحجامين، الذين يبدو عليهم إرتكابهم لزلات أخلاقية جعلت الناس يهابونهم، وهو ما ذهب اليه كذلك معاصر الفترة ابن القطان حين ألف كتابه النظر في أحكام النظر، حين لاحظ إستهانة الناس بالأعراض بخصوص ما يجوز النظر اليه وما لا يجوز[2] .

ويبدو أيضا أن لهم حوانيت خاصة لأداء عملهم، ومن خلال أحد الأمثال الشعبية المتداولة بالأندلس والمغرب، قول العامة: بحال حانوت حجام أرفد المنديل وأدخل[3]، مما يؤكد أن محله ليست له أي هيبة، وهو متواضع في شكله وقيمته .

من خلال المعلومات الهزيلة التي وصلتنا عن هذه المهنة، يحق لنا أن نتساءل: لماذا تعتبر هذه المهنة مشينة إلى هذا الحد في بلاد المغرب والأندلس؟ في حين أعطاها

---

(1)ابن عبدون ، م س ، ص. 46.

(2)انظر ، ابن القطان الفاسي ، **النظر في أحكام النظر** ، تح الصمدي ادريس ، دار احياء العلوم ، بيروت، 1996، ط1،ص. 278 وما بعدها .

(3)الزجالي ، م س ، ص. 141.

المشارقة حقها وزيادة[1]، وهل يرجع ذلك إلى المهنة في حد ذاتها، أم أن مزاوليها هم من أساؤوا إليها ؟ .

إذا رجعنا إلى الأمثال الشعبية،وجدنا العامة تلصق التهم بالحجامين وتحط من قيمتهم كقولهم: "**يزيد في الحجامة عرك الاذنين**"[2] "**ويتعلم الحجامة في أعناق اليتامى**"[3]، وغيرها من الأمثال التي تحط من قيمة الحجام في حد ذاته، وليس لمهنته، والسبب كما يبدو أن مزاولي الحجامة كانوا من محدودي الثقافة والفهم، حتى اشتهروا عند العامة بكل نقيصة، وقد دلت كتب الحسبة قيامهم بأعمال أخرى غير الحجامة، كقلع الأسنان والحلاقة وغيرها بالرغم أننا لا نعدم بعض الإشارات ممن يحبون هذه المهنة غلى غرار قول الشاعر أبو بكر البكي (ت560هـ)، حين قارن بين الكتابة والحجامة :

قالـــــــــو الكتــــــابة أعــــلى   قلت الحجامة أعلى عند أقوام

لا تحسبوا المجد في طرس ولا قلم   المجد في صوفة أو مبضع دام[4]

أما بخصوص الأجر فيبدو أنه كان زهيدا وفي متناول العامة، ويعكسه الحالة الإجتماعية المزرية للحجامين .

---

(1) يقول أبو حامد الغزالي في هذا الصدد: فلا تعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات...فإن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل والحجامة ، فإنه لو خلا البلد من حجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك ،أنظر: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مطبعة الحلبي، مصر، ج1، ص. 23.

(2)الزجالي، م س، مثل رقم 2112، ص. 479.

(3)نفسه، مثل رقم 2099 ، ص. 477.

(4) الأصفهاني **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق الدسوقي وعبد العظيم، القاهرة ، 1964، ج2، ص. 669.

بالنسبة للفصد، فيقصد به تفرق إرادي خاص بالأوردة بآلة مخصوصة، والعروق المفصودة على نوعين: الشرايين أو ما تسمى بالعروق، والأوردة أو ما تسمى بالعروق غير الضوارب[1]،ولا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الاعضاء والعروق والعضل والشرايين، وللفصد أوقات معلومة وفيها أوقات اضطرار وأوقات إختيار، وعلى الفاصد أن يدرك جميع هذه التفاصيل[2].

۞ القومة وخدام المساجد :

تنحصر مهمة القومة في تنظيف المساجد كل يوم من الأوساخ ونفض حُصُرها من الغبار، وغسل قناديلها، وكذا إشعالها بالذكر والوقود في كل ليلة، وإغلاق أبوابها عقب الصلوات، وصيانتها من الصبيان والمجانين[3]ومراقبة كل من يتخذ المسجد لأغراض دنيوية، كالصناعة والبيع والحديث المنهي عنه، وفي الغالب يكون المحتسب هو المسؤول عن القومة، إبتداء من تعيينهم، ومراقبتهم، ولكن أحيانا نجد خدام المسجد تحت وصاية ناظر في الأحباس الخاصة بالمساجد، وقد أورد صاحب

---

(1)ابن القف ، م س ، ص. 167.

(2) وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَصْدَ لَهُ وَقْتَانِ: وَقْتُ اخْتِيَارٍ وَوَقْتُ اضْطِرَارٍ، فَأَمَّا وَقْتُ الِاخْتِيَارِ فَهُوَ ضَحْوَةُ نَهَارٍ بَعْدَ تَمَامِ الْهَضْمِ وَالنَّقْصِ، وَأَمَّا وَقْتُ الِاضْطِرَارِ فَهُوَ الْوَقْتُ الْمُوجِبُ الَّذِي لَا يَتَّسِعُ تَأْخِيرُهُ، وَلَا يُلْتَفَتُ فِيهِ إلَى سَبَبٍ مَانِعٍ. وَيَنْبَغِي لِلْمُفْتَصِدِ أَلَّا يَمْتَلِئَ مِنْ الطَّعَامِ بَعْدَهُ، بَلْ يَتَدَرَّجُ فِي الْغِذَاءِ وَيُلَطِّفُهُ؛ وَلَا يَرْتَاضُ بَعْدَهُ، بَلْ يَمِيلُ إلَى الِاسْتِلْقَاءِ؛ وَيَحْذَرُ النَّوْمَ عَقِيبَ الْفَصْدِ؛ فَإِنَّهُ يُحْدِثُ انْكِسَارًا فِي الْأَعْضَاءِ؛ وَمَنْ اُفْتُصِدَ وَتَوَرَّمَتْ عَلَيْهِ الْيَدُ اُفْتُصِدَ فِي الْيَدِ الْأُخْرَى، بِمِقْدَارِ الِاحْتِمَالِ ، **أنظر، الشيزري، م س، ص. 115.**

(3) ابن الأخوة، م س، ص. 171.

الوثائق وثيقة إستئجار لخادم مسجد، ويتولى هذا الأخير"**خدمة المسجد وكنسه والقيام بوقيده وفتحه واغلاقه، وحتى الآذان فيه إن لزم الأمر**[1].

۞ المغنون والموسيقيون:

أولا لابُد أن نشير إلى الإشكالية الفقهية التي تعرض إليها كثير من الفقهاء حول تحليل الغناء أو تحريمه: بين مُحرم، وبين من كرهه مع الإباحة، وبين من أباحه من غير كراهة[2]،ومن أشهر من خاض في الموضوع إبن حزم الأندلسي الظاهري في رسالته الشهيرة الموسومة بـ:" **رسالة في الغناء الملهي أُمباح هو أم محظور**"[3] رغم أنه ذهب الى تحليل الغناء من خلال تضعيفه للأحاديث المُحتج بها على التحريم.

والموسيقى حسب الفارابي"**صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسباتها وإيقاعها، والأصل فيها غريزة الإنسان خلقتها له الضرورة والرغبة الباطنة فتتلذذ بها عند طلب الراحة، أو تسكن بها الإنفعالات...**"[4]

أما الغناء فصناعة ليست من الصناعات التي إذا طلبها الانسان أمكنه معرفتها، وإن عني به معلم حاذق،"**لأنها تحتاج الى قوة في النفس قابلة لها، وطبع سلس، وسرعة لقن، ولطف تحصيل لغامض اجزائها...**"[1]

([1]) الوثائق، ص. 507.

([2]) ابن الجوزي، **تليس ابليس**، ص.255.

([3]) ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم**، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص.417ومابعدها.

([4]) الفارابي(أبو نصر محمد)، **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك، دار الكتاب العربي، القاهرة، ، ص. 33.

إشتغل بعض العوام في العدوتين بالغناء طلبا للرزق، وجعلوه مطية لعيشهم، وكانت الأفراح والأعراس مصدرا أساسيا لعملهم، ويفيدنا أبو بكر الطَّرطُوشِي (ت 520هـ) في كتابه "الحوادث والبدع" "**بأن المسلمين في الأندلس إستعاروا الألحان الصقلبية حتى في ترتيلات ا لقرآن مُقلِّدين رهبانهم وبالطقوس نفسها**[2] فما بالك في أغانيهم وقطعهم.

ويبدو أن حضور الغناء والموسيقى خلال العهد الموحدي كان أكثر حظا بالأندلس مقارنة بالمغرب، ولعل مرد ذلك إلى مجموعة من الأسباب أهمها "طبيعة الأندلسيين وميلهم للفكاهة والغناء، إضافة إلى الطبيعة الأندلسية الجميلة والخلابة، واعتدال مناخها ومائها وهوائها تجعل النفس أقرب الى الترف والدعة وحب التغني"[3] رغم أن المحتسبين قد نهوا عن ذلك في كثير من المواضع على غرار ابن عبد الرؤروف: "**ويؤمر بمنع اللهو على أنواعه في الأعراس وغيرها، كالعود وغيره، إلا ما كان من الدف العربي الذي هو شبه الغربال..**" [4]وسار مهدي الموحدين في هذا الطريق حين كان بفاس أمر بكسر آلات اللهو والسماع[5]ويبدو أن صدر الدولة الموحدية قد شاع فيها الغناء واللهو خاصة من طرف المغنيات، حيث لما "**سمع المنصور التساوي في الإنهماك**

---

(1) الحسن أحمد الكاتب، **كمال أدب الغناء**، تحقيق غطاس عبد الملك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1975، ص. 33.

(2) الطرطوشي(أبو بكر بن الوليد)، **الحوادث والبدع**، وعلق عليه: علي بن حسن، دار ابن الجوزي، ط1990،1، ص92.

(3) عمر ابراهيم توفيق، **صور من المجتمع الأندلسي**،دار غيداء للنشر والتوزيع،الأردن، ط2011،1،ص. 129.

(4) ابن عبد الرؤوف، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، ص.83.

(5) البيذق، م.س.،ص.12.

والإغترار...ونفاق سوق الغانيات، تنكر وغضب في الله لذلك المنكر، وأنفذ في ذلك المخاطبات إلى الأمصار[1] والأكيد أن مجالس الغناء كان يصاحبها مجالس خمر وعربدة وإختلاط، حتى صارت مجالس الغناء لا تتم إلا بهذه المنكرات، وهو ما دفع ببعض الخلفاء الموحدين المتورعين إلى مراقبة هذه المجالس ومعاقبة مرتاديها.

وكانت الأزجال إحدى النصوص التي اعتمد عليها المغنون والمغنيات في غنائهم، ولعل ديوان ابن قزمان[2] قد نال حصة كبيرة منها، ومن أشعاره التي اشتهرت عند المغنين نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

يا زهر، يا مليح يا خنار   من في جمالها تاهت لفكار   ات ه للغزال منك حزار

شمسي وزهرتي وهلالي   ودنياي وروحي   ومالي وغزالي....[3]

واشتهر زجالون آخرون كثر أمثال: عبد الغافر بن رجلون المرواني، وأبو الحسن علي بن جحدر، وأبو عمر الزاهد،وابن ناجية اللورقي[4]، حيث كانت أزجالهم تغنى في الأفراح. ويظهر بوضوح إمتزاج غناء النصارى الذين كانوا بالأندلس بغناء المشارقة فظهر طابع جديد جمع بين طابع مشرقي مغربي، مع بقاء الأسلوب الموسيقي لزرياب في بعض المناطق، ونشير إلى انتشار مؤلفات موسيقية ساهمت بشكل فعال في إنتشار

---

(1) ابن عذارى، **البيان المغرب. قسم الموحدين**، ص173.

(2) **ابن قزمان**: أبو بكر محمد بن عيسى ، ولد حوالي 480ه بقرطبة، يُعد إمام الزجالين بالأندلس، ولم يتفوق عليه أحد، اشتهر بديوانه المسمى إصابة الأغراض في ذكر الأعراض، الذي اشتمل على ازجال كثيرة لمختلف الأغراض الشعرية، توفي ابن قزمان سنة 555ه، أنظر، ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، ج1، ص167، ابن الأبار، **تحفة القادم**، ص.314.

(3) ابن قزمان، **الديوان**، ورقة 133.

(4) نوارة شرقي، **الحياة الإجتماعية..**، ص.172 .

الموسيقى والطرب بالغرب الإسلامي على غرار: "**أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 651هـ) وأبي الحسين بن الحاسب المرسي الذي برز في حدود عام (600هـ**") [1]وهذا ما ساعد على رسوخ كثير من النصوص التي وصلتنا في الأنغام، وحتى في تطور الآلات الموسيقية الكثيرة التي كانت شائعة، سواء العازفين والعازفات، كالقيتارة والدف والمزمار والعود، وآلات وترية على منوال الرباب والقانون وغيرهم، ويصور لنا المستشرق ليفي بروفنسال صورة حية لعمل الموسيقيين بالأندلس خصوصا حيث" **تتألف الموسيقى من الْمـغني تصحبه فرقة فيها، وترى عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات، أما المقطع فيغنيه المغني مع الموسيقى، وأما المركز المتكرر فيردده الحضور جميعا مقاطع**[2].ولكن هذا النموذج لا يختلف في شكله بأرض المغرب ولاعجب أن تركز المصادر على ذكر الأندلس لأنها على حد قول إبن خلدون "**أنها تصدر الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب**"[3] وانعكس ذلك من خلال التأثير الواضح في العدوة المغربية التي تغنى أهلها بالألحان الأندلسية وهو ما يبين أن بعض الصناعات قد نقلت من الأندلس إلى المغرب، منها صناعة المغنى إن جاز أن نطلق عليها صناعة، رغم أن كثير المصادر تصفها بالصناعة هذه بعض المهن والصنائع التي تبدو ضرورية في مظهرها، أو خدماتية يستفيد منها المجتمع إذا مورست بالشكل السليم الناجع، رغم أن هناك صناعات أخرى كثيرة، زراعية كانت أو تحويلية، معاشية كانت أو كمالية، كان فيها التأثر والتأثير بين العدوتين أوضح وأجلى، وهو ما سنفصل فيه في الفصل اللاحق.

---

(1) أوين رايت، **الموسيقى في الأندلس**، دراسة شاملة، ضمن كتاب : **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، جمعت نصوصها: سلمى الخضراء الجيوسي، ج1، ص.817.

(2) ليفي بروفنسال، **محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها**، ترجمها إلى العربية: محمد عبد الهادي شعيرة، راجعها: عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، مصر، القاهرة، 1951، ص24.

(3) ابن خلدون، **المقدمة**، ص379.

الفصل السادس:

الصنائع بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي

تمهيد

المجلدون

المذهبون والمزخرفون والمزوقون

المصحفيون والخطاطون والنساخون والوراقون والصناعات الورقية .

صناعة البناء والهندسة المدنية

الصناعات العسكرية

صناعة السفن

صناعة النسيج

صناعة الزجاج

صناعة الفخار والخزف

صناعة الخشب

صناعة السكر والعقاقير

صناعة الزيوت والصابون

صناعة الجلد

الصناعة المعدنية

الصناعة الميكانيكية

اعتبر سكان الغرب الإسلامي عموما الصنعة شرفا عظيما، وجب تعلمها وإتقانها[1]، وهي من قوام الحياة كما وصفها لنا الإشبيلي بقوله **"ولما كانت الصنعة أشرف شيء يتعلمه الإنسان، بعد علمه بمسائل دينه ومحابل شريعته ... كي يحرص الطالب على الطلب، ويكون له فيه عمل معيشته أجمل السبب...**[2]

إضافة للتعلم لا يمكن إغفال دور الفن في الصناعات، لأنه يلعب الدور الأبرز في إظهار جمال الصنعة، لأن الشائع أن لكل صناعة لمساتها الفنية الضرورية والكمالية، لذلك تجد الصانع المسلم عموما يتجه إلى إبراز المظهر الخارجي للأشياء ليزيد في جمالية صنعه[3]، مقتديا بقول رسولنا الكريم، الذي حضنا على إتقان العمل والصنع.

ولا عجب أن يحفظ لنا التراث عشرات بل مئات التحف الفنية التي أبدع فيها الصناع وتفننوا في إخراجها لتكون تحفا فنية جميلة، تعود الى العصر الموحدي، الذي يُعتبر حالة فريدة في التنوع والرقي، منها ما اقتضت اليه الحاجة المعيشية، أو الضرورية للدولة، ومنها ما كان زائدا عن الحاجة،وأيُصنف في خانة الترف والدعة، خاصة عند الخلفاء والسادة الموحدين.

ومن المهم أن نشير أن الُصناع حسب ما أوردتهم كتب الحسبة والنوازل ينقسمون غالبا الى فئات أساسية: منهم الصانع الخاص الذي يقوم مالك العمل باستئجار عمال يشتغلون تحت إشرافه وفي محله أ و مصنعه، ونوع ثان، وهو الصانع الُمشترك[4] وهو

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش ، **إضاءات**، ص. 85.

(2) الإشبيلي ، **التيسير في صناعة التسفير** ، ص. 41 ، أنظر النص كاملا : الملحق رقم 1.

(3) عبد المنعم عباس، **الحس الجمالي وتاريخ الفن**، دار النهظة، مصر ، ط1 ، 1998 ، ص. 222.

(4) المعداني(الحسن بن رحال)، **كشف القناع عن تضمين الصُناع**، تحقيق محمد أبو الاجفان، الدار التونسية للنشر،تونس، 1986، ص. 75.

ليس بأجير عند رب العمل، بل هو شريك، ونوع ثالث وهو الصانع المتجول، وليس قارا في مكان، وهو يتولى عملية الصناعة والبيع المتنقل، حسب الرواج، والعرض والطلب.

كما أن أرباب الصنائع كانوا يضعون أبناءهم أو أقربائهم تحت التمرين، من أجل إكتساب أصول الصنعة، إذ لابد من المشاهدة والرؤية[1] لترسيخ الملكة، وهو ماجعل كثير الصنائع وراثية.

وسنحاول في هذا الفصل الوقوف عند أهم الصناعات التي عُرفت في العهد الموحدي وأفصحت عنها المصادر في ثناياها، أو فصلت في حيثياتها، أو خصائص عامليها، والملاحظة الأكيدة أن هناك فروقا لا محالة في الحضور الصناعي بين العدوتين، على الأقل من الناحية الكمية في المصادر المتاحة، مما سيجعل الكفة تميل أحيانا كثيرة إلى الضفة الاندلسية، وسنأتي على تفاصيلها في موضعها.

---

(1) الإشبيلي، م س، ص. 11، أحمد المحمودي، **عامة المغرب الأقصى**، ص. 55.

۞ المجلدون (المسفرون):

المُجلد هو من يعمل في صنعة التجليد، وهو مصطلح مشتق من الفعل جَلَّدَ، و"جلد الكتاب، ألبسه الجلد"[1] ويستخدم هذا المصطلح في المشرق كافة، أما في المغرب فقد استخدم مصطلح "التسفير[2]،" وهو مشتق من الفعل سفر، أي كتب، يقال "سفر سفرا، وسفر الكتاب كتبه، والسفر جمع أسفار وهو الكتاب الكبير، وجزء من أجزاء التوراة،" ويطلق على العاملين في هذه المهنة: **المجلدون**، والمفرد مجلد، وفي بلاد المغرب والأندلس: **المسفرون**، والمفرد مسفر، والملاحظ عند الوهلة الأولى لتاريخ هذه الفئة أن المؤلفات التي وصلتنا لا تعكس الدور الكبير الذي لعبه المجلدون،خاصة في بلاد المغرب والأندلس، باستثناء النزر اليسير[3].

وكان لتجليد المخطوطات الأثر الكبير في حفظ الكثير من الكتب والمؤلفات النفيسة لفترة طويلة، وعلى الرغم من أن التجليد بدأ ساذجا بسيطا، شأنه في ذلك شأن كل حرفة في أطوارها الأولى، إلا أنه تطور فيما بعد أيما تطور، فلم يكن الهدف من

---

(1) القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج1 ، ص. 48.

(2) يبدو من صيغة إسم التسفير ووزنه أنه من مقاييس الأمازيغية، رغم جذرها العربي، مثل حدادة وتاحدادت ونجارة وتنجارت، وغيرها، وقد وجد بمراكش العاصمة مسجد صغير يعرف بجامع تاسفرت ، وقد أكدت الروايات على وجود حوانيت خاصة بأعمال التسفير داخل المجال الذي يشمله المسجد ، حول الموضوع، ينظر، محمد رابطة الدين، **مراكش على عهد الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان**،ص.430 وما بعدها.

(3) مثل كتاب **التيسير في صناعة التسفير**، لبكر بن إبراهيم الإشبيلي (ت 628هـ)، ومنظومة **تدبير السفير في صناعة التسفير** لإبن أبي حميدة ('عاش بعد سنة 737هـ)، وكتاب **التدبير في صناعة التسفير**، لمجهول، وكتاب **صناعة تسفير الكتب** لأحمد بن محمد السفياني(ت بعد 1029هـ) ، وفصل في صناعة التجليد وآلاته للمعز بن باديس الصنهاجي(ت454هـ)، في كتابه **عمدة الكُتاب وعدة ذوي الألباب**، اضافة لكتاب مقالة في التسفير لابن القطان والذي ورد ذكره في المصادر الموحدية غير انه لم يكتشف نسخة منه بعد.

التجليد صيانة الكتاب فحسب، بل كان يراد من الجلد ذاته أن يكون تحفة فنية[1]وتحول من مجرد كسوة للكتب إلى فن جميل، يدخل في عداد الفنون الجميلة العربية التي عرفت بالأرابيسك[2]، وانتقل من المشرق إلى المغرب، وفاق المغاربة نظرائهم المشارقة هذا الفن، وتعود الطفرة النوعية لتطور التسفير في العهد الموحدي للإهتمام البالغ من طرف الخلفاء، وما كتاب الإشبيلي إلا دليل على ذلك، حين أفرد كتابا خاصا لهذا الغرض، وأعطى عبد المؤمن بن علي تقليدا فريدا حين احتفل بالمصحف العثماني الذي وصله كهدية من أهل قرطبة[3]، فصنع له خزانة وأغشية تكريما له، يقول الوزير ابن طفيل في هذا الصدد:«**فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين ممن كان بحضرتهم العلية أو سائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظَامين الحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة أو إلى الحذق في صناعة إلا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه**»[4]

فدور المجلدين في هذا العمل كان محوريا، كون عملهم يجتمع فيه الجانبان الصناعي والفني، فالصناعي المتمثل في عمليات الصنعة وإجراءاتها، والفني المتمثل في

---

[1] عابد سليمان المشوخي، **أخلاقيات مهنة الوراقة في الحضارة الإسلامية**، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، 2003 ص. 417.

[2] بكر بن إبراهيم الإشبيلي، **كتاب التيسير في صناعة التسفير**، تقديم: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السابع والثامن، 1959- 1960، ص. 1- مقدمة المحقق .

[3] يرى كثير من العلماء المسلمين أن تحلية المصحف بالذهب غير جائز كما قال ابن عباس، و الأجدر أن تفرق تلك الأموال على الفقراء والمساكين، فذلك أنفع ، انظر: **الموسوعة الفقهية الميسرة**، مصر ، ط1 ،1988، ص222.

[4] المقري(أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ط1، 1968 م، ج1 ص. 611.

زخارف الأغلفة وتذاهيبها، ولا يستبعد أن يكون بكر بن إبراهيم[1]أحد المشاركين في تلك التحفة الفنية النادرة، مما يدل على مدى حرص الموحدين على جلب هذه الصنعة إلى المغرب، بحكم تطورها في الأندلس[2]، حتى صارت حرفة لكسب الرزق[3]

أما عن وسائل العمل عند المجلدين، فقد استعملوا المقراض والمسلات وأنواع الغراء والخيوط المفتولة، والجلد، وأدوات النقش، والسكاكين والمقارض، والمسنات والشفرات والمعصرة والأمقاص، وغيرها[4]من الأدوات التي فصلت فيها المصادر المتخصصة .

ويبدو واضحا أن المجلدين في الغرب الإسلامي قد استفادوا أيما إستفادة من نظرائهم المشارقة، وخاصة العراقيين الذين كان لهم شأن في هذه الصنعة[5]ويبدو ذلك من خلال إشارات المؤلفين، واستئناسهم في كثير من المواضع برأي أهل المشرق، وطريقة عملهم، رغم أن لمستهم المغربية لا تخفى على دارس، والنماذج التي وصلتنا خير دليل .

۞ المذهبون و المزخرفون والمزوقون :

---

(1) بكر بن إبراهيم بن مجاهد اللخمي من أهل اشبيلية، يكنى أبو عمرو، أديب وشاعر، إضافة إلى علمه بالتسفير، وكان يحترف بتسفير الكتب، توفي باشبيلية عام -629هـ- **جذوة الاقتباس**، ص .243.

(2) محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدر البيضاء ، ط1، 1989، ص. 160 .

(3) **جذوة الاقتباس**، ج1، ص. 169.

(4) للمزيد عن أصول الصنعة، العودة لكتاب التيسير في صناعة التسفير وكتاب عمدة الكُتاب، فصل المجلدون وعملهم

(5) المعز بن باديس التميمي، **عمدة الكُتاب وعُدة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد**، قدمه وحققه نجيب مايل الهروي، مجمع البحوث الاسلامية، إيران، ط1، 1409هـــ ، ص. 97ومابعدها .

إذا كان فن التسفير مرتبطا بالكتب والمجلدات على اختلاف أنواعها، فإن فن التذهيب[1] والزخرفة والتزويق قد ارتبط إرتباطا وثيقا بالقرآن الكريم ورسمه، الذي يعتبر من أسس الهامة التي قامت عليها الفنون الإسلامية[2]،وكان تنظيم القرآن الكريم يبعث في نفوس الفنانين الرغبة في تذهيب المصاحف[3]،كما كان الخطاطون يتركون مساحات خالية من الكتابة لكي يملأها المذهب بزخارف نباتية أو هندسية يظهر فيها الإبداع الفني[4] والذي دون شك كان من سمات الفن الموحدي المائل إلى التجريد في شكله من بداياته الاولى[5].

ويعتبر القرن السابع أوج مرحلة في تطور التذهيب، حيث كان جاريا من قبل تذهيب الصفحات الأولى والأخيرة للمصحف، فصارت تذهب فهارس الصور والآيات، وأنواع أخرى من الألوان والتزويق والزخرفة، أعطت للصفحات الأولى من المصحف رونقا

---

(1) بينت المصادر كيفية صفة حل الذهب، ومن بعض طرقها أخذ ورقة الذهب الذي يكتبون به وإفراكه فركا جيدا، حتى يتهيأ هذا إذا كان الذهب قليلا، وإن كان كثيرا كمثقال أو مثقالين، يُفرك في صحن مزجج واطئ القعر، وبعد إختلاطه بالعسل، يُدلك بعود حتى يتهيأ جيدا ويُفرغ عليه الماء ويُحرك ثم يُترك هنيهة ويُصب عليه الماء في آنية اخرى مزججة، ويُترك الماء ليلة كاملة فإذا أصبح وُجد ما سال من الذهب مع الماء ملتصقا في قاع الإناء على الزجاج والماء والعسل، ثم يُهرق الماء ويبقى الذهب،وبعد ساعة يوصف في الآنية التي يراد الكتابة فيها، أنظر، أبو العباس أحمد بن محمد السفياني، **صناعة تسفير الكُتب وحل الذهب**، جمعه مسيو ريكار مدير متحف الآثار، فاس، المكتبة الشرقية، باريس، 1925، ط2، ص. 21 وما بعدها .

(2) شادية الدسوقي، **فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية**، دار القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص. 09.

(3) زكي محمد حسن، **فنون الإسلام**، مكتبة النهضة العربية، مصر، ط1 ، 1948، ص. 160.

(4) أبو صالح الألفي، **الفن الإسلامي**، المطبعة العالية، القاهرة، 1966، ص. 229 .

(5) محمد الطيب عقاب، **لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2002، ص. 28 .

جماليا ومساحة واسعة للذهن في الإبداع في هذا الفن[1]، وقد احتفظ لنا جامع الكتيبة بمراكش بغلاف مذهب (أنظر في الملاحق) يحمل تاريخ صنعه 654هـ/1206م[2]، ويبدو التأثير الأندلسي واضحا فيه من خلال التزويق بالتسطير الجميل[3]،وهو بدوره متأُثر بالمشرق، من خلال اللمسات الكوفية عليه[4]،ويفهم من خلال الأجزاء المتبقية لبعض الربعات القرآنية التي بقيت شاهدة كالمصحف الذي كتبه الخليفة المرتضى في عشرة اجزاء وقام بدراستها "Prospere Ricard " من زاوية: **فنية الحضور المتوازن لجمالية الشكل والمظهر،** من عناية بالمقاييس واهتمام بالغ بالزخرفة وبالتوزيع الفني لمساحة الغلاف، وتوزيع المادة الفنية من زخرفة هندسية ونباتية وخطية وتذهيب ونقش ومساحات الظل والضوء، يضاف له إحكام الصنعة، والدليل بقاء هذه التحف إلى يومنا[5]،منها كتاب موطأ ابن تومرت المذهب في رق غزال، والمحفوظ في مكتبة القرويين بفاس، وللأسف لم نقف على أسماء كثيرة لمذهبين ومزخرفين في كتب التراجم، إلا القليل، كأبو الحسن يحي بن محمد القيسي القرطبي المذهب المصنع، ومن خلال زخرفة أوعية مصحف عثمان الذي أمر عبد المؤمن بتحليته، يظهر تطور الصنعة بشكل لافت .

---

[1] حسين جهاد الحساني، **زخرفة وتذهيب المصاحف عبر القرون،** مجلة ينابيع، العدد 32، شوال 1430 هـ، العراق، ص. 19 .

[2] محمد عبد العزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية،** ص. 134، أنظر صورته في الملاحق .

[3] السعيد بنموسي، **تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات،** شركة بابل للطباعة والنشر، المغرب الأقصى، ط2 1994، ص. 48 .

[4] حسين جهاد، نفسه، ص. 22.

[5] أنظر صورة من المصحف في الملاحق.

۞ المصحفيون والخطاطون والنساخون والوراقون:

من خلال ما وصلنا من رصيد هائل من المصاحف والكتب والمؤلفات الموحدية (إضافة الى ما فقد أو أتلف أوضاع) ندرك مدى الإنتاج الغزير الذي دأب عليه أصحاب الأقلام، والذي مرده دون شك الى ' الاهتمام الخاص من الخلفاء الموحدين أنفسهم'، والذين كانوا يجيدون الكتابة بأكثر من خط، وصاروا يستأدبون لأبنائهم معلمين خطاطين[1]وبلغ بالخليفة المرتضى الموحدي الذي كان يكتب بثلاثة خطوط أن كان ببلاطه ديوان خاص للنساخين، وله مسؤول يشرف على الديوان، وبرز من أبناء عبد المؤمن ثلاثة عشرة خطاطا، من بينهم عمر الذي مدحه الشاعر ابن مجير (ت588هـ) بقوله:

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا نكر على السحب أن ينبأن أزهارا

خط هو السحر لكنا ننزهـــــه ونجعـــل القلم النفاث سحارا[2]

ويميز المختصون في الخطوط **"المرحلة المغربية"** والتي كانت في العصر الموحدي تحديدا، حيث انتقل فيها الخط الأندلسي الى المغرب، وصار يتطور حتى تميز عن الخط الأندلسيوأصبح يـ ُعرف بالخط المغربي أو خط المغاربة[3]

---

[1] محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، الرباط، ط1، 199، ص.28.

[2] التجيبي(أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي)، **زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر**، إعتنى بنشره والتعليق عليه: عبد القادر محداد، بيروت، 1939، صص. 09-10 .

[3]عمر أفا ،محمد المغراوي، **الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،مطبعة النجاح الجديدة، المغرب الأقصى، 2007، ص. 35.

واختص الكوفي المغربي والكوفي القيرواني لكتابة سور القرآن والخط المبسوط لكتابة المصاحف، كالصفحة القرآنية التي كتبها الخليفة الموحدي عمر المرتضى عام 654هـ/1256م[1]

والخط المجوهر للتدوين وكتابة الظهائر مع التوقيع بالثلث، واستعمل خط المسند في التقاييد[2]كما استخدم الخطاطون والمزخرفون خط الثُلث الكوفي والثُلث الزُخرفي في كتاباتهم على الخشب، ويظهر ذلك جليا في أحد جدران قصر الباهية بمراكش، وكذا جامع القرويين بفاس[3] مما يبين أن الخطاطين قد اشتغلوا مع المصحفيين والمهندسين والبنائين وغيرهم، وكتبوا على رق الغزال وعلى أبواب المدن وفي الجبس وعلى جدران المساجد والمدارس وعلى القبور والأضرحة، والأحجار وغيرها[4]، واستعان الخلفاء الموحدون بالخطاطين لمهام أخرى، كعمل السكة والخواتم والسيوف، كما حصل لأبي يعقوب يوسف عندما نقش على سيفه: لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين[5]ونقش المنصور على خاتمه : على الله توكلت[6]والناصر: على الله توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل[7] إضافة لتأسيس **دار الطراز** أواخر العهد الموحدي، وظيفتها تطريز اللباس الرسمي للخليفة،إما بكتابة اسمه، أو علامة تختص به،

---

(1) أنظر صورة الصفحة في الملاحق .

(2) أنظر في الملاحق صورة وثيقة وقفية مكتوبة بالمسند محفوظة خ ع ر، ج1278 .

(3) مازالت الى يومنا هذا .

(4) عمر افا ، نفسه ، ص.57 .

(5) **المن** ، ص. 270.

(6) ابن أبي زرع ، م س ، ص. 216.

(7) نفسه ، ص. 231.

والكتابة تكون بخيط من الذهب وما يخالف لون الثوب[1]، ويشترك الخطاط في هذه العملية .

بالنسبة للمصاحف، لحسن الحظ وصلتنا مجموعة قيمة من صفحات المصاحف، يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع هجريين، نذكر منها:

- مصحف ابن غطوس[2]المكتوب بالخط الاندلسي المبسوط[3]سنة557هـ/1162م،

(انظر صورة من المصحف في الملاحق)

- مصحف آخر لنفس الخطاط: كتبه على الرق سنة 558هـ/1163م (يوجد المصحف بالمكتبة الوطنية بتونس)، ومصحف آخر لمحمد بن موسى بن حزب الله: الذي كتبه سنة 559هـ/1164م (يوجد المصحف بمكتبة المعهد العالي يتطوان)،ومصحف كتب سنة 595هـ/1198م،(يوجد المصحف في مجموعة خاصة بولاية المدية) ، وهو مكتوب على الرق بالخط الاندلسي المبسوط[4]وفي القرن السابع لابد أن نذكر مصحف الخليفة المرتضى[5] الذي كتبه سنة 654هـ/1156، في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر هو متناثر في المكتبات والمتاحف، يستنتج أن الوراقين في الأندلس وحتى في المغرب إتخذوا كتابة

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ص. 286.

(2) عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الانصاري يعرف بابن غطوس، روى عن ابن هذيل هو وأخوه، واشتهر بالإتقان لضبط المصاحف وعني بذلك أتم العناية مع براعة الخط وحسنه، انظر، ابن الأبار، **التكملة**، ج2، ص577.

(3) المصحف تحتفظ به دار الكتب والوثائق المصرية،.

(4) انظر صورته في الملحق .

(5) أمير المؤمنين عمر بن السيد بن ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، الموحدي كنيته ابو حفص ولقبه المرتضي (ت 656هــ) ، كان محبا للزهد والتصوف وكانت ايامه ايام امن ودعة لم ير اهل مراكش مثلها ، ابن ابي زرع ، م س، ص. 187.

المصاحف كصناعة شريفة ورثوها أبا عن جد، واشتهر منهم محمد ابن غطوس الذي ورفض تسطير حرف لغير المصحف، حتى قيل أنه كتب ألف مصحف[1] أو يزيد.

كما خلا الخط المغربي من قواعد خاصة به تحفظه، مقارنة مع الخط الاندلسي الذي تأثر بدوره بالمصاحف المشرقية، كما أن عدد النساخين كان معتبرا في القرنين السادس والسابع هجري خصوصا بالأندلس، فقد كان عددهم بمدينة بلنسية وحدها ثمانية وعشرون نساخا، وباشبيلية ثلاثة عشرة نساخا، وبقرطبة اربعون نساخا[2]

وبالرغم من نسبية هذا الإحصائيات، فلا ريب أن أعدادا مماثلة كان منبثا في مدن أخرى، على غرار مراكش وتلمسان وفاس وبجاية وغيرها من الحواضر المغربية، التي نفق فيها سوق الكتب والنساخين، في الوقت الذي تنافس فيه المؤلفون على الكتابة، وجالت كتبهم بين مختلف الأقطار ووصلت الى آماد بعيدة.

۞ الصناعات الورقية :

صناعة الورق هي من توابع العمران، وإتساع نطاق الدولة، حيث تكثر التآليف العلمية والدواوين،[3] ويعد العصر الموحدي العصر الذهبي لصناعة الورق، حيث كانت أوربا في هذه الفترة (باستثناء اسبانيا) ليس بها ولا معمل واحد لصناعة الورق، وأنشأ أول معمل بشاطبة[4] حوالي سنة 1150م، ونلاحظ في هذا المقام أن ورق مخطوطات

---

(1) **كتابة المصاحف في القرن السادس هجري**، ص. 284.

(2) ابن عبد الملك، السفر 5، ق2، ص. 506.

(3) ابن خلدون، **المقدمة**، ص.467.

(4) شاطبة jativa مدينة في شرقي الاندلس، تقع في مقاطعة بلنسية، وفي حوض نهر البيضاء شرقي اسبانيا، أسسها الايبيريون، وعرفت المدينة في الفترة الاسلامية إزدهارا كبيرا ،وعُرفت في أوربا كمهد لصناعة الورق، أبو الفدا، **تقويم البلدان** ، ص. 169وما بعدها .

برشلونة المكتوب عليه معاهدة السلم بين ملكي أرغونة وقشتالة مصنوع في شاطبة الذي ذكره الإدريسي سنة 1178م[1]، وقد تطورت هذه الصناعة لعاملين مهمين:

الأول: الحاجة الملحة للورق لتقييد شؤون الإدارة والرسائل والدعاية الموحدية[2] .

الثاني: عظم الإهتمام بالكتب، وانتشار مكاتب العدول (التوثيق) [3]

لهذه الأسباب وغيرها زاد الطلب على الورق، وجلبت المواد الخام بكثرة لتصنيعه، فزاد إنتاجه بشكل لافت، وكثرت أماكن صناعته، ويكفي أن نذكر أنه كان بفاس أيام المنصور والناصر حسب الجزنائي أربعمائة حجر لعمل الكاغد[4]وتفنن صانعوه، حتى أن أحد المغاربة كتب إلى الكامل الأيوبي رقعة في ورقة بيضاء، إن قُرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قُرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قُرئت في الظل كانت حبرا أسودا[5]مما يُعطي إنطباعا لا شك فيه عن مدى التطور والأبهة والترف إبان العهد الموحدي.

۞صناعة البناء والهندسة المدنية :

نظرا لحركة البناء والتعمير التي شهدها العصر الموحدي، كان حضور فئة البنائين لافتا، وقد عُرفوا بأسماء عديدة: كأهل الهندسة والعرفاء والفعلة، ويندرج معهم الكلاسون والآجوريون وصانعوا الزليج وغيرهم[6]وقد أدرك الخليفة الأول عبد المؤمن

---

[1] حول الموضوع يُنظر، إبراهيم سليمان عيسى، **العلماء المسلمون وفضلهم في علوم الأحياء**، دار الكتاب الحديث، القاهرة ، ط1 ، 1999، ص. 113.

[2] عز الدين موسى، م س، ص.211.

[3] أحمد جمال طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين**، ص.212.

[4]، **نفسه** ، ص.230، أنظر النص كاملا في الملاحق (إحصاءات مدينة فاس).

[5] المقري ، **النفح**، ج4 ، ص. 327 ،عبد الصمد حمزة، **اقتصاد المغازي** ..، ص. 96.

[6] إبن ابي زرع ، م س، ص. 69.

المؤمن ثقل ومكانة هؤلاء، فنجده ينقل الخبرة الأندلسية إلى المغرب للإستفادة من خبراتهم، عندما استقدم من الأندلس خبراء البناء على غرار الحاج يعيش المالقي، الذي أمره بصناعة مقصورة هندسية بالمسجد الجامع[1]

وأحدثت البناءات المشيدة من طرف الموحدين إكتساب عديد المدن صفة الحضارة والتمدن، على غرار مكناس التي تطور بها العمران بشكل لافت من منازل وحمامات ودار الإشراف وغيرها[2]وكذا فاس وتلمسان وغيرها، ولا أدل على الزخم العمراني والمعماري وكثرة المنشآت والمدن ما قرره ابن عذارى حين وصف مراكش أنها "**صارت أوسع البلاد معاشا وأكثرها خلقا، فضاقت بالناس فلم يجدوا موضعا للبناء**" [3].

ويبدو بوضوح أن عطايا الخلفاء وإحسانهم إلى الفعلة والبنائين كان له الدور الأمثل والفعال في إتقان صنعة البناء، فقد كانوا يجيرون البنائين والصناع من بركات وخيرات كثيرة حين يستحسنون ما صنعوا ويستقر في إفهامهم فانطبعوا[4]على كثرة العطايا والإحسان.

وتتمثل مهام البنائين في العموم في حفر أساسات الدور وبناء الأسوار وأدراج السلاليم، ومد السقوف وتركيب الأبواب والنوافذ، وبناء القرميد، وتلبيس الجدران،

---

[1] ابن صاحب الصلاة، م س، 139، مجهول ،**مجموع رسائل موحدية**، ص97، سامية مصطفى محمد سعد، **الحياة الإقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2003، ص. 125.

[2] ابن غازي ، م س، ص. 70.

[3] ابن عذارى، م س، ص. 153.

[4] ابن صاحب الصلاة، م س، ص. 171.

وتثبيت الشبابيك، وتجليل الحيطان[1]، والواضح أن أعمال البناء في القرن السادس والسابع تميزت بالبساطة في معظمها، لأنها تعتمد على المهارات اليدوية، ويلجأ في الغالب إلى مستأجرين يتميزون بطاقاتهم العضلية لتلائم عمليات الحفر وحمل ونقل مواد البناء، وتعامل البناؤون حتما مع عاملي الآجر والزليج، واستخدم صانعو الجير تقنيات حفر الصخور وطبخها في الأفران أو الكوشات التي تبنى في موقع استخراج الصخور[2]واستعمل البناؤون كذلك الجبص والجص في الأرض وجنبات الجدران لمنع تسرب الرطوبة خاصة في الأفران والحمامات، وأماكن وجود الماء بالبيوت[3]، وما يلاحظ أن الخلفاء الموحدين إستعانوا بالبنائين المهرة من أصقاع الأندلس لينقلوا خبرتهم إلى البنائين المغاربة، كما ذكر ابن فتوح في وثائقه أنموذجا لعقد استئجار البناء والحفار، يلتزم فيه هذا الأخير بحفر الأساس، وبناء حيطان الطوب، والتسقيف بالقرميد، ويبني على أسطوانها غرفة، حدد العقد إرتفاعها وأبعادها[4]وهي عقود لجأ إليها العامة لبناء بيوتهم وفق الطراز المغربي أو الأندلسي عموما[5]

۞الصناعات العسكرية : تطورت الصناعة العسكرية بشكل لافت وغير مسبوق في العهد الموحدي[6]، والدليل العدد الكبير من مصانع السلاح في كامل تراب الدولة ،

---

[1] عبد اللطيف خلابي، م س، ص. 228.

[2] نفسه، ص. 229.

[3] انظر، عبد الرزاق أزريكم، **أغمات وما اليها بالعصر الوسيط**، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993/1992م، ص. 248.

[4] وثائق المرابطين والموحدين، ص. 497،(أنظر الملحق).

[5] هناك فروق هندسية واضحة بين الطرازين المغربي والأندلسي، فالأخير يتميز بلمسة جمالية واضحة ، أبدعها المهندسون الأندلسيون الذين ما فتئوا أن نقلوا انموذج البيت الأندلسي إلى العدوة المغربية .

(6) إعتبر أحد الباحثين أن الصناعة الحربية هي الصناعة الوحيدة التي توسعت في العهد الموحدي، ويبدو أن هذا الحكم مبالغ فيه، والدليل ما نلاحظه من تطور لصناعات أخرى كثيرة، أنظر، توفيق مزاري عبد الصمد، **التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين،** منشورات المكتبة الوطنية المغربية، صص. 92 – 106.

، يذكر السلاوي أن عبد المؤمن لما أراد غزو بلاد الافرنج سنة 557هـ **"نظر في استجلاب الخيل للجهاد والإستكثار من أنواع السلاح والعدد، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يُضرب له منها في كل يوم عشرة قناطير جدية**[1]وإن كان هذا الرقم كبيرا، فهو دال على الإهتمام الكبير بضرب السلاح[2] كما أمر عبد المؤمن كذلك قبل وفاته بصناعة النبال، وقد وصل إنتاجها إلى عشرة قناطير في اليوم[3] إلى جانب السلاح كان إعداد الخيل، فقد كان للموحدين صُناع مهرة في صناعة السروج واللجام.

۞ صناعة الرايات والطبول:

إن رفع الراية عند الجيوش يحمل دلالات معنوية ضرورية، فهو عنوان صمود الجيش وتفوقه وهو من جهة ثانية وسيلة من وسائل الإنفصال السياسي وإعطاء الشرعية للمنفصلين[4]ولم يتخلف الخليفة الأول عبد المؤمن عن الإستكثار من الأعلام الأعلام والرايات في جيوشه، حين أفادنا عبد الواحد المراكشي أنه "**خفقت على رأسه أكثر من ثلاثمئة راية ما بين بنود و ألوية**"[5]

أما الطبول فنجد أن الموحدين خصصوا لها فرقة مخصوصة في استخدام الطبول والقرع، صنعت من الخشب والجلد والحبال، وتنوعت منها نجد الخاصة بالسلطان وهي كبيرة الحجم مقارنة بالتي كانت تستخدم في المعارك وما شابهها، ومنها لإعلان

---

(1) السلاوي، الإستقصا، ج2، ص. 143, المعجب، ص.207.

(2) عز الدين عمر موسى، م س، ص. 245.

(3) ابن أبي زرع، م س، ص. 127.

(4) حول الموضوع يُنظر، السيد عبد العزيز سالم، **حول اتخاذ السواد ورفع الالوية والأعلام السوداء في المغرب والأندلس**، ضمن مجموع، **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1 ، 1991 ، صص.411- 438.

(5) المراكشي، م س، ص 155.

مسيرة الجيش، أو الإنذار بوقوع هجوم ما[1] أو عند إعلان الرحيل، وقد كانت ترافق الجيش الموحدي أكثر من مئة طبل[2]

إضافة الى صناعة **المزامير**، والتي تلقب أيضا بالنافور، وتستخدم في التزمير أو النفخ بقصد الإعلام أو الإخبار، مصنوعة من الخشب غالبا[3]

۞ صناعة السفن:

سمى أهل المغرب والأندلس صانع السفن **نشأء**، مع أن التسمية الفصيحة الصحيحة هي السفان[4] وسموا الحرفي الذي يباشر وضع القار على ألواح السفن والمراكب بالكلفاط[5] ولا غرابة أن تطور صناعة السفن بأنواعها الحربية والمدنية شيء ملحوظ ومتوقع لدولة بحجم الدولة الموحدية ، التي تحتاج أولا لحماية سواحلها من غارات أعدائها [6]، وثانيا لتغطية حاجاتها من التجارة والنقل لهذه الأسباب تعددت دور دور الصناعة والمراكب بشكل غير مسبوق، حتى فاق عدد الأساطيل في بعض الأوقات العشرة، وعدد القطع البحرية بجميع أنواعها في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي

---

[1] البيذق، م س، ص. 75.

[2] انظر المن، ص 342، للمزيد يُنظر، صباح عويناتي، **النظام العسكري الموحدي**، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، 2005/2004، ص. 175ومابعدها.

[3] عبد اللطيف الخلابي، مرجع سابق، ص. 30.

[4] السفين جمع سفينة، وسفينة بمعنى فاعلة كأنها تسفن الماء، أي تقشره، ويُحتمل أن تكون سميت سفينة لأنها تسفن بالمسفن أي تنحت، والسفَان صانع السفن، وحرفته السفانة، وجمع سفينة سفن وسفين وسفائن، الخزاعي، **تخريج الدلالات**...، ص. 483.

[5] وردت عند ابن عبدون بلفظ القلفاط ، **رسالة في الحسبة** ، ص 55، وعند الجزيري القلفطة، **المقصد المحمود**، ص. 246.

[6] حسن علي حسن ، مرجع سابق، ص. 264.

الكومي حوالي أربعمئة قطعة كان معظمها في بلاد المغرب، وذكر صاحب روض القرطاس أنه كان بسبتة مئة وبالمعمورة مئة وعشرون[1]

وحسبنا إقرار ابن خلدون حين لخص وضع هذه الصناعة قائلا" ...**لما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ماعرف...وانتهت أساطيل المسلمين في الكثرة والإستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه**[2]ومن أجل هذا إنبثت على طول سواحل الغرب الاسلامي دور الصناعة[3]

وظهرت أهمية الأسطول الموحدي حين صالح صاحب صقلية الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، وفي المواجهات الحاسمة التي خاضها الأسطول الموحدي ضد البرتغاليين، ومطاردة بني غانية في سواحل المغرب الأوسط، والحد خصوصا من سطوتهم بجزر شرق الأندلس[4] واشتهرت في العهد الموحدي صناعة أنواع كثيرة من القطع البحرية، منها المراكب والشواني والطرائد والمسطحات والحراريق والزوارق[5]

---

[1] ابن أبي زرع ، مصدر سابق، ص. 313.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، ص. 355.

[3] يرى محقق كتاب المن أن كلمة Arsenal، هي محرفة عن عبارة دار الصناعة، المعهودة لدى المسلمين لصنع الأساطيل البحرية، أنظر، المن، هامش 4، ص.144.

[4] أحمد عزاوي، **الأسطول التجارة القرصنة فيما بين القرنين 6هو8ه(12-14م)**، ضمن كتاب: **البحر في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات رقم 7، 2013، ص 75 وما بعدها.

[5] الشيني أو الشواني هي السفينة الحربية الضخمة ، والتي تتكون من عدة طبقات ، والطريدة أو الطراد هي سفينة صغيرة سريعة ، وشلندي وجمعها شلنديات وهي نوع من المراكب البحرية المسطحة لحمل المقاتلة والسلاح ، أنظر ، سيد عبد العزيز سالم ـــ أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهظة العربية، لبنان ط1، 1969، ص 252وما بعدها .

وذكرت لنا المصادر الموحدية عددا من قادة الاساطيل، ورؤساء البحر في بلاد المغرب والأندلس منهم على سبيل المثال لا الحصر :

غانم بن محمد بن مردنيش بالأندلس[1] ويحي بن أبي زكريا بإفريقية[2] والسيد أبو العلا بميورقة [3]و ناصر بن تامة بسبتة[4] وأبو محمد عبد الله بن سليمان بأزمور[5] والفقيه العزفي أبو عبد الله محمد بن الجامع وأبو العباس الرنداحي وأبو زكريا بن مزاحم الكومي التلمساني بسبتة[6] ويوسف الجيدي ببادس[7]وغيرهم كثير.

والحقيقة أن وفاة الخليفة المنصور الموحدي (595هـ)، قد غير كثيرا من الوقائع على صعيد هذه الصناعة، بحكم زيادة أطماع الطامعين حين جهز الناصر حملة الى جزر الباليار واستعمل عليه عمه أبو العلاء، وكان آنذاك يتكون من 300 جفن و70 غرابة و30 طريدة و50 مركبا وسائر المراكب المتنوعة[8]حتى هام الشعراء في وصف أسطول أسطول الموحدين ، منهم أبو محمد المالقي واصفا الأسطول :

أو راكب فوق متن الماء مرتفق   كأنه قيصـــر والقلع اكلـــــــيل

فالبر كالبحر إذ تستن اضرعـــها   والبحر كالبر إذ يصطف اسطول[9]

---

[1] المن ، ص. 516.

[2]الناصري السلاوي ، **الإستقصاء** ، ج2، ص. 264 .

[3]، نفسه، ص. 266.

[4] ابن الزيات ، مصدر سابق، ص. 207.

[5] **أخبار المهدي**، ص. 67.

[6] **البيان ، قسم الموحدين**، ص. 350.

[7] البادسي، **المقصد الشريف**، ص. 74.

[8] المراكشي، مصدر سابق، ص. 315.

[9] **المن** ، ص423.

كما ساهم النجارون في صناعة السفن والقوارب، بحكم معرفتهم بمادة الخشب، فكان يُلجأ إليهم في عملية القياسات والتقطيع والتركيب، وزاد دورهم في فترات الحروب والفتن، وأورد الجزيزي في وثائقه عقودا لنجارين كلفوا بإنشاء قوارب قرلية وفق شروط محددة ومضبوطة[1]

واشتهرت كذلك بعض الحرف الموجهة لإنتاج المعدات التي تواتر الطلب عليها من مستعملي السفن، على غرار الحبال الغليظة المصنوعة من الحلفاء، والأشرعة، والمسامير والقلوع وغيرها[2]

وسيأتي الحديث لاحقا عن الصناعات الخشبية ولواحقها، نظرا لتشعب هذه الصناعة مع كثير من الاختصاصات والميادين.

۞ صناعة النسيج :

منذ العهد المرابطي كان هناك اهتمام كبير بصناعة النسيج التي ترتبط مباشرة بزراعة القطن والكتان، وزاد الإهتمام بكبر الدولة الموحدية وبلوغها أوج عظمتها، ولم تقتصر على العاصمة مراكش، حيث ازدهرت حتى بالمغرب الأدنى والأراضي التونسية،حيث ضاهت ثياب القطن ثياب الحرير[3]رغم أن بعض الباحثين[4] إعتبر أن الموحدين قد أخفقوا نسبيا بالمغرب الأدنى، حين توقف إنتاج الحرير بها، وهو ما أكدته جل المصادر المعاصرة، والتي بينت أن الإنتاج سرعان ما عاد للنشاط مع الدولة الحفصية، في حين كانت الأندلس سباقة بصناعة المنسوجات الحريرية، سواء بمالقة، أو

---

(1) انظر الملحق عقد معاملة في انشاء قارب، الجزيزي ، **المقصد المحمود**، ص. 244-245.

(2) عبد السلام الجعماطي، **دراسات في تاريخ البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي**، ص. 131.

(3) الزهري، مصدر سابق، ص198.

(4) عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**...، صص.217-219.

جيان، أو المرية التي صدرت الديباج والسقلاطوني والأصبهاني والجرجاني[1] أو مرسية[2] إضافة إلى مدينة غرناطة التي وصفها ابن سعيد المغربي[3] بأن كتانها يضاهي كتان النيلكان ي ُ ضرب به المثل في الجودة والجمال، واصطلحوا على موضع صباغة الحرير بالطراز[4]

ولعل مرد هذا رغبة السلاطين الموحدين في محاربة الترف والدعة التي آل إليها أمر الدولة، حيث أمر أبو يوسف المنصور بإبطال الملابس الحريرية الغالية، كما أمر بتحريم التحلي بالوشي الفاخر للنساء، وببيع ملابس الحرير والديباج التي تراكمت في مخازن الدولة[5]وهو ما أكده ابن خلدون فيما بعد حين خلص أن "**سلاطين الموحدين لم يكن لهم شيء من دور الطراز المصانع الملكية التي تنسج فيها الأقمشة المطرزة بالذهب**...[6]

ورغم ذلك إنتشرت صناعة الكتان والحرير، فالجزيري مثلا يشير في إحدى عقوده إلى عقد استئجار حرفي يشتغل في صناعة النسيج لنسج الكتان أو الحرير في طرازه وعلى آلته[7]

---

[1] السقلاطون هو نوع من المنسوجات الحريرية، التي اشتهرت بها بلاد اليونان، ومنها انتقل الى البلاد الإسلامية ، أما الإصبهاني والجرجاني كلاهما منسوجات حريرية نسبة لإصبهان وجرجان، في الاراضي الايرانية، انظر، سامية مصطفى مسعد، **الحياة الإقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003، ص.129.

[2] المقري، م س، ج1، ص. 244 ومابعدها.

[3] ابن سعيد المغربي، **المُغرب في حلي المغرب**، ج2، ص.94.

[4] المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص.187.

[5] ابن عذارى م س، ج2، ص. 236 .

[6] ابن خلدون، **المقدمة**، ص. 226.

[7] الجزيزي، **المقصد المحمود**، ص. 234، أنظر العقد كاملا في الملحق6.

ويندرج ضمن صناعة النسيج عدد من الحرفيين، منهم الصوافون الذين تقتصر مهمتهم في شراء الأصواف من مربي الأغنام، الذين يجزونها لبيعها لهؤلاء، ويقوم هؤلاء الصوافون بغسلها وبيعها[1]

وقد يلجؤون إلى فئة أخرى مكملة لعملهم، وهم الغسالون المختصون بغسل الملابس والأغطية والأصواف[2]إضافة إلى فئات أخرى تدخل في العملية الانتاجية .

۞ صناعة الزجاج[3]

من خلال الحفريات التي قام بها كثير من المختصين ببلاد الغرب الإسلامي عموما تم اكتشاف قطع كثيرة من صغيرة ومتوسطة وكبيرة، وملونة وغير ملونة، مما يبين دون شك إنتشار هذه الصناعة على نطاق واسع[4] وانتشرت في العهد الموحدي مصانع كثيرة كثيرة لصناعة الزجاج، وكما أشرنا في موضع سابق كانت المصانع والمعامل الخاصة بالزجاج موضوعة تحت الأرض حتى لا تتأثر هذه الصناعة الحساسة بالريح والغبار[5]، وانتشرت هذه المصانع بالعدوتين، وقد ورد عند المحتسبين ذكر الزجاجين من خلال

---

[1] عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع**...، ص. 207.

[2] حول الموضوع، انظر السقطي، **في آداب الحسبة**، الفصل الأخير .

[3] الزجاج من المواد القديمة التي صنعها الإنسان، وهي أساسا تتكون من الرمل والجير وتصهر في حرارة عالية، وعُرف عن المصريين أنهم عرفوا الزجاج منذ أكثر من 5000سنة، في عهد الملك تحمتس الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، راتب الزيات، **موسوعة الأولون**، دار راتب الجامعية، بيروت ، لبنان، ص. 273.

[4] محمد عبد العزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الثقافة ، بيروت، د ت، ص. 205.

[5] المقري، م س ، ج2، ص. 101، رضا رافع، **الإقتصاد**...، ص. 85.

منعهم جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفا لئلا يتخذ النار فيها فتحترق، فتؤذي الناس والجيران القريبين من موضع العمل[1]

وانتشرت مراكز صناعة الزجاج حسب ما أوردته المصادر، حيث كان بفاس وحدها أحد عشرة مصنعا[2] وبالمغرب الأدنى كانت مدينة قفصة الرائدة في صناعة الزجاج[3]نظرا لاستخراج زجاج نفزاوة[4]

وبالأندلس اشتهرت مالقة ومرسية والمرية[5]وأنتجوا أنواعا من الزجاج ُعرف بالذليجي[6] وآخر ُسمي فسيفساء[7]، حتى أن أحد الباحثين إعتبر صناعة الزجاج أصبحت أصبحت تواجه منافسة قوية من الضفة الأندلسية بمسلميها ومسيحييها، والذين صار لهم شأن كبير في هذه الصناعة[8]

واختلفت نماذج الأعمال الزجاجية ولم تقتصر على الأواني، و مثال على ذلك ما ركب في جانب الشمسيات، التي تجانب القبلة بمسجد القرويين،وهي عموما تلبي حاجيات المعالم العمرانية بوضع الزجاج الملون أو ماي ُصطلح عليه أحيانا بالعراقي، في النوافذ والفتحات المعروفة بالشمسيات، إضافة الى الزجاج العاكس للصورة المعروف بالمرايا[9]

---

(1) ابن عبد الرؤوف، م س، ص. 112.

(2) ابن ابي زرع ، م س، ص. 57.

(3) مجهول، **الاستبصار**، ص. 269.

(4).عز الدين عمر موسى، م س، ص. 254.

(5) نفسه، ص. 255.

(6) المقري، **م س**، ج1، ص. 154.

(7) نفسه، ص 155، أنظر كذلك، سامية مصطفى محمد سعد، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية**....، ص. 137.

(8) عبد اللطيف الخلابي، **الحرف والصنائع**...، ص. 259.

(9) عبد الهادي التازي، **التاريخ الديبلوماسي**، ج2، ص. 190.

كما استخدم في صناعة القوارير الزجاجية، التي كانت تسرج أول الليل وآخره، واستخدمها العامة والخاصة في كثير من الأغراض، ويبدو دون شك أن الخبرة الأندلسية قد أفادت المغرب كثيرا في هذه الصناعة.

۞ صناعة الفخار والخزف :

من خلال أعمال الأثريين في مختلف مدن المغرب الإسلامي والأندلس، تم العثور على عدة قطع تنتسب إلى عدة مدن بالعدوتين، وأشار ابن أبي زرع إلى مدينة فاس بقوله " **وبخارجها من الديار الُمعدة لعمل الفخار وهي مئة دار وثمانون دارا**"[1] هذا هذا العدد يبين دون شك الاهتمام الكبير بهذه الصناعة ومشتقاتها ببلاد المغرب، " ولعل طينة المغرب الأقصى التي تتميز باللون المائل إلى الُحمرة كمثيلتها في المشرق، وبالخصوص مدينة الموصل"، جعله أهم مراكز صناعة الفخار في القرنين السادس والسابع للهجرة[2]

أما بالأندلس فاشتهرت صناعة الفخار الُمذهب الذي استخدم في مجالات عديدة، ومن أبرز المناطق التي اشتهرت به مدينة غرناطة، وُسمي المكان المتخذ لهذا الغرض بربض الفخارين[3] وكذا مدينة مالقة[4]،إضافة لعدة مواقع أخرى على غرار"اندراش" التي امتازت بصناعة الفخار العالي الجودة، نظرا لتربتها الجيدة، وكذلك ارحصونة وانتقيرة(Antequera)وبرجة ومرسية وغيرها[5]

---

(1) ابن ابي زرع ، م س، ص. 47.

(2) محمد عبد العزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس**، ص. 116.

(3) العمري، وصف إفريقية، ص. 43.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص. 254.

(5) محمد عبده حتاملة، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص. 1046.

وتتميز القطع الفخارية عموما سواء المنتسبة للمغرب أو الأندلس بخلوها من الزخرفة الحيوانية، واقتصارها على الزخرفة النباتية والكتابية[1]وهي عموما سمة غالبة في الفنون الإسلامية مشرقا ومغربا، ومن أ هم هذه القطع نجد أواني المطبخ المُستعملة في فترة الدراسة، إضافة إلى أن الصّناع كانوا "ينتخبون نوعا من الفسيفساء المفصص ونوعا من الزليج"[2]

۞ صناعة الخشب :

يندرج ضمن هذه الصناعة النجارون[3]، ووصفها إبن خلدون أنها "**من ضروريات العمران ومادتها الخشب**"[4] ونظرا لتوفر أراضي الغرب الاسلامي عموما على مختلف أنواع الأشجار التي تستخدم لهذا الغرض، على غرار البلوط والأرز والصنوبر وغيرها.

ونجد في طليعة الخشابين صنفا سمتها كتب الحسبة بالحطابين، الذين يقتصر مهمتهم في جمع الحطب وبيعه، ويبدوا أن هؤلاء كان لهم موضع خاص لبيع الحطب خشية إذاية الناس[5]ويأتي في مقدمة المواد المصنعة: السفن كما أشرنا سابقا، وطور الموحدون مراكز كثيرة ورثوها عن الموحدين، كسبتة وبجاية، وجددوا أخرى على غرار عنابة ووهران وهنين وبادس وتونس والمهدية[6]

---

[1] محمد طيب عقاب، **الأواني الفخارية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 195.

[2] عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص. 254.

[3] يرى المستشرق جواتياين أن صناعة الخشب يرتبط بها خمس اختصاصات هي: النجارون والخصوصيون (الذين يؤدون صناعتهم في البناءات) والنشارون وصانعو الصناديق والاقفال والخراطون، جواتياين س.د. **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.ص.156.

[4] ابن خلدون، **المقدمة**، ص.261.

[5] ابن عبدون، **ثلاث رسائل أندلسية**، ص.38.

[6] الجزنائي، م س ، ص15، عز الدين عمر موسى، م س ، ص. 233.

وقد ذكر ابن الزيات في ترجمته لإبراهيم بن إسحاق الهزرجي أحد الأشخاص ووصفه بالنجار[1]، والأرجح أنها مهنته وليست كنيته فحسب، ومما يدل على شيوع هذه الصنعة بين العامة، وقد شاع عند العامة إستئجار النجارين، حيث أورد لنا الجزيري عقدا مهما لاستئجار نجار لينشىء قاربا قرليا وفقا مقاييس معينة يشترطها المُؤجر، "**تكون قرابيسه وتخاتيله وأقفاله وقوسه من عود البلوط، وألواحه من عود الأرز بقطنيس**..." [2] ويبدو أن صناعة هذه القوارب كانت من أجل استخدامها للصيد،سواء في الأنهار أو في البحر[3]ومن ملحقات الصناعات الخشبية نجد صناعة الأبواب الخشبية الكبيرة، حيث اشتهر الموحدون بإتقان صناعتها، رغم كبرها، ومثال ذلك باب الشريعة بفاس[4]

إضافة الى صناعة المقصورات الخشبية والمنابر، والتي اشترك فيها الى جانب النجارين، المزوقون والملونون والمهتمون بالصناعات الميكانيكية[5]وصناعة الجسور الضخمة[6]حيث يصف ابن صاحب الصلاة الجسر الذي شيده عبد المؤمن بين الرباط وسلا أنه مصنوع من قوارب ممسوكة بأخشاب ضخمة[7]وكذا المـخروطات الخشبية والمحاريث وعجلات الطواحن التي تطورت صناعتها بشكل لافت عصر الموحدين، وصناعة المكاييل الخشبية، والنوافذ والأبواب والأثاث والسقوف الخشبية، وكل هذه الصناعات تحتاج الى كميات كبيرة من الخشب، خاصة مع الحركة العمرانية المعتبرة

---

[1] ابن الزيات، م س، ص. 241.

[2] الجزيزي، م س ، ص 244-245، أنظر في الملاحق.

[3] مجهول، الاستبصار، ص.263.

[4] ابن ابي زرع، م س ، ص. 114.

[5] انظر: **الصناعات الميكانيكية**.

[6] ابن صاحب الصلاة، م س، ص. 487.

[7] نفسه ، ص.450،

التي شهدها العصر الموحدي، مما استدعى وفرة في المواد، وكذا في اليد العاملة المتمرسة، والتي نجدها في عدوة الأندلس بشكل أكثر، مقارنة بنظيرتها المغربية، وقد تشدد المحتسبون في مراقبة الأدوات الخشبية المصنوعة، على غرار السلالم، حيث راعوا فيها أن تكون"**وافرة الخشب غلاظا قوية الأضلاع حسنة التسمير لأنها موضع ضرر**"[1] وعدم إتقانها يؤدي إلى أخطار جسيمة.

۞ صناعة السكر والعقاقير:

إحتل المغرب الأقصى الطليعة في إنتاج السكر إبان العهد الموحدي، حيث يفيدنا الإدريسي أن "**السكر السوسي يساوي السليماني والطبرزد، ويتفوق على جميع أنواع السكر في طيبه وصفائه**" [2]ورغم ذلك لم يكن لأهل سوس كثير اهتمام به رغم كثرته، لأنهم كانوا يكتفون بالعسل ولم يستعمل السكر إلا للغرباء والمرضى[3]

كما بلغت صناعة السكر مبلغا عظيما في إقليم غرناطة عموما، سواء في شلوبين[4] أومدينة المنكب التي صار ثمنه فيها معقولا[5]ويعكسه كثرة أنواع الحلويات والزلابية التي كثر عملها بمختلف مناطق العدوتين[6]وقد أشار ابن زهر الى عدد منها، وهي في غالبها تُصنع من العسل والسكر[7]

---

[1] ابن عبدون، **ثلاث رسائل** ،ص.36،

[2] الإدريسي، مصدر سابق ، ص. 91.

[3] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص. 176.

[4] الحميري، **م س** ، ص189.

[5] ابن سعيد المغربي، **المُغرب في حلي المغرب**، ج2، ص.94.

[6] انظر، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس** ، لمجهول.

[7] إبن زهر، مختصر الأغذية، ورقة 52 وما بعدها.

أما عن صنع العقاقير فقد أفادتنا المصادر المُعاصرة أن المنصور الموحدي قد ألحق بكل بيمارستان بيتا خاصا لصنع الأشربة والأدهان حيث يقول" ...**وجلب إليه من الأدوية وقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال**[1]كما برز كثير من العشابين[2]في مزج العقاقير، وتوصلوا من خلال المزج التوصل إلى معرفة جل الأدوية الُمفردة، نظرا لإتقانهم اللاتينية[3]

۞ صناعة الزيوت والصابون:

يميز الدارس إبان هذا العهد ثلاثة أنواع من زيت الزيتون تبعا لطرق إستخلاصها، وهي: زيت الماء، ينتج من طحن بسيط للثمار أو سلقها بالماء الساخن وهو أفضل أنواع الزيوت، ثم زيت المعصرة والنوع الثالث هو النوع المطبوخ، إضافة لزيوت مستخرجة من نباتات أخرى على غرار زيت السمسم، زيت الجوز واللوز و الخروع وغيرها كثير على غرار زيت أرجان، ونقف هنا على نص فريد يفصل لنا كيفية استخلاص هذه الزيت يقول الزهري في صدد حديثه عن السوس الأقصى:"**من عجائب هذا الصقع زيت أرجان، يقع على شجر يلد حبا على قدر المشمش، فإذا طابت سقطت في الأرض، فتُجمع وتأكلها البهائم، فترمي بأنويتها في ملفها، فتُجمع الأنوية، وتُكسر، فيخرج منها لوفيطشش في المقلاة، ويُطحن ويُعصر ويقطر منه زيت صاف رقيق الأجزاء...ولايوجد هذا الزيت في معمور الأرض إلا فيها** (أي السوس الاقصى) [4]

---

[1] المراكشي، م س، ص.287.

[2] **انظر عنصر: العشابين.**

[3] جسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1986، ص. 238.

[4] الزهري، م س ، ص. 188.

ولكن الأشهر على الإطلاق هي زيت الزيتون، والتي اشتهرت بها مدن بالعدوتين غلى غرار مكناسة التي سُميت بمكناسة الزيتون، حيث اشتغل أهلها بعصره وبيعه، نظرا لتعلقهم بهذه الصنعة وإجادتهم لها، إضافة لتونس وضواحيها، أما في الأندلس فكانت غرناطة[1] والمرية وبسطة[2] وقمارش وفنيانة وغيرها رائجة بزيت الزيتون.

ويتم إستخلاص الزيوت من الزيتون بطرق مختلفة، أشهرها العصر، إضافة إلى الطحن وهو قليل، والثالثة عن طريق الغلي في النادر[3]

أما صناعة الصابون فقد بلغت مبلغا عظيما خلال العهد الموحدي، فقد كان في عهد المنصور سبع وأربعون دارا لصناعته[4]وانتشر بيعه في حوانيت عديدة بفاس حيث كان لونه أسمرا، وكان الصابون الأسود في افريقية ولا يوجد في غيرها[5]ونظرا لجودته وصفه الشعراء بقولهم: وأسمر يصرف السودان بيضا .

۞ صناعة الجلد :

تمر هذه الصناعة عموما بعدة مراحل، حيث تخضع الجلود أولا لعملية نزع الصوف أو الوبر، وعرف القائمون بهذه العملية باسم **الشعارين أو الصوافين،** و يحتاج هؤلاء لكميات كبيرة من المياه، لذا نجدهم قريبين من مجاري المياه، ولا عجب أن تتركز هذه الصناعة حول المناطق القريبة من الأنهار ومجرى المياه، على غرار مدينة

---

[1] **الحلل الموشية**، ص.85.

[2] الادريسي، م س، ص. 202.

[3] عز الدين عمر موسى، م س ، ص. 239.

[4] إبن أبي زرع، م س، ص. 48.

[5] احمد جمال طه، **فاس في عصري**...، ص. 214.

فاس التي كان بها لوحدها في عهد المنصور الموحدي (580هـ-595هـ/1162م-1184م) ستة وثمانون دارا للدباغة[1]،

وبالأندلس كانت مالقة مركزا هاما للمصنوعات الجلدية،من الأغشية والحُزم والمدورات الجلدية[2] إضافة إلى غرناطة التي يبدو أنها كانت مركزا للدباغة، والتي تُصنف ضمن الأعمال القذرة والنجسة[3]

كما نجد الدباغين، حيث ارتبطت دور الدباغة بدور الصباغة (أي صباغة الجلد) بحيث كان القائمون على الصباغة وأعدادهم كبيرة يحرصون على تعليمها لأبنائهم في سن مبكرة، وهو راجع لحبهم الشديد لصنعتهم وتوريثها لأبنائهم[4]

وموازاة مع هذا تبرز مجموعة من الحرف الجلدية التي تستخدم الجلد كمادة أساسية، على غرار الخرازين والقراقين (صانعوا الأقراق الجلدية)، من السبابيط والبلغات[5]حيث حرص المحتسبون على مراقبة صنعتهم من خلال"**عدم السماح لهم بصناعة أقراق لا تتصل حاشيتا جلده خرزا واحدا في ظهره، أو بوصل من الجلد صغير لا يبلغ سعة الظهر، ويكون مجموعا بالخرز لا بالتشبيك...** [6]

۞ الصناعة المعدنية :

وتعتبر من الصناعات التي "**تتميز بها بعض الأمصار دون بعض**" حسب تعبير إبن خلدون، وذلك مرتبط بوجود المعادن ضمن هذه الأمصار لتوفرها على النحاس

---

[1]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.48.

[2] عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص. 230.

[3] ابن الزيات، **التشوف**، ص 284.

[4] احمد جمال طه، **الحياة الاجتماعية...**، ص.130.

[5] الونشريسي، **المعيار**، ج1، ص. 13.

[6] السقطي، مصدر سابق ، ص. 64.

والذهب والفضة والبرونز غيرها، التي استخدمها الصناع في تصنيع العديد من الصنائع المعدنية[1] ولكن الهام والأكيد أن اليهود لا يُمكن إغفال دورهم في صناعة التعدين بحكم إشرافهم على كثير من المناجم بالعدوتين لتخصصهم في هذا المجال[2]

ولعل ما يبين مكانة الصناعات المعدنية في السياسة الموحدية هو الإشراف المباشر من طرف الخلفاء على هذه الصناعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 578هـ يخرج من العاصمة مراكش لبناء حصن زكندر، لمعدن أكتشف هناك، وخروج الخليفة له دلالاته الواضحة على الإهتمام البالغ[3]

بالنسبة لمعدن الذهب النفيس نعدم فيها إشارات واضحة تدل على وجود مناجم خاصة للمعدن النفيس بالعدوتين حسب عبد الواحد المراكشي، والذي لحسن الحظ قد خصص نهاية كتابه المعجب للتحدث عن معادن العدوتين والحصون التي أنشأت لغرض الإستغلال، حيث ذكر أن الذهب مسوق إليها (أي الأندلس) من بلاد السودان"[4] رغم أن ابن سعيد أفادنا أن غرناطة تصدر الذهب الى بلاد الأندلس والمغرب[5] إلا أن هذه المعلومة يبدو فيها شيئ من المبالغة حسب بعض المصادر وعلى كل حال كان لجغرافيي القرن السادس ثقافة حول المعادن الشائعة، وفوق هذا طرق مزجها مع مختلف نظيراتها من المعادن الأخرى، على غرار النحاس المتواجد

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، ص. 417.

[2] مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي الى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، الجزائر، 2000، ص. 153.

[3] محمد المنوني، مرجع سابق ،ص. 260.

[4] المراكشي، **المعجب**، ص. 261.

[5] ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص. 167.

بغرناطة، وبمدينة داي[1]، حيث وصفها الإدريسي"**وهي مدينة بها معدن النحاس الخالص...وهو نحاس حلو لونه إلى البياض، يتحمل التزويج، ويدخل في لحام الفضة...**" [2]

۞ الصناعة الميكانيكية:

في سياق تطور الصناعات الميكانيكية، يذكر لنا صاحب الحلل الموشية عن مقصورة مراكش التي بالمسجد الأعظم الذي بناه عبد المؤمن على أنقاض المسجد المرابطي، "**تتصل بقصره، فيدخل إلى المسجد دون أن يشعر به أحد، و على يمين المحارب باب يدخل منه المنبر وعلى يساره باب يؤدي إلى المقصورة، و كانت تطلع بصفة ميكانيكية إذا جاء الخليفة ثم تفي بعد ذهابه، ويتحرك معها المنبر في نفس الوقت، دون أن يحدث المنبر أو المقصورة صوتا**[3] وقد صنعها مهندس ماهر يدعى الحاج يعيش المالقي[4]ويشير ابن أبي صاحب الصلاة إلى هذا المهندس كان مقيماً خلال فترة بناء جبل طارق، وأنه صنع رحى تطحن الأقوات بالريح، وقد يُعد المصدر الوحيد الذي يشير إلى الرحى الهوائية في تلك العصور، ويذكر بناء باقي مباني الجبل وباب الفتوح إذ يقول: "**وكان الحاج يعيش المهندس مدة إقامته للبناء على ما ذكرته فيه قد صنع في أعلاه رحى تطحن الأقوات بالريح عاينها الثقات**

---

[1] داي: مدينة بأرض المغرب، تقع في سفح الجبل الخارج من جبل درن، بينها وبين أغمات مسيرة أربعة أيام، وبينها وبين تادلا مرحلة، الحميري، م س، ص. 231.

[2] الادريسي،م س ، ص. 94.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، م س ، ص. 61..

[4] **الحاج يعيش المالقي**: كان حياً في سنة 567هـ/1172م، ويعود أصله إلى مدينة مالقة (جنوب غرناطة)، وسطع نجم المهندس الحاج يعيش في عهد الموحدين وخاصة في زمن الخليفة عبد المؤمن بن علي، تُعد منجزات الحاج يعيش المالقي في مراكش والأندلس المنجزات المتميزة في مجال الهندسة المدنية والمعمارية والميكانيكية في ذلك العصر، وتُعبر عن المقدرة الهندسية المتقدمة للمهندسين ابان العصر الموحدي. انظر، عبد الله علي علام، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي** (دار المعارف بمصر، القاهرة 1968، ص. 133وما بعدها .

مدة البناء المذكور، فلما رجع إلى مراكش عند إكمال ما أمر به فسدت الرحى لعدم الاهتمام بها... ويضيف "واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمى بباب الفتوح، في الفرجة التي كانت يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به من كلا جانبيه فجاء فرداً في المعاقل التي لا يتمكن لطامع فيه طمع، ولا يخطر على خاطر ساكنه جزع من بر ولا بحر، إذ هو معقل أشِب، ومنزلٌ للسماك منتسب"[1]

كما قام نفس المهندس سنة 567هـ/1171م بعملية تسريب المياه لسقي البحيرة الملكية في اشبيلية التي شيدها الخليفة أبو يعقوب يوسف، وتوصيله الماء الى داخل المـدينة من قلعة جابر(قرب قرمونة) كما بنى خزان ماء داخلها، ومن خلاله يتوزع الماء على مختلف احياء المدينة[2].

كما برزت الصناعة الميكانيكية كذلك في الأسلحة والآلات الحربية، كالدبابات ذات الأبراج، التي استخدمها الموحدون كغيرهم للدفاع عن الحصون و المجانيق التي استعملت على نطاق واسع[3]

وتبقى هذه النماذج القليلة غيضا من فيض، مما يدل على التطور الهائل في هذه الصناعة عهد الموحدين.

ومن المهم الإشارة أنه لا يُمكن الوقوف على كل أنواع الصنائع، مُجملها ومُفصلها لعدم القُدرة على الإحاطة بها جميعا، ومن جهة ثانية الذكر المحدود في المصادر، ولكن الأكيد أن الوقوف على أمهات الصنائع يعطي صورة واضحة على مدى التطور الصناعي الذي شهده العصر الموحدي، ، كما لابد له من زراعات ترتكز عليها في مادتها الاولية، والذي لابد له من أسواق تروجه ، وبهذا فهناك حرف إرتبطت الزراعة أو بالتجارة، أو بهما معا، وهذا ما سنحاول إستقصائه في الفصل الموالي.

---

[1] ابن صاحب الصلاة، **المن**، صص. 137-142.

[2] نفسه، ص. 468 .

[3] رضا رافع، **الإقتصاد**... ، ص. 79.

الفصل السابع:

الحرف المرتبطة بالتجارة والفلاحة بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي

تمهيد

1) أنواع الناشطين في التجارة:

- تجار الجملة
- تجار التجزئة
- التجار الجائلون

2) حرف مرتبطة بالتجارة:

- النخاسون ، الدلالون ، الوكلاء (السماسرة) ،الصيارفة ، الحمالون
- القصابون ، الصيادون .

3) أنواع الناشطين في الفلاحة .

4) حرف مرتبطة بالفلاحة:

المزارعون ، الطحانون ، مربو البغال والحمير ،

الرعاة ، مربو النحل ، مربو دودة الحرير، الخضارون، الفاكهانيون .

يحتاج الإنسان إلى التمدن للقيام بالمتاجر والحرف، والتجارة تقتضي التصنيع والتنوع الحرفي[1]والذي يقتضي بدوره تنوع الأسواق حتى يتسنى الشراء بالرخص والبيع بالغلاء ليحصل المكسب[2]وهناك عدة مهن ترتبط بالتجارة، ومنها ما ارتبط بالفلاحة، ومنها ما يرتبط بهما في آن واحد، حين يتولى الفلاح بيع ما ينتج، أو حين يكون محصوله مادة لأنواع التجارات المختلفة.

والمُلاحظ أن الدولة الموحدية قد شجعت التجارة من خلال قطع المُكوس التي أوجبها المرابطون ظلما آخر دولتهم، وبثوا الأمن والسكينة من خلال إخماد الثورات والفتن، كما عملوا على تطوير النظام النقدي كما رأينا من قبل، من خلال تنظيم دور السك وإصدار عملات جديدة، وفوق كل هذا توفير المرافق العامة"[3] التي يحتاجها التجار من خلال الأسواق والقيساريات والفنادق للغرباء، كما حاول ولاة الأمر إعطاء قيمة ُمضافة الى الأرض وعملها من خلال استصلاح الأراضي، وتشجيع المزارعين للعودة إلى أراضيهم بعد إستقرار الأوضاع، وإفادة الفلاحين من دعم الدولة، خاصة في أوقات الأزمات[4]، أو تخفيض الضرائب المفروضة عليهم، لتشجيعهم على مواصلة خدمة أرضهم، أو بتطوير نظام والسقي وغيرها من الإجراءات التشجيعية التي أتت أُكُلها بإذن ربها، وسنحاول في هذا الفصل تُتبع أهم الحرف المرتبطة بالتجارة والفلاحة، أو بهما معا.

---

[1] إدريس كرم، **العلاقات الاجتماعية من خلال النوازل الفقهية بالمغرب**، ص. 185.

[2] ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص.383.

[3] للمزيد أنظر، محمد بن ساعو، **التجارة والتّجار في المغرب الإسلامي من ق7هـ الى ق 10هـ**، ص.20 .

[4] ابن عذارى، مصدر سابق ، ص. 319.

❁ أنواع الناشطين في التجارة:

ينقسم التّجار خلال فترة الدراسة بحسب ما يمتلكون من أموال ففيهم:

ـ **كبار التجار**: وهو من يوظفون موارد مالية هامة في تمويل تجارتهم، مع إبقائهم على مبالغ مٌعتبرة خشية النكبات على حد قول الإدريسي"**أن التاجر الذي يصرف أربعة آلاف دينار ويُبقي معه مثلها**"[1] لذلك تجد قوافل هؤلاء تفوق أحيانا سبعين أو مئة من العير[2] وقد عظٌم ربح هؤلاء لكثرة رأس مالهم[3]وكانوا في عمومهم تجار جملة، يبيعون ما يشترون إلى تجار التجزئة[4]وقد حفظت لنا أوراق الجنيزة أسماء عدد من كبار التجار ووضعهم الإجتماعي، فمثلا أبو ذكرى كوهين السجلماسي (بين 1132_1148م) كانت له قوافل تجارية بالمغرب الأقصى، وقام برحلات طويلة إلى الهند كان وكيلا خلالها لتجار الفُسطاط واحتفظ بروابط متينة مع وطنه المغرب[5]ونشير على سبيل المثال لا الحصرعادة انتشرت عند التجار الأغماتيين وهي المباهاة بثرواتهم،"**حيث كان كل واحد منهم يعمل على إقامة عدد من العرصات بجانب داره وكل منها ترمز لمقدار من المال، وبذلك يمكن للمرء أن يتبين قيمة ثروة التاجر وكذا مرتبته الإجتماعية**[6]

---

(1)الإدريسي، م س، ص. 66.

(2)نفسه، ص. 67.

(3)ابن خلدون، **المقدمة**، ص. 438.

(4) حسن علي حسن، مرجع سابق، ص. 433.

(5) جواتين، **دراسات في التاريخ الإسلامي**، ص. 261.

(6) ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافية**، ص.135.

ـ**صغار التُجار:** منهم الثابتون الذين يستقرون في حوانيتهم التي يستأجرونها غالبا من الكبار، وكانت حوانيتهم ودكاكينهم متراصة بسلعة واحدة، أو جائلون لعرض سلعهم، أو تجدهم يستأجرون، وما اصطُلح على تسميتهم "**بالميارين**" حيث سببوا مشاكل عويصة للتجار حين يدعون ملكية ما يحملونه لهم، أو يشترطون الشراكة مع من يعملون له[1] ونستعرض بعض الحرف التجارية خلال العهد الموحدي ومن أهمها نجد:

❁النخاسون (تجار الرقيق) :

لا مراء في أن تجارة الرقيق كانت أساسا هاما من أسس إقتصاد الغرب الإسلامي الوسيط، ولعل كتب النوازل الوسيطة مليئة بالفتاوى التي تهم هذه الفئة، ومناطق صيد الرقيق لم تكن تنحصر داخل حدود إفريقيا السوداء فحسب، بل شملت حتى المناطق المأهولة بالسكان البيض[2]والسبب الرئيس في تجارة الرق هو ديني بحكم أن النخاسين إستباحوا استرقاق السود والفرس واليهود والنصارى "**فمن سبي على كفره صح تملكه كائنا ما كان**"[3] على الرغم من العلاقة بين العبد وسيده في الغرب الإسلامي عموما تختلف عن مثيلتها في أوربا من الناحيتين الإنسانية والإجتماعية[4]

يُباع الرقيق في سوق خاص يُعرف بسوق الرقيق، وورد بأسماء عديدة كالمعرض وسوق الخدم والعبيد، وفيه يعرض النخاسون تجارتهم ويصنفون رقيقهم إلى زُمر، وينادي النخاس ويمتدح مزاياه ويشتريه من يدفع فيه ثمنا اعلى[5]،بعد أن

---

(1) عرضت عدة نوازل في المعيار، ج8، ص115صص.، 130، 132.

(2) التمبكتي (أحمد بابا)، **حكم بيع العبيد المجلوبين من السودان** ، مخطوط خ ع ر، رقم د 1079، ورقة 86.

(3) نفسه، روقة 84.

(4) حول الفروق بين سوق الرقيق عند المسلمين والأوربيين يُراجع، محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب،** أفريقيا الشرق ، المغرب الأقصى، ط1 ، 1991، صص. 05_24 .

(5) عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضره،** سلسلة عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر، 1979،ص.87، الونشريسي، **المعيار** ، 277/6، العقباني التلمساني، م س، ص. 174.

يفحص المشتري ما يريد شرائه، وقد بين ابن القطان المعاصر للموحدين جانبا مهما في هذه العملية يقوله **"من يريد شراء أمة يجوز له تقليبها بالنظر إلى وجهها ويديها وهذا لا خلاف فيه، واختلف في النظر في الزيادة على ذلك...**[1]

وقد بيعت الإماء السودانيات اللواتي يعرفن الطبخ بمئة دينار أو يزيد[2] وزاد ثمن الجاريات الروميات الجميلات الرشيقات ممن لم يبلغن الى أربع وثلاثين مثقالا ذهبا[3] ويُ وسم النخاسون على العموم بعبارات الخسة والدناءة والخداع، ولا شك أن ذلك راجع لإنتهازيتهم ومكرهم، إذ بينت كتب الحسبة شروطا كثيرة لا يلتزم بها كثير من النخاسين، إذ يجب أن يكون أمينا عدلا مشهورا بالعفة والصيانة[4] كعدم بيع الحر، والأمة الحامل بعد ستة أشهر، والعبد الآبق[5]وقد تدخلت السلطة الموحدية لتنظيم بيع الرقيق والإماء، واستحدثت منصبا جديدا هو الأمين وأُسندت له مراقبة أسواق الرقيق[6]

وورد في رسالة عبد المؤمن الجامعة لأنواع الأوامر والمؤرخة في 543هـ/1148م **"ولتقدموا للنظر في أسواقهن (يعني أسواق الرقيق) من ترضون دينه وأمانته وتتحققون ثقته وصيانته، فمن اُبيح له البيع والإبتياع أحضره الأمين ...وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الأرجاء، حتى تخاطبونا في أصل أمرهن ...لنرسم لكم فيه ما يكون اعتمادكم.."**[7] فالعودة مباشرة إلى الخليفة نفسه في مسألة

---

(1) إبن القطان (أبو الحسن علي بن محمدالفاسي)، **النظر في أحكام النظر بحاسة البصر**، ضبطه وعلق عليه فتحي أبو عيسى، دار الصحابة للتراث، مص، ط1 ، 1994، ص. 225.

(2) مجهول، **الإستبصار**، ص. 216.

(3) أفتى ابن رشد بيع الجارية من دون مواضعة وخالفه في هذا ابن الحاج، أنظر، ابن رشد، **فتاوى ابن رشد**، ص.1615.

(4) ابن الأخوة، مصدر سابق، ص. 106.

(5) السقطي ، مصدر سابق، ص.47 .

(6) ابن القطان، **النظم**، ص. 197،راجع الرسالة في رسائل موحدية ، ج1، ص.66 .

(7) ابن القطان، مصدر سابق، ص. 198.

بيع الأسيرات له دلالات واضحة على رغبة السلطة الموحدية وإرادتها في تشديد الرقابة وتنظيم عملية بيع الرقيق، خاصة بعد أن انتشرت عدة مظاهر، كبيع الإماء قبل استبرائها، وبيع العبيد والإماء بعيوبها، والتي يجب ردها إن كان بهم جنون وجذام وبرص وفالج وشلل وعور وصمم وخرس وزنى وقمل وإباق...وغيرها [1]و يتبين من خلال الأمثال الأندلسية السائرةيبدو أن السكان يـُفضلون العبيد السود على البيض، إما لصبرهم وتحملهم، وإما لطاعتهم وإخلاصهم[2]

❁تجار الذهب والملح :

كان الذهب أهم المواد التجارية والدافع الرئيس في تجارة الغرب الإسلامي مع بلاد السودان[3]حتى قال عنها الإدريسي"**يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال...**" [4]ويتم التبادل مع تجار الذهب في حوض السنغال بما اصطلح عليه بالتجارة الصامتة[5]، وإن كان فيها نظر وتحقق لغرابتها، ولكن عموما يبقى حجم الذهب الوارد خلال العهد الموحدي قليلا نسبيا إذا ما قورن بالفترة الموحدية، نظرا لتوتر العلاقات بين الطرفين، أما تجارة الملح فقد كان مادة مفقودة في بلاد

---

[1] الونشريسي، ج6، ص. 48، ابن رشد، م س، ج1، ص. 531، **وثائق المرابطين والموحدين**، ص. 372 .

[2] من ذلك قولهم : لا تعمل خصل إلا مع أسود (مثل رقم 2013)، وقولهم : طُل ما تجد أسود لا تسخر أبيض (مثل رقم 1063) ، **أمثال العوام** ، ج1 ، ص.219.

[3] بغداد غربي، **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، ص. 293.

[4] الإدريسي، مصدر سابق، ص. 156.

[5] التجارة الصامتة أن يتوجه تجار الغرب الإسلامي الراغبين في الشراء إلى أماكن معلومة حيث يضربون بطبولهم ثم يضعون سلعهم ويختفون، عندئذ يخرج الزنوج ويضعون بجوار كل كومة من السلع ما يرونه نظيرا لها من الذهب ويختفون، أو يعودون لزيادة وزن الذهب في حالة عدم الإتفاق، أنظر، جميلة بن موسى، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث الى القرن الخامس**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001/2000م.

السودان[1] فكان نظيرا للذهب ندا بند، وقد قُدر ثمن الملح بين مئتين وثلاث مئة دينار للحمل الواحد[2]لذلك كان تجار الملح من أكثر التجار ثراء، حتى أن أغرب عمليات المقايضة كانت بين الذهب والملح. [3]

❁ الدلالون:

الدلال من المهن التجارية، وهو الواسطة بين البائع والمشتري[4]، فهو يقوم يعمل المزاد على السلع ويعرض أسعارها على المشترين، وينال أجرا من البائع، ومن المشتري أحيانا، وقد يلجأ الدلال إلى زيادة ثمن السلعة ليأخذ ذلك الفارق إلى حسابه، دون علم صاحب السلعة، وهو في هذه الحالة محرم شرعا[5]وأوردت كتب النوازل أن النساء اشتغلن في الدلالة حتى مع الرجال[6]كما كن يحملن بضائع التجار إلى المنازل ويتقاضين أجورا عن البيع والقبض إن كان إلى أجل[7] وقد أورد الونشريسي نازلة حول شهادة الدلالين في بيع ما باعوه وأخذوا عليه الأجرة ثم أنكره المبتاع، وادعاه عليه البائع، فأفتى إبن الحاج بإعمال شهادتهم إن كانت العدالة مرجوة فيهم[8].لذلك كان معظم التجار يختارون الدلالين الذين يثقون فيهم، كما

---

[1] الإدريسي، مصدر سابق، ص.17.

[2] ابن حوقل، مصدر سابق، ص. 101.

[3] من ذلك قولهم: لا تعمل خصل إلا مع أسود (مثل رقم 2013)، وقولهم : طُل ما تجد أسود لا تسخر أبيض (مثل رقم 1063) ، أنظر ، **أمثال العوام**، ج1، ص.219.

[4] الدمشقي(شمس الدين بن عبد الله)، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تح البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية مصر، 1977، ص.44.

[5] حسن علي حسن ،**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،عصر المرابطين والموحدين**_ مكتبة الخانجي، مصر ط1، 1980، ص. 351.

[6] الونشريسي، **المعيار**، ج5، ص. 210.

[7]نفسه، ص. 238.

[8]**المعيار**، ج10 ، ص.85 .

دلتنا كتب الوثائق على اشتراك اثنين فأكثر في الدلالة مجتمعين لا يفترقان ويكتبان في ذلك عقدا بينهما[1]وأحيانا يتحول التجار الى مهنة الدلالة في حالة إفلاسهم[2]، وأحيانا يخشى التجار من نفوذ الدلالين فاشتكوا منهم، لما تبين لهم أن أرباحهم صارت مماثلة لأرباحهم، خاصة وأنه ليس لهم رأس مال يخشون خسارته أو كساده[3]

● الوكلاء والسماسرة:

السمسار: هو الوسيط بين التاجر والمشتريفيم يُ باع، وهم أصناف منهم الطوافون[4] ومنهم من له دكان خاص لتصريف أعماله[5] أما الوكلاء فقد اتخذهم التجار التجار الذين كانت لهم مهن أخرى، تحول دون تنقلهم من مدينة لأخرى، فيقيم الوكيل في السوق لإتمام عملية البيع أو الشراء لصالح موكله ،نظير نسبة معينة محددة من ثمن السلعة التي يبيعها أو يشتريها[6] وفي الغالب لا يملك السماسرة والوكلاء رأس مال يوظفونه في التجارة، بل مهمتهم "تسهيل عمل التجار الكبار من خلال تسهيل رواج البضائع التجارية ويتلقون مقابل خدماتهم أجورا قد تصل أحيانا إلى نصف الأرباح عند

(1) الجزيري، **المقصد المحمود**، ص. 253.
(2) التادلي ، **التشوف**، ص. 402 وما بعدها.
(3) الونشريسي، نفسه، ج5، ص. 172.
(4) نفسه، ج 8 ، ص. 319.
(5) التادلي ، نفسه، ص. 131.
(6) توفيق سلطان ، **النظم العربية الإسلامية**، دار التوافق العربي ، العراق، ط2 ، 1985، ص. 333.

بعض السماسرة[1]وتشير كتب النوازل أن السماسرة غالبا ما يتسببون في مشاكل عويصة بين التجار[2]، لأنهم لا يملكون أموالا يخافون ضياعها .

ومن المهم الإشارة إلى نوع آخر من الوسطاء وهم الجلاسون، الذين نشطوا خلال العصر المرابطي،"**لكن الموحدين أوقفوهم من العمل في التجارة، لكنهم سرعان ما عادوا في عهد بني مرين**"[3]وليس من صنعتهم الشراء بل يتخذون دلالين يقسمون معهم الأجرة فيما يبيعونه، ومنهم من يجلس للنجش (زيادة ثمن السلعة دون شرائها) ليسمعها غيره فيزيد يزيادته "لذلك رأ ى الُمحتسبون أنه من باب الواجب منعهم من الأسواق .

۞ الصيارفة :

الصيارفة هم من يقومون باستبدال العملة والذهب والفضة، وعرفهم صاحب الدوحة المشتبكة قائلا "**أن الصرافين مستقرون بسوق الصرف يشتغلون في صرف النقود وبيع المعادن النفيسة**" [4]

ويشترط في الصراف أن يكون على علم ودراية كبيرتين بأسعار الصرف وكل ما يطرأ عليها من تغيرات بالزيادة أوالنقصان .

ونجد المسلمين عامة يحرمون على أبنائهم مزاولة هذه المهنة إتقاء في الوقوع في الشبهات والحرام، بحكم قربها من التعاملات الربوية، عكس اليهود الذين لا يتحرجون

---

[1] ابن رشد ، **الفتاوى** ، ج4 ، ص. 104.

[2] سُئل الإمام أبو عبد الله المازري عمن دفع إلى رجل قناطير يرجو أن يبيعها له بتوزر بأجرة معلومة وأذن له في أخذها بعد بيعه من تحت يده و أذن له أيضا أن يشتري ببقية المال من توزر، ما تُرجى فائدته **وأخذ ثلث الربح**... أنظر، الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص. 206.

[3]عز الدين عمر موسى، النشاط...، ص. 285..

[4] **الدوحة المشتبكة** ، ص. 133.

بالتعامل بالربا، وعلى هذا الأساس كان الصرافون معظمهم من اليهود[1] وكان تُجار الكتان والعطارين وغيرهم يدفعون أموالهم إلى هؤلاء الصيارفة ويكتبونها عليهم ليحيلوا بها عليهم من يشترون منه[2] ولا يُستبعد أن يكون الصرافون ممن يُسلفون التجار الصغار لأنهم كانوا يودعون عندهم أموالهم، والأكيد أن الفائدة كانت معتبرة، بلغت أحيانا إلى الضعف[3]

والجدير بالذكر أن التعامل بالحوالة كان سائرا في المبادلات، وقد تصدى الفقهاء في كثير من الأحيان لهذه الظاهرة معتبرين اياها أكلا لمال ربوي حرام، بحكم أن اليهود قد شاع عليهم تحليل الربا[4]

❁ الحمالون:

ورد في لسان العرب أن الحمال من يحمل الكل عن الناس[5]، والحمال حامل الأحمال وحرفته الحمالة ويقال للموضع الذي يضع حمله عليه ويستريح مستراح[6].

مستراح[6].

تبقى المعلومات التي أوردها المؤرخون عن مهنة الحمال شحيحة مقتضبة رغم دورهم الفعال في تنشيط الحركة التجارية، وغالبا ما تأتي أخبارهم في سباق

---

(1) محمد علي أحمد، **التجارة الداخلية في المغرب الاقصى في عصر الموحدين**، ص.132.

(2) الونشريسي، م س، ج6، ص. 315-317.

(3) عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص.281.

(4) المازري(أبو عبد الله محمد)، **فتاوى المازري**، تحقيق الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1994، ص.54.

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حمل، ج 11، ص. 180.

(6) نفسه، ص. 170.

قصة[1]،ولكن المؤكد أن الأسواق العامة كانت محل عملهم،وكان عليهم أن يستصحبوا معهم الدابة، أو الأقفاص ونحوهما، أو كانت أكتافهم وسيلة النقل الأساسية، مستخدمين الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لربط المنقولات[2]، ويوضح ابن عبدون أن الحمالين كانوا يتوزعون في الأسواق حسب الصنائع حيث **"لا يمشي حمال إلا أمام دابته، ويده في رسنها لينذر الناس،ويحذر العميان وذوي الغفلة والأعذار، ويجب أن يكون للحمالين في كل صنعة موقف معروف لا يتعداه**[3]، ويبدو أن الحمالين قد حملوا أكثر من طاقتهم، لذلك راقب المحتسبون كل من يحمل أكثر من نصف قفيز، لأنهم يهلكون أنفسهم، كما تخصص بعض الحمالين في حمل الأحجار والخشب على الدواب، وقد أدبهم المحتسبون عندما يثقلون على دوابهم[4]،كما روقب حمالوا اللحم إلى الحوانيت بأن لا يحملوه إلا في أوعية يغسلونها في الغد، ويمنعون أن يحملوا حوتا في أيديهم لئلا يمس أثواب الناس[5] كما أورد ابن الزيات بصدد الحديث عن أبي العباس السبتي أنه كان يأتيهم بالطعام على رأسه ليوفر أجرة الحمال[6]

---

[1]صلاح حسين، **الحمال، نماذج من صوره على الآثار العربية**، مجلة كلية الآداب، العدد 21، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد، المجلد الأول، ص. 525.

[2]روجي لوتورنو ، **فاس في عصر بني مرين**، ص. 82 .

[3]ابن عبدون، **ثلاث رسائل**، ص. 41.

[4] ابن الزيات، **التشوف**، ص. 455.

[5] السقطي، م س، 41، موسى لقبال، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**، ص. 116.

[6]ابن الزيات، **التشوف**، ص. 310.

وعموما كان لمهنة الحمالة قوانين وأعراف تنظم عملهم منها التميز في اللباس والدواب، إضافة أن يكون مرخصا له بممارسة هذه الحرفة[1]ولم يزاول هذه المهنة في الغالب من الفقراء وذوي الحاجة ممن ساقتهم ظروف الحياة الصعبة وكان لهم من الجهد والقوة ما يساعدهم على تحمل الثقال، وقد تعرضوا أوقاتا عديدة الى غارات لصوص الطريق، حيث أرودت كتب النوازل قضايا حول ضمان الحمالين[2] .

❁القصابون والدجاجون:

والجزارون، ويقصد بهم بائعوا اللحوم على إختلاف أنواعها، وترتبط هذه الحرفة بتوفر الثروة الحيوانية، وبما أن القبائل الموحدية كانت قبائل رعوية، كان لزاما أن يتوفر من يحترفون هذا العمل، ويورد لنا البكري نصا بالغ الأهمية عن سوق أغمات وريكة "**فسوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد...يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة، وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك** [3]، إن عدد الرؤوس التي تذبح حسب البكري هائل جدا، عدا التي تذبح في المحلات والمعاملات الأخرى [4]، مما يبين أن دون شك أن القصابين كانوا كثرا، حتى أن أحد الشعراء ممن كان يحترف القصابة ترك شعره وعاد إلى عمله القديم وهو أبو الفضل بن حسداي قائلا :

---

(1) السقطي، مصدر سابق، ص. 83.

(2) وقد أجاب فقهاء سبته عن الأكرياء الذين يحملون على دوابهم ، فيخرج عقبهم اللصوص ، فطرح أرباب الدواب الحمولة عن الدواب،و فروا بدوابهم، فقال عبد الرحمن بن العجوز: إذا كان ما دعاه أرباب الدواب من ذلك معروفا وفاشيا ولا منجى لهم إلا بذلك فلا ضمان عليهم، أنظر ، **نوازل ابن بشتغير** ، خ ع ر ، ورقة43

(3)البكري ،م س ، ص 153.

(4) محمد رابطة الدين، **الموحدون وإختيار مراكش**، متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص. 187.

تركت الشعر من عدم الإصابة   وعدت إلى التجارة والقصابة[1]

أما عن أصول هذه الحرفة، فقد نهى المحتسبون عن أنواع الغشوش، ونهوا أن يخلط لحم الضأن بغيره، وأن يبيع كل جزار بسعر يخصه حسب سلعته، ويمنعون من خلط اللحم ببطونه ومصرانه (الأمعاء) وكرش وشحم البطن والدوارة والفؤاد [2]، ولابد من إستقبال القبلة عند الذبح وذكر الله، ويمنع من ذبح الحوامل أو ذوات الألبان، وهذه الأوامر خاصة بالذُكاة وهم المكلفون بالذبح[3]، ويبدوا أن هؤلاء يعملون لصالح الجزارين، أو ربما أُجراء عندهم .

كما عرف الأندلسيون محلات لبيع الدجاج فقط، أطلق عليهم الدَجاجون، وورد في أمثالهم المتداولة قولهم : بحال حانوت الدَجاج، قصبتين وديك[4]، ربما كناية لعدم تكلفة المحل الشيء الكثير، أو لعدم إمتلاء المحل بالسلع.

وقد أشار ابن مناصف المعاصر للموحدين أن الجزارين وكل من تدعو الحاجة إلى ما في يده كانوا يلجؤون للمكر من خلال التواطؤ على إخلاء السوق من المادة التي يبيعونها حتى تضيق أحوال الناس ويضطرونهم إلى الإذعان لما يزيدون عليه[5]

---

(1) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، **زاد المسافر و غرة محيا الأدب السافر**، تحقيق وتعليق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، لبنان، 1970، ص. 45.

(2) العقباني (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر** ،تح علي الشنوفي ،المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق ، 1967م ، ص. 232.

(3) السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي)، **في آداب الحسبة** ،نشر ليفي بروفنسال، مكتبة أرنست لورو فرنسا، ص. 34 .

(4) الزجالي ، م س ، مثل رقم 647 , ص. 143.

(5) ابن مناصف ، م س ، ص. 124.

وعقوبة المحتكر حسب ابن زكون الذي عاصر عبد المؤمن بن علي **"قيام أعوان الدولة بإخراج البضائع المحتكرة وبيعها في السوق بالثمن الذي اشتراها به المحتكر"**[1] ويبدو أن اللحم وصل سعره في المغرب إلى ثمانية عشرة أوقية بدرهمين عند غلاء الأسعار[2]

أما عن أعداد مزاولي القصابة، فيبدو أنه كان كبيرا، والدليل إحصائيات الجزنائي حول مدينة فاس وحدها، التي فاق عددهم أربعين[3] ولا نشك أن الأمر لا يختلف كثيرا في باقي حواضر الغرب الاسلامي، خاصة التي كانت بها ثروة حيوانية معتبرة، بالأرياف وحتى المدن .

نشير أن بعض المتصوفة مارس الجزارة، فقد كانوا **"لا يشترون الغنم إلا من قوم يُعرف طيب مكسبهم"**[4] وهذا لشدة ورعهم وخوفهم مخافة الوقوع في الحرام، وربما تصدقوا منه أحايين كثيرة كما أشارت الى ذلك كتب التصوف والمناقب.

❁الصيادون (في البر والبحر):

إلى جانب اللحوم الحمراء، كان هناك صيادو السمك يبحثون عن اللحوم البيضاء، ويسمون الحواتين والخناقين حسب اللهجة الأندلسية[5] والحق أن الأخبار عنهم قليلة

---

[1] ابن زكون (حسن بن ابراهيم)، **إعتماد الحكام في مسائل الأحكام**، مخ خ ع ر رقم 413، ص 414.

[2] ابن بطوطة ، م س، ج2 ، صص.433، ابراهيم القادري بوتشيش ، **إضاءات** ، ص110.

[3] الجزنائي ، م س، ص. 44 ، انظر إحصائيات المدينة في الملاحق.

[4] ابن الزيات، م س، ص. 102.

[5] من الأمثال الأندلسية قولهم : شيوخ الحواتين أكبرهم أحمقهم، الزجالي، **أمثال العوام**، ج2، مثل1870، ص.429.

بالرغم من دورهم في إفادة مجتمع الغرب الإسلامي عموما، على طول سواحل المتوسط والمحيط الاطلنطي[1]

ويفيدنا الأنصاري أن" **بمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يعدلها بلد في إصابة الحوت وجليه، ويُصاد بها من السمك نحو مئة نوع، ويُصاد بها السمك المسمى التن الكبير الكثير**[2] وقد حفلت بعض كتب المناقب والتصوف بذكر بعض من احترفوا الصيد على غرار ابن الزيات الذي ذكر بصدد ترجمته لأبي ابراهيم الهزرجي (ت581هـ) أنه قال لأحد تلاميذه" إذهب إلى أحمد الحوات وقل له أن يبعث لنا حوتا طيبا"[3]

ونفس الشيء يقال في غزارة الحوت بساحل شلوبينية[4]" **فحوت هذه السواحل أغزر من رمله تُغري القوافل إلى البلاد بحمله**[5]وبالتالي كثر صيد الأسماك غرب المغرب وكذا بلاد الأندلس، دون أن نغفل شرق المغرب ،حيث ذكر الإدريسي اثنا عشرة نوعا من السمك يصاد ببنزرت[6]

ونشير أن "حمل السمك إلى المناطق الداخلية طريا كان يُحفظ في العسل أو مُجففا[7]وهي طرق تعود عليها الحواتون والتجار، وأثبتت نجاعتها، وهذا ما ساهم في إيصال الأسماك إلى أماكن داخلية بعيدة.

---

[1] جمال طه، **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي** ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر ، ط1 2004، ص. 129.

[2] الأنصاري ، **إختصار الأخبار**، ص. 64.

[3] ابن الزيات، **التشوف**، ص. 230.

[4] شلوبينية: تقع على البحر (المتوسط) على بعد عشرة أميال شرقي المنكب،**الحميري**، مصدر سابق، ص111.

[5] ابن الخطيب، **معيار الإختبار**، ص. 56.

[6] هذه الأنواع: البوري، القاجوج، المحل،الطلنط، الاشبلينيات، الشلبة، القلا، القاروض، اللاج، الجوجة، الكحلا، الطنفلوأو الطنفل، ولكل شهر من السنة نوع من الأسماك، **الإدريسي**، مصدر سابق، ص. 189.

[7] عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي**، ص203.

أما صيد البر فتتعاطاه قبائل المغرب كلها، ومناطق من الأندلس، باستعمال الكلاب أو الكلاب السلوقية المدربة على الصيد، وكذلك الصقور، وطريقة الفخاخ لصيد اليمام[1] فيصطادون الطير والحيوان والحشرات والبط والحمام والحجل والصقور والأرانب والأيول والضربان واليحمور(شبيه العنزة) والنعام والسلاحف البرية والفنك، ما تؤكل لحومها وتُستغل جلودها وريشها " حتى الأسود، حيث ذكر الإدريسي أن قرية أكسي بها بيت متخذ لصيد الأسود وربما صيد في الجمعة الواحدة الثلاثة أو الأربعة أو أكثر[2]كما وصف لنا أعراب المغرب أنهم"يخرجون دائما لصيد الغزال وحمار الوحش والنعام واللمط[3]وصيد الخواص في بحيرة بنزرت لفرائه[4] الثمين وغيرها من مناطق الصيد.

تجار الحليب واللبن:

إشتهر تجار الحليب واللبانون والسمانون بالعدوتين، وكانت لهم متاجر خاصة يبيعون فيها الحليب واللبن وما اشتُق منها، وكانت تحتوي غالبا على وعاء من خشب مطوق بالحديد يُسمى بالمايوقي[5]ويشتري هؤلاء الحليب من البقارين الذين يُسمنون أبقارهم لغرض بيع حليبها[6]ونبهتنا كتب الحسبة إلى غشهم فقد بين السقطي"إذا غُش اللبن والحليب بالماء وغُمست فيه شعرة لم يطلع منه شيئ عليها وإن لم يغش بالماء

---

[1] حسن الوزان، م س ، ج1، ص. 305.

[2] الادريسي، م س ، ص. 141.

[3] اللمط: حيوان بري يشبه الغزال يصنعون من جلوده الدرق اللمطية ذات الشهرة الواسعة، ابن سعيد، الجغرافيا، ص.112.

[4] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 118، عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص. 203.

[5] حسن الوزان، م س، ص. 234.

[6] محمد علي أحمد، **التجارة الداخلية في عصر الموحدين**، ص. 66.

طلع اللبن عليها مكللا...وإذا قطر على خزف سال كالدر وجرى، وإن لك يكن فيه غش وقف ولم يجر"[1] وتشدد المحتسبون معهم في مسألة النظافة بغسل أوانيهم جيدا[2]

أنواع الناشطين في الفلاحة :

نظرا لأن الأراضي الزراعية كانت بين ماهي ملك للخواص وماهي ملك للدولة، فقلكان لها في العصر الموحدي ديوان يُعرف صاحبه **بأمين الضياع**[3]وهو مسؤول كذلك عن أراضي الخليفة والمحافظة عليها، لذلك صدق أحد الباحثين حين اعتبر من الصعوبة التفريق بين أملاك الخليفة الموحدي وأملاك الدولة[4]رغم أن صاحب البيان يذكر أن ابن زهر كان مسؤولا عن"**أ مر الُمستخلص وأملاك الُسلطان**"[5]ولكن الموحدين الموحدين احترموا الملكية الخاصة ولم يتسلطوا على أموال الناس- خصوصا فترة الدولة، ولكن أبقت الدولة على إجراءات التأديب في مصادرة أملاك الثائرين[6]

أما الملكيات الخاصة التي ُسميت أحيانا بلفظ "أصالة" فقد بدأت بالظهور بوضوح عند استقرار الأوضاع بعد الثورة الموحدية، والأمثلة كثيرة على كبار الضياع التي امتلكها سكان أصليون أو مهاجرون من مناطق أخرى[7]أو فقهاء وقضاة وعلماء ووجهاء، وقد ولد هذا الأمر نقمة في بلاد المغرب والأندلس على حد سواء حتى قال شاعرهم[8]:

---

(1) السقطي، مصدر سابق ، ص. 65.

(2) ابن عبدون ، **ثلاث رسائل**، ص.92.

(3) البيذق، **أخبار المهدي**، ص. 78.

(4) عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي..**، ص. 139.

(5) ابن عذارى، **البيان، قسم الموحدين** ، ص. 65.

(6) المراكشي، **المعجب**، ص. 244.

(7) أحمد جمال طه، مرجع سابق، ص.155.

(8) المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص.398.

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في الظالم العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاســم

وركبتم شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم

❁ ألمزارعون:

ويشكلون طبقة لا يُستهان بها في العدوتين، وهم الذين اتخذوا الأرض مصدرا لرزقهم، من خلال زراعتها بمختلف المحاصيل، أو الأشجار المُثمرة وغيرها، وتُعتبر الحبوب من البُر والشعير أهم ما يزرعه هؤلاء، فمثلا يشير البكري بصدد حديثه عن سجلماسة"أن أحد سكانها كانوا يحصدون ثلاث سنوات متتالية مما زرعوه سنة واحدة فقط"[1] وما يلاحظ أنه غلبت الزراعة المعيشية بالعدوتين على حد سواء.

❁ الطحانون:

الطحانون هو من يتو لون طحن الغلة من البُر والشعير وما شاكلهما، وقد تناولت كتب الحسبة بإسهاب عمل الطحانين، فقد "**نهت عن الذي يأخذه أصحاب الأرحية على الطحن لا ينبغي إلا أن يكون بكيل معلوم جار بين الناس**"[2]لذلك كان الموحدون يراقبونالمطاحن ويُعاقبون الذين يغشون، حتى يصل الدقيق إلى المُستهلك سالما وجيدا[3]وبين السقطي في أكثر من موضع غشوش الطحانين إذ يخلطون الطحين الرديء الرديء بالطيب، ويأخذون من الدرمك ما يشاؤون معوضين عنه بالشينية[4]وكذلك

---

(1) البكري، م س، ص148.

(2) يحي بن عمر، **أحكام السوق**، ص. 105.

(3) محمد عبد الوهاب خلاف، **قرطبة الإسلامية**، ص. 160.

(4) الشينية البيضاء: نوع من الغلة التي تُستخدم في عمل الخبز، السُقطي، مصدر سابق ، ص. 22.

يسقون القمح بالماء، أو يُخلطوه بالتراب الابيض لكي يطعوا لأنفسهم ما يُعادل وزنه قمحا[1]

هذه المطاحن التي كانت موزعة بين أراضي العدوتين، خاصة عند الأنهار، ففي فاس أربعمئة واثنين وسبعين من الأرحى[2]كما أشار الإدريسي إلى وادي وريكة قد رُكبت عليه أرحاؤهم وفيها يطحنون الحنطة[3] غير أن بعض السكان المحادين للأنهار كسكان تارودنت الذين يمتنعون عن صناعة المطاحين وإقامتها على وادي سوس المار بهم، وحجتهم أن المياه الرائقة لا يجب أن تكون عليها مثل هذه الأرحاء[4]

❁ مربو الخيول والماشية و الحمير والبغال:

لقيت خيول المغرب خصوصا إقبالا كبيرا من مختلف المناطق، خاصة من بلاد السودان، الذين تتميز خيولهم بقصر قامتها[5]، فوجدت في خيول المغرب الشكل المثالي، "وقد غدت بعض المناطق المغربية كالسهول الساحلية والهضاب الشرقية وبلاد جزولة خزانا لأجود الخيول والافراس"[6]حتى كان ثمن الفرس الواحدة باهضا جدا، ويُصنف الجواد البربري ثانيا بعد الحصان العربي الأصيل،.وإن كان أقل منه جمالا وانسيابية إلا أنه أكثر تحملا وصبرا، وسرعة في المسافات القصيرة.

(1) نفسه، ص. 32.

(2) الجزنائي، م س، ص. 47.

(3) الإدريسي، م س، ص.231.

(4) الإستبصار، ص 211، قدور أحمد، **المدن الموحدية وعلاقاتها بالأقاليم** ، ص.42.

(5) الحميري، م س، ص.427.

(6) الحسين بولقطيب، **حفريات في تاريخ المغرب الوسيط**، جذور للنشر، الرباط، 2002، ص.70.

وامتد الإهتمام بالخيول إلى الطبقة الخاصة، فالخليفة الموحدي المنصور كان يملك عددا كبيرا من الخيول بنى لها ثلاثة إصطبلات وعين لها رئيسا وأسكنه قرب قصره[1]

وبالنسبة للحمار في العصر الوسيط عموما يبدو الاستعمال الواسع له، وخصوصا في العصر الموحدي[2]، في الركوب ونقل البضائع والأشغال الفلاحية من حرث ودرس ونقل المحاصيل وفي السقي وإدارة النواعير[3]،وفي نقل الأسماك ،كما استعمله الدباغون وسائر الحرفيين في نقل سلعهم، كما استعملت في التشنيع ببعض المتمردين والمجرمين، اذ يرغمهم المحتسب على ركوب الحمار غالبا مقلوبين دون سرج أو بردعة ويطاف بهم في الأزقة والدروب[4]، وتحدثت المصادر عن تربية نوعين من الحمير: الحمير صغيرة الحجم والخفيفة، وهي نوع محلي جبلي، وقد ذكرت كتب التصوف هذا النوع في سياق ذكر كرامات الأولياء والمتصوفة[5]والحمير الكبيرة الكبيرة الضخمة الشبيهة بالبغال، وهي حسبما يبدو مهجنة عن الحمير المصرية[6]ورغم أن العديد من الأسر المغربية والأندلسية قد امتهنت تربية الحمير وبيعها، إلا أن هذه الحرفة بقيت متأثرة بمجموعة من العوامل التي تؤثر في أعدادها، كالحروب الطاعون، الإفتراس، وحتى المجاعة،حيث يلجأ البعض الى أكل لحومها[7]وهناك مصدر آخر لجلب الأحمرة وهو غنائم الحروب، اذ يؤكد المقري أن

---

(1) حسن الوزان، م س، ج1، ص 133.

(2) كان للمهدي بن تومرت حمار اهدي له بعد عودته من المشرق، وكان يؤثر عبد المؤمن بن علي في ركوبه قائلا لأصحابه:أركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة ،كناية عن اتساع الملك، أنظر، ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص 254.

(3) ينظر ، ابن الزيات ، **التشوف**، ص. 127.

(4) أنظر **ثلاث رسائل أندلسية** ، فيها تفصيل العقوبات والزواجر.

(5) ذكر التادلي أن الحمير قد افلتت من الاسود بفضل الكرامات ، أنظر: التشوف، ص. 202، 252.

(6) محمد حجي، م س ، ص. 118 .

(7) رغم عدم عثورنا في المصادر صراحة عن اكل لحومها ، الا أنه غير مستبعد تماما نظرا للمجاعات الكثيرة التي تعرض لها الغرب الاسلامي عموما في عصر الموحدين ، وغير عصرهم.

الموحدين غنموا من معركة الأرك وحدها سنة(591هـ-1195م) أكثر من أربعمائة ألف حمار[1]وان كان في هذا الرقم نظر، بالرغم من أن النصارى إستعملوهم لنقل عتادهم الثقيل لأنهم لا يملكون إبلا حسب صاحب الرواية[2]ولا يستبعد أن أعدادا منها نقلت من الأندلس إلى الأراضي المغربية لاستعمالها في مختلف الأغراض[3]

❁ الرعــاة :

الراعي هو الشخص الموكل برعاية الماشية وحفظها والعناية بها[4] وترتبط حرفة حرفة الرعي إرتباطا وثيقا بالزراعة، والحقيقة أنه من السمات الموروثة بين قبائل الموحدين اقتضتها طبيعة العيش أحيانا، خاصة في المناطق السهبية وشبه الصحراوية التي كانت مركزا لكثير من القبائل[5] وفي هذا الصدد يقول المراكشي متحدثا عن كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي" **أنها لم يكن لها في قديم الدهر ولا في حديثه ذكر في رياسة ولا حظ من نباهة...إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم"**[6] .

والمتتبع لطبيعة الرعي يجد نوعين متمايزين :مختلط بمناطق الزراعة، وآخر معزول في الشبه الصحراوي[7]

---

[1] المقري ، م س، ج 1، ص. 388 .

[2] نفسه، ص. 389 .

[3] حول هذا ينظر، موسى هواري ، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة الموحدين** ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر2، 2008_2009، ص. 88.

[4] ابن منظور ، م س ، مح 1 ، ص 778.

[5] عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط2، 2002، ص198.

[6] المراكشي، م س ، ص. 339.

[7] عز الدين عمر موسى، نفسه، ص.199.

وبالنسبة لأنواع الرعاة ينقسمون لنوعين رئيسيين: مستقرون ومستأجرون، ولحسن الحظ فقد حوت كتب العقود عددا معتبرا من عقود استئجار الرعاة من خلالها يمكن أخذ صورة عن هذه الحرفة، التي كانت منتشرة بشكل كبير في بلاد الغرب الإسلامي كله، ويحدد في العقد عموما مدة الإجارة التي تبدأ من سنة فما فوق، ويلتزم صاحب الأغنام أن يوفر للراعي أكله ومؤونته وكسوته إلى إنقضاء أمد الإجارة، ويلتزم الراعي بحراسة الأغنام بعد عدها ويحملها لربها، ويتخير لها المسارح الطيبة أحسن اختيار، وأن يبذل النصيحة لرب الماشية ما استطاع[1]وبينت بعض العقود حتى صفات الراعي وجسمه وصفته[2] والمعروف أنه ليس للراعي ضمان فيما تلف منها إلا أن فرط وتعدى، وجميع الحيوان والغنم والبقر والإبل والمعز والجمال سواء في ذلك[3]وفي هذه الحالة تنقص من أجرة الراعي نظير اهماله أو تعديه، وينتقل الرعاة حسب هذه العقود بحثا عن المسارح الجيدة بين الجبال والسهول والسهوب، باحثين عن أماكن الأنهار والزرع،حيث تطيب المنابت[4]ويلجأ أحيانا الى تعليف الحيوانات في الإسطبلات في حالات الجفاف أو تعذر خروج الماشية، أو كما حدث مع الخليفة المنصور الموحدي الذي اتخذ مخازن للحبوب خزن فيها القمح والشعير[5]، وعنلتمإام عمل الرعاة يـُ أوي الرعاة ماشيتهم الى الإسطبلات لتقضي ليلها، وحفاظا عليها من السرقة، ومن السباع والضباع، ومن عوامل الطبيعة القاسية،وكان أصحاب الماشيةُ حسنون إعداد إسطبلاتهم حتى لا تتعرض حيواناتهم للأخطار المحتملة، ويلجئون في الغالب لتبليطها[6] .

---

(1) **وثائق المرابطين والموحدين**، ص. 486، أنظر الملحق آخر الدراسة.

(2) نفسه ، ص. 480.

(3) نفسه ، ص. 482.

(4) ابن خلدون ، العبر ، ج3 ، ص. 477.

(5) حول هذا ينظر، موسى هواري ، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب** ...، ص. 126.

(6) أنظر : **وثائق**، ص. 309.

❁ مربو الدواجن والطيور:

مارس الفلاحون في العدوتين تربية الدواجن والطيور الأليفة والحمام، بغرض أكلها، أو الإستفادة من زبلها في إصلاح الأرض[1] حيث يصف ابن الخطيب مدينة غرناطة " **ذات بروج سامية وبيادير فسيحة وُصاب للحمايم والدواجن مائلة**[2]تعدت الأربعين ميلا، ولا ريب أن مناطق المغرب لم تختلف عن عدوة الأندلس في هذه الحرفة، والتي كانت أحيانا متوارثة.

❁ مربو النحل:

جعل الله تعالى الشفاء في العسل وبارك في تربية النحل، وقد اتخذ كثير من الفلاحين في الغرب الاسلامي عموما من تربية النحل وبيع العسل مصدرا للرزق، وتميز الأندلس مقارنة ببلاد المغرب بأنواع جيدة من العسل، أما الأماكن التي تلائم تربيته فهي الباردة في الصيف، والدافئة نسبيا في الشتاء، زيادة على أن تكون طيبة الرائحة كثيرة العشب والشجر[3] أما بيوت النحل، فقد وصف لنا ابن العوام الأندلسي (ت580هـ) كيفية صنعها بقوله "**فيتخذ لهن رفوفا من خشب ذراع في ذراع، وتوضع عليها خلاياهن، ويـُطلى ذلك الرف برماد وروث، وتكون تلك الرفوف في حائط عال، يتخذ لهن في حجارة ويترك لهن من خلال الحجارة مواضع يخرجن منها..**" [4]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، ص. 109، عز الدين، **النشاط الإقتصادي**، ص. 202.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص.133.

[3] العمري، مسالك الأبصار، ص144، عياد مبروك، **الحياة الإقتصادية والاجتماعية في الأندلس خلال عصر الموحدين**، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس،الرباط، 2003/2002، ص.217.

[4] ابن العوام(أبو زكريا يحي الإشبيلي)، **الفلاحة الأندلسية**، تحقيق أنور ابو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 2012، ج6، ص. 280.

وتنوعت مناطق تربية النحل بالغرب الإسلامي عموما، فنجد مثلا باجة[1]وقسنطينة وساحل تلمسان وتادلا، والسوس وأرض دكالة وبلاد حاحة حيث العسل الأبيض، وقد شاع عند أهل المغرب عموما أنهم "**ينتبذون نبيذ العسل فيشربونه ويسكرهم الإسكار العظيم، ويعمل من الصداع ما لا يعمله نبيذ الذرة**" [2]

وفي الأندلس برزت إشبيلية كقطب للعسل[3] وبجبال جيان[4]وقرمونة وشلب وغيرها.

❁ مربو دودة الحرير:

يربى دود الحرير في آلات مصنوعة بأوراث البقر، إلى ان يعمل الحرير الخام الذي تبنيه الدود على نفسها بنيانا بعدما تموت بداخله[5]واشتهرت الأندلس بالخصوص بغراسة شجرة التوت في كثير من الغابات التي تتلائم مع هذا النوع، لأن دودة الحرير تُربى على أوراقه[6]، ومن أشهر مدن الأندلس في تربيته نذكر: مدينة جيان، التي ذكر الإدريسي أن بها أكثر من ثلاثة آلاف موضع يربى فيه دودة الحرير[7]، أما في المغرب فقد ذاع صيت مدينة قابس، وعن حريرها المتين وعنه تحدثت جل المصادر القريبة[8]واستخدم في مجالات عديدة.

❁ الخضارون

[1] ابن سعيد المغربي، م س، ج2، ص. 402، المقري، النفح، ج1، ص.208.
[2] ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص. 77.
[3] المقري، نفسه، ص. 211.
[4] الحميري، م س، ص. 42.
[5] العمري، مسالك الأبصار، ص144، عياد مبروك، **مرجع سبق ذكره** ، ص.217.
[6] الحميري، **الروض المعطار**، ص. 223.
[7] الإدريسي، م س، ص. 312.
[8] الإستبصار، ص. 113، الحميري، م س، ص. 386.

يبيع الخضاون مختلف الخضر حسب المواسم، فنجد البطاطا والخيار والقثاء والقرع واللفت والجزر والباذنجان والقنبيط والكرنب والبصل والثوم والسلق والكُواث والخس[1] حسب المواسم كذلك.

۞ الفاكهانيون:

إتخذ كثير من السكان في العدوتين بيع الفاكهة بمختلف أنواعها مصدرا لعيشهم، نظرا لتنوع واختلاف أنواع الفاكهة، ولم يغفل المُحتسبون عن هذه الفئة حين أمروا أن "**يتخذ بائع الفاكهة اليابسة وعاء للوزن من الدوم(نوع من النباتات تشبه النخيل) أو ما شاكله، شرحيا لا يخفي من خارجه ما في جوفه، وبائع الفاكهة الرطبة وعاء من الحلفة وما شاكلها كالصناج ويتعاهده بالغسل**..." [2]

ومن الفواكه التي انتشر بيعها في العُدوتين، نجد: الرمان والسفرجل والتفاح والخوخ والمشمش، والكُمثرى، والعنب والُعناب، والموز والبطيخ، والتين، والإجاص والتمر[3] وغيرها من الفواكه، وقد راقب المحتسبون هذه الحرفة، حيث أشار ابن عبدون عبدون مثلا أنه لا يباع العنب بكثرة مخافة أن يصنع منه خمر، إلا بعد نظر وتثبت[4]

والأكيد أن الحضور الكبير للمؤلفات التي تناولت طرق التشجير وشروط التلقيم بين الأشجار وغيرها كان معظمها أندلسيا، وهذا الأمر ربما يعطي إنطباعا بأن أنواع الفواكه كانت بشكل أوفر في العدوة الأندلسية مقارنة بالمغرب .

---

(1) نفسه، ج2، ص. 301.

(2) ابن العوام الإشبيلي، **الفلاحة الأندلسية**، ج1، ص. 87، ج2، صص.227-241.

(3) نفسه، ج2، صص.223-244.

(4) ابن عبدون، **ثلاث رسائل**، ص.47..

هذا ما وفقنا أن نقف عليه من أهم الحرف المرتبطة بالأنشطة الإقتصادية من الفلاحة والتجارة، أو بهما في أن، ولكن الأكيد أن هناك حرفا أخرى لم نحط بها وغفلتها الدراسة في مجملها، أو أن مادتها كانت ضنينة، ولم نبسط فيها شرحا، وهو راجع حتما لطبيعة الموضوع الذي يعتبر من أوسع المواضيع حضورا من كل النواحي، ولابد له من دراسات أخرى مكملة تزيده بسطا وشرحا. لأن كل نوع من أنواع المهن أو الحرف أو الصنائع المذكورة قد يحتاج إلى دراسة مفردة لإعطائه حقه من الدراسة والتمحيص.

خاتمة:

تمخضت دراسة المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي إبان العهد الموحدي على مجموعة من النتائج، يمكننا أن نوجزها فيما يلي:

۞ موضوع المهن والصنائع والحرف كان اختصاصا فقهيا وفلسفيا قبل أن يكون تاريخيا، بحكم ما وقفنا عليه من خلال كتابات التراث الإسلامي، وأهم التصنيفات التي تناولت المهن والصنائع والحرف، أو ما اصطُلح عليه عمالات شرعية، كما أن البحث فيه يستدعي إلماما ومعرفة ضرورية بكثير من المعارف والعلوم.

۞ بينت الدراسة الفروق الواضحة في أسماء المهن والصنائع والحرف، وبالتالي في مسمياتها، وإن كنا لم نقف على التحديد الدقيق، إلا أن محاولة تُتبع هذه الفروق يجعل الباب مفتوحا لإجتهادات أخرى، كما أن قضية تصنيفها كانت ولا تزال تطرح إشكالية عميقة تعيق الباحثين وتؤرقهم.

۞بينت الدراسة أن التنظيم الحرفي في الغرب الإسلامي قد بُني على مجموعة من الأسس التي ضبطها الشرع الحكيم، وفق أصل" **لا ضرر ولا ضرار"،** كما خضع لوظيفة سامية وهي المحتسب، الذي كان بمثابة عصب هذا التنظيم، وفوق كل هذا سبقه التخطيط الإسلامي للمدينة الموحدية وفق ضوابط خاصة.

۞ أهم ما جاءت به هذه الدراسة كان في باب المهن والصنائع المنبو ذة والمُحرمة إبان العهد الموحدي، وهي كما قررنا سابقا من المواضيع المسكوت عنها، وتبين جليا أن هذه المهن والصنائع تُشكل نسيجا قد تغلغل ولا يُستهان به، سواء في المجتمع، أو حتى عند الطبقة الخاصة، كما يطرح إشكالات أخرى حول مسألة التواطئ، بحكم أن مهنا محرمة على شاكلة البغاء قد رسمت لها طريقا وتجذرت أمام صمت مطبق أحيانا من ولاة الأمر، وصار مزاولوها طبقة قائمة، كما أن ظاهرة التسول قد عرت السلطة

الموحدية وأبدت عورتها في كثير من مراحلها التاريخية، وبينت أن الفقر والحاجة قد لازما الطبقة الضعيفة.

۞ إن وجود المهن والصنائع المحرمة يفتح كذلك تساؤلات مشروعة حول الأسس الدينية التي قامت عليها الدولة الموحدية، وهل كانت مطية فقط للوصل إلى السلطة، أم أنها كانت حتمية أملتها الظروف حينا بعد حين، والعجز الواضح عن الحد من هذه المهن كان يرجع غالبا لضعف الشخصيات الموحدية، وكذا الظروف السيئة التي عصفت بدواليب الدولة خصوصا في النصف الثاني من العهد الموحدي .

۞ فصلت الدراسة في المهن الدينية التي كانت من أسس قيام الدولة الموحدية على شاكلة المُحتسبين والقُضاة والموثقين، وكذا أخرى أدبية، مما لم تدع مجالا للشك حول الطفرة النوعية التي عرفها العهد الموحدي من تطور كبير في الآداب والفنون، وما إبتداع مجانية التعليم وإجباريته في المراحل الأولى من طرف الموحدين إلا دليل على المستوى الراقي الذي وصلته ذهنيات الحكام الموحدين، كما بينت من جهة أخرى الوضع الهش الذي عاشه بعض من كانوا يبدون أنهم من الخاصة، لأن وضعهم لم يكن بالصورة التي رُسمت لهم، أو يجب أن تكون، في حين جمع آخرون ثروة طائلة جعلتهم من علية القوم، وجعلوا مهنهم مطية لغناهم، وأضيفت لهم ألقاب التشريف والتفخيم .

۞ أجلت الدراسة التنظيم الإداري والديواني المُحكم للدولة الموحدية، من خلال الوقوف على أهم المناصب العليا، إبتداء من الولاة والوزراء وصولا إلى الحراس والمتجسسين، وفق سُلم تراتبي عجيب، له دلالات واضحة على وقوف الدولة أمام هزات عنيفة عصفت بها من طرف معارضيها، وهو ما بين حرص الدولة على المهن التي تحفظ هيبتها وتديم بقاءها.

۞ كما غاصت الدراسة في عمق المجتمع الموحدي من خلال إستعراض مهن ضرورية على شاكلة الأطباء والبياطرة، وبينت مدى التطور والرقي الحاصل فيها من خلال تطور العلوم المرتبطة بهذه المهن، وموقع أهل الذمة في كثير منها، مما وضح جليا ذلك التعايش في ظل الحكم الموحدي، رغم ما يشاع عن الإضطهاد غير المبرر للذميين، إضافة إلى مهن أخرى امتهنها العامة والسوقة كما يُنعتون من المصادر المعاصرة، من الحلاقين والحجامين والسقائين وغيرهم، وبينت طريقة تفكيرهم، وقد عرف عن كثير هؤلاء سوء الخلق والإنحراف أحيانا كثيرة، فأساؤوا لحرفهم ومهنهم أكثر مما أساؤوا لأنفسهم، فصار الناس يستهجنونهم ويحطون من أقدارهم، وكان للمرأة الموحدية منها نصيب، وإن كان عملها قد دعت إليه ضرورة العيش غالبا، لكن أثرها كان واضحا، ودون شك هذه الفسيفساء في كثرة المهن فرضتها طبيعة التمدن الذي صار سمة ميزت كثيرا من المدن الموحدية في العدوتين، وهو يبين في نفس الوقت تلك الحركية الإقتصادية التي ميزت كثيرا من الحواضر الموحدية في العدوتين.

۞ أبرزت الدراسة بابا من جماليات الصنائع الموحدية، من خلال تُتبع مختلف الصناعات، والوقوف على أجمل ما ترك الصانع في الغرب الإسلامي، سواء في الفنون الجميلة من التجليد والتذهيب وفنون النسخ، أو في البناء والهندسة وكذا الصناعات العسكرية التي فسرت تفوق القوة الموحدية على نظيرتها النصرانية، مع ملاحظة الكم الهائل من الصناعات الزراعية والتحويلية التي طورها الموحدون مقارنة بأسلافهم المرابطين، وخلقت مناصبا جديدة للعمل، كما أن تطور الصناعات المعدنية والميكانيكية يعطي معنى الأبهة والعظمة التي حرص الموحدون على أن تكون فيها دولتهم بعد بلوغها مرحلة الترف والدعة أن تكون مركز القيادة بالغرب الإسلامي منافسة الخلافة العباسية بالمشرق.

۞ ومن خلال تفصيل الحرف المرتبطة بالفلاحة والتجارة يبدو بوضوح أن إنحصار الفلاحة نوعا ما لصالح التجارة، له أسبابه ومبرراته وكذا واقعه الذي فرضه، سواء محليا أو على المستوى الإقليمي آنذاك، من خلال التطور التجاري الكبير الذي كانت فيه الدولة الموحدية المعادلة الأهم، وكان للحضور الذمي دور بارز، ومن خلال منافسة الدينار الموحدي الذي وصل إلى أقاليم بعيدة يمكن فهم التطور النقدي والتجاري الذي عاشته الدولة .

وبين هذا وذاك، بينت الدراسة أن الإلمام بمختلف المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي هو من الصعوبة بما كان، خاصة مع نقص المادة المصدرية في كثير من الأحيان، ولكن هذا لا يمنع من خلق دراسات تستأنس بما هو موجود من مادة علمية، ومحاولة الإسقاط العلمي المبني على معطيات صحيحة، يبدو السبيل الأمثل لسد كثير من فجوات تاريخنا الوسيط، وعسى أن تكون هذه الدراسة نافذة يلج منها مستقبلا كل دارس ومهتم بالدراسات الحرفية بالغرب الإسلامي .

والله الموفق والمستعان.

الملاحق

أ/ نصوص

ب/ جداول وصور

أ/ نصوص

ملحق رقم1:

ولما كانت الصنعة أشرف شيء يتعلمه الإنسان، بعد علمه بمسائل دينه ومحابل شريعته وجب أن نصدر هذا الكتاب بباب الحض على الصنعة، كي يحرص الطالب على الطلب، ويكون له فيه عمل معيشته أجمل السبب، ألا ترى إلى قوله تعالى: وعلَم آدم الأسماء كلها، قالوا هي الصناعات، وقال تعالى **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**، في قصة نوح عليه السلام، وكانت صناعة السفينة، ففي هذا دليل على الحض في تعليم الصناعة، وقد روي أن إدريس عليه السلام أول من ضرب المقص والإبرة، وأول من خاط الثوب، فأول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه بعد معرفته بدينه، صنعة تكون عنده، فإنه قد قيل لا حرز كالطلعة ولا كنز كالصنعة، وإذا لم يكن للإنسان فائدة من علم أو أدب فلا فرق بينه وبين العامة وإن كان من العامة ولم تكن عنده فائدة من صنعة يلجأ إليه في بعض الخاصة، فلا فرق بينه وبين الحيوان الذي لا ينطق، لأن الإنسان إنما سمي ناطقا بين سائر الحيوان لاحترافه وصنعته وتحرفه بحول الله ومعرفته بالله تعالى، ولا يعرف الله تعالى من ليس له علم في دين، فإذا لم تكن له فائدة من هذين فلا فرق بينه وبين الحيوان الذي لا ينطق، وقد قال خالد بن صفوان: إن الناس ثلاثة أصناف، صنف علماء، وصنف أدباء، وصنف حنطاء،(الحنطة في اللسان المغربي العامي الحرفة)ووجوه يغلون الأسعار ويضيقون الطريق، ألا ترى الناس إنما يتحملون من الحيوان الذي لا ينطق ما له حرفة مثل البازي والكلب الضاريين للصيد ونحوهما، فمن الواجب على الإنسان أن يبتغي علما وأدبا ثم لا غنى له[1].

باب في الحض على تعليم الصنعة

---

[1] **بكر بن ابراهيم الاشبيلي ، كتاب التيسير في صناعة التسفير ، نشر عبد الله كنون ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، اسبانيا ، المجلدان السابع والثامن ، 1959 – 1960 ، صص 40_ 41.**

ملحق رقم 2 :

...وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، وانتهى عدد مساجدها في أيام المنصور وولده محمد الناصر إلى سبعمائة وخمسة وثمانين مسجدا .

وإحصاء ما بها من السقايا وديار الوضوء مئة واثنان وعشرون موضعا، منها إثنان موضعا في ديار الوضوء، وباقيها سقايات منها بمياه العيون، ومنها بمياه الأنهار وأحصيت الحمامات، منها المبرزة للناس في تلك المدة، فكانت ثلاثة وسبعين حماما، وأحصيت الأرحاء التي عليها سور المدينة، فوجدت أربعمائة حجر واثنين وسبعين حجرا، دون ما خارجها من الأرحاء وأحصيت الديار بها في أيام الناصر، فكانت تسعة وثمانين ألف دار، ومائتين دارا ، وستة وثلاثين دارا، وتسعة عشر ألف مصرية وواحدا وأربعين مصرية، ومن الفنادق المعدة للتجار، والمسافرين الغرباء، أربعمائة فندق وسبعة وستين فندقا، وأحصيت الحوانيت بها في المدن المذكورة، فكانت تسعة آلاف حانوت، واثنين وثمانين حانوتا، وقيساريتان، أحدهما بعدوة القرويين،والثانية بعدوة الأندلس على وادي مصمودة .وأحصي من الترابيع والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستين موضعا .وكان بها من الديار المعدة لعمل الصابون سبعة وأربعين دارا، ومن ديار الدباغ ستة وثمانون دارا وديار الصباغ مئة دارا ، وكان بها اثنتا عشر دارا لسك النحاس، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير طفبه مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة، وكان بها من الأفران في جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا،وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ، وبخارجها من الديار لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا .

وكان بضفتي الوادي الكبير الذي يشقها من حيث يبتدأ الدخول إلى البلد إلى آخرها ، حيث يخرج بالرميلة بالجانبين دار الصباغين، وحوانيتهم، ودار الدباغ ودار الصبانين، والخياطين والقصابين والسفاجين والكوش والأفران، المعدة لطبخ الغزل وغيرهم، مما

يحتاج الى الماء وفي أعلى ذلك كله أطرزة للحياكة، ولم يكن بالمدينة واد يظهر، حاشا الوادي الكبير المذكور، وباقي أنهارها بني عليها ديار ومصاري وحوانيت، ولم يكن بداخلها رياض، ولا غرس، حاشا زيتون ابن عطية خاصة، وكان بها أربعمائة حجر لعمل الكاغد ، وخرب ذلك كله أيام المجاعة، والفتنة، التي كانت في أيام العادل، وأخيه المأمون وذلك في سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وكان مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة، إلى أن ظهرت الدولة المرينية، فانجبرت البلاد ، وتأمنت الطرقات .

نقلت ذلك كله بخط الشيخ الفقيه المشرف علي بن عمر الأوسي، نقله من زمام، بخط المشرف القويقي، مشرف المدينة في أيام الناصر الموحدي[1] .

وثيقة حول إحصاء المنشآت بمدينة فاس

[1]ابن ابي زرع ، **الأنيس المطرب** ، صص 47_48.

ملحق رقم 3 :

ثم أنهم ـ أدام الله سبحانه تأييدهم ووصل سعودهم ـ لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور، واستخدام الظواهر والبواطن فيما يجب له من التوقير والتعزير شرعوا في انتخاب كسوته، واخذوا في اختيار حليته، وتأنقوا في استعمال أحفظته ، وبالغوا في استجارة أصونته، فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين، ممن كان بحضرتهم العلية أو سائر بلادهم، القريبة والقصية ، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى حذق في صناعة إلا احضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة، وأشكال مبتدعة، وضمنوها من غرائب الحركات، وخفي إمداد الأسباب للمسببات، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم، والهمة العالية ، أدام الله سموها، تترقى فوق معارجهم...

مما صنع للمصحف العظيم من الأصونة الغريبة والأحفظة العجيبة، أنه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة، ذي صنائع غريبة، من ظاهره وباطنه، لا بشبه بعضها بعضا، قد اجري فيه من ألواح الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الأول مثال، ولا عمر له قبله بشبهه خاطر ولا بال وله مفاصل تجتمع إليها أجزاؤه، وتلتئم ،وتتناسق عندها عجائبه وتنتظم، أحكم إنشاؤها، على البغية انعطافها، ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في إفراده، وتتوارثه على مر الزمن وترداده، وصنع له محمل غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك ، مغشى كله بضروب من الترصيع وفنون من

النقش البديع ، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع ...وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة في أنوارها ....

وانتظمت العجائب المعنوية والحسية وذلك بأن أسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد أعد له مفتاح لطيف يدخل فيه ، فإذا ادخل ذلك المفتاح فيه و أديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين من تلقائهما ، وخرج الكرسي من ذاته ... فاذا أكمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه ، انغلق الباب ، برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد ...

وصحت هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومسببات غائبة عن الحس من باطن الكرسي وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها، أظهرتها بركات هذا الأمر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا أدام الله تعالى أمرهم، وأعز نصرهم[1] .

المصحف العثماني بقرطبة

[1] المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، صص 612 _614.

ملحق رقم : 4

وأما البربر فانهم احترفوا بجلب البقر والقمح والسمن والزيت والعسل والوصف والدجاج والفواكه والملح والاعواد وخدمة الفحم والخشب ونحو ذلك، واهل الحاضرة منهم احترفوا ضفر الحلفة وخدمة الأوعية أي السلل للزرع، وفتل القنب والمحاريث والبراذع للبهائم والحبال والشطاطيب لكنس الديار وصيادة الطيور للأكل والحملان في الأسواق، وحملان الرزع إلى الديار وبيعه في الأسواق وخرز الدلاء وجلب الماء والبناء وطبخ الجير والجبص ونحو ذلك .

وأما من أسلم من أهلها، فمن كان منهم في البادية فاكتسبوا البقر والغنم والحرث والعسل وأهل الجبال منهم كانوا يغرسون الأجنات والفواكه وقطع الخشب وطبخ اللحم، ومن ولي البحر منهم كانوا يجلبون الحوت والسردين ويصنعون السفن وآلاتها إلى غير ذلك ،**واما الموالي** فأما من كان بالحاضرة منهم فكانوا يحترفون بالدباغة والحياكة والخرازة وبيع النعال المخروزة وبيع الحياك والجلاليب ونسجها والضرب بالطبول والبنود والحجامة وحمل الموتى وحفر قبورهم ودواء المرضى وعلاج الجرح والمرض وطحن بالرحى وخرط عود والقيام بالمساجد والآذان بها ورصد وقت وبيع لحم ، ونجارة خشب وعظم سرج وصنع كسوة جياد وسرير مكحلة وخدمة فخار وغيره، وسبك حديد وآلة حرب وصنعة نحاس ومبيت بالأسواق بالليل وحرس الفنادق وتسمير البهائم وحمل السلوع ...**وأما من أسلم من اليهود** فاحترف بخياطة الملف والثياب وظفر القيطان الذي يُخاط مع الثياب ونسج العقد ونسج قلنسوة وتبطينها وصبغها وتصفيفها وحجامة وبلاجة (صناعة مغاليق الأبواب)، ودلالة بالأسواق وبيع لبن ممخوض وبيع واصلاح نعل مخروز .**وأما الموالي منهم** فاحترفوا طبخ الخبز والسفنج والشواء وصنعة القدور للطبخ وبيعها وعصر الزيت وحمله والصابون وبيع ملح وحوت وشحم وصناعة فانيذ (كريات سكرية مصبوغة وهي كلمة فارسية)، وبيع ادوية وعشب وتسفير كتب وتجبيص الرباع وتزويق الخشب وتزليج الرباع وصناعة منسج للحياكة وصناعة الصفر وصباغة وخدمة حمام وسقي ماء وسبك فداويش وشعرية وثريد ومقروط ورغائف بقصد البيع ، وبيع صوف وكتان وآلات الطرب والتغني بها والضرب للدنانير والدراهم وحلي النساء وخرط مرجان وبيعه وكراء أواني البنائين وحفر بير وتصفية معدن وخدمة الرخام ...وأكثر جيوشها كانوا من العرب الذين دخلوا اليها الى أن رجع أمرهم إلى أمراء المغرب فأقرهم يوسف بن تاشفين على ما كانوا عليه وأيدهم بجيوش الشورى ...إلى أن غلب الموحدون فردوا أهلها نائبة (جماعة مؤدية للضرائب) لأهل المغرب، فضُعف اهل الأندلس[1]

حرف وصنائع أهل الأندلس

([1]) اسماعيل بن الأحمر وآخرون ، **بيوتات فاس الكبرى** ، دار المنصور للطباعة الرباط، **1972**، صص**24- 25**.

ملحق رقم 5 :

فأقول إن أول ما يجب أن يبدأ به في صناعة الطبخ التحفظ في تناولها من الأوساخ والعفونات، وتنظيف الأواني المستعملة لذلك مع نظافة الطباخ، وكثير من الناس يقولون إن أطيب الطعام ما لم تر العين، وليس كذلك، بل أطيب الطعام ما وقع عليه الحس ورأته العين ووثقت به النفس واطمأنت إليه وعلمت حقيقته في صنعته فإن الصانع من الطباخين بعد أن يتم عمله ويفرغ منه لا يفكر ولا يبالي كيف كان، لأنه يحسب أن الغاية التي تراد منه هي تعجيل الفراغ والإنصراف ولهم خلال كثيرة لا ينبغي ذكرها من قلة تحفظهم وسوء مناولتهم، فكيف المطالعة عليها والنظر إليها ؟ وهذه الخلال التي دعت كثيرا من الخلفاء والملوك ان يأمروا بأن يكون الطبخ بين أيديهم، ومنهم من دعته الضرورة الى طبخ ما يأكله بيده، حتى ألفوا الطبخ وألفوا في ذلك كتبا كثيرة، فمنهم أحمد بن المعتصم وابراهيم المهدي ويحي بن خالد والمعتمد وعبد الله بن طلحة، ثم اناس من بعد هؤلاء العلماء والحكماء والكتاب والوزراء وخواص الناس.

وينبغي أن نعني بمعرفة الأشياء التي بها تكمل صنعة الطبخ، وبها سمي الطبخ طبيخا باختلاف طعومها ومذاقها ، مثل انواع الخلول والربوب والمري والزيت وماء التفاح وماء رمانين وماء الزبيب والخردل والتوابل وجميع العقاقير ، ليعلم الرديء منها والجيد، فإنها إن كانت ردية فسد ما يعمل منها، وكانت الألوان بخلاف ما ينبغي من الطعوم المحمودة المستلذة فتطيب النفوس بجودتها ولذتها .

واعلم أن معرفة تصريف التوابل في ألوان الطبخ أصيل عظيم، فإنه رأس الطبخ وعليه ينبغي، لأن منها ما يوافق الأطعمة المذكورة وهي الوان الخل ، ومنها ما يوافق المؤنثة مثل التفايا بأنواعها والبقليات وما أشبهها ، ومنها أيضا ما يبين الأطعمة ويذكيها ويطيبها، ومنها ما يجلب المنفعة ودفع الضرر[1].

شروط الطباخ

([1]) مجهول، **الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص79.

ملحق رقم 6 :

" إستأجر فلان فلانا النساج لنسج الكتان أو القطن أو الحرير في طرازه، على آلته لحاضرته مدينة كذا بسوق كذا بحومة مسجد كذا لمدة كذا أولها شهر كذا بكذاوكذا ، دفع المستأجر منها كذا وقبضها الأجير ، ويدفع إليه باقيها عند انقضاء كذا إجارة صحيحة عرفا قدرها وتواصفا العمل صفة وعرفا مبلغها ومنتهاها لكونهما من أهل البصر بها ، وشرع الأجير في العمل لأول مدة الإستئجار، وعليه الإجتهاد فيما تولاه من ذلك وبذل النصيحة، وأداء الأمانة في سر أمره وجهره بأبلغ طاقته، وأقصى مجهوده ، بلا شرط ولا ...ولا خيار على سنة المسلمين في استئجارهم الجائز بينهم ومرجع دركهم، شهد "

عقد استئجار حرفي يشتغل في صناعة النسيج[1]

---

(1) الجزيري ،المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود، ، ص234.

ملحق رقم 7 :

إ فلان فلانة بنت فلان لترضع له ابنه فلانا، في داره أو دارها بموضع كذا، حولين كاملين، أولهما تاريخ هذا الكتاب، تغسل له ثيابه، و تحمه في أوقات تحميمه، بكذا وكذا دينار مقسطة على شهور الحولين المذكورين، يدفع إليها في كل شهر منها كذا وعليه نفقتها وكسوتها إن كانت في داره، قلت وعليه أن يدفع إليها نفقتها في كل شهر منها وذلك ربعان من دقيق القمح الطيب، الجيد الطحن، وربع الربع من الزيت الأخضر، وربعان من القمح، ومن الكسوة في الشتاء صدرة كتان ومحشوة وقناع وقاية لرأسها وقرقا، وفي الصيف كذا، وللرقاد كذا ، تذكر من ذلك ما يقع من الاتفاق عليه ثم تقول إجارة صحيحة عرفا قدرها بلا شرط ولا منتوية ولا خيار، وقبضت فلانة المذكورة الصبي المذكور وتولت رضاعه لأول المذكورة وعليها في ذلك تقوى الله وبذل النصيحة وإخلاص النية ..."

عقد استئجار مرضعة[1]

(1) نفسه، صص246_247.

ملحق رقم8 :

حبس فلان بن فلان داره التي بموضع كذا ، حدودها كذا ، على المساكين بموضع كذا تحبيسا موقوفا مؤبدا ما بقيت الدنيا ، تؤاجر و يتصدق بكرائها على المساكين ، فإن لم يوجد فيها كراء سكن فيها أهل الضعف و المسكنة و تواسى بينهم على قدر الحاجة ، ومتى وجد لها كراء أكريت وتصدق بكرائها على المساكين ، فإن لم يوجدوا فعلى الفقراء لا تزال كذلك ما دار الفلك حتى يرثها قائمة على أصولها محفوظة على شروطها لا سبيل إلى بيعها ولا إلى تفويتها بوجه من الوجوه وليصلح من كرائها ما وهي منها يبدأ إصلاحها على المساكين حتى إذا كمل...

عقد تحبيس على المساكين[1]

[1] الجزيري ، المقصد المحمود ، صص 175_ 176.

ملحق رقم 9 :

إستأجر فلان بن فلان الراعي المعروف بفلان، لرعاية ضأنه، التي بموضع كذا وكذا ضأنه ومعزه، التي بموضع كذا لعام واحد، أوله شهر كذا بكذا وكذا دينارا بدخل أربعين يؤدي نصفها عند انقضاء نصف العام، والنصف الثاني عند كماله، أو عند انقضاء كل شهر من شهور العام ، ما ينوبه منها وذلك كذا وكذا، وعلى المستأجر فلان نفقة الأجير ومئونة أكله عنده، وكسوته إلى انقضاء أمد الإجارة ...ومن كسوته كساء صوف جديد وهركاس يشركهما كل ستة أشهر من أمد الإجارة و لبد صوف يتوطاه، وعرفا قدر ذلك كله فلان رب الغنم، خلف ما ضاع منهما في المدة المذكورة، إن مات أو باعه، إلى أن تنتهي مدة الإجارة وتولي الراعي رعاية الغنم، بعد أن نظر إليها ربها، وصارت بيده وتحت عصاه ، يحرسها ولا يضيعها ويحملها لربها بجميع مئونتها وعليه الاجتهاد فيها، استأجر بأبلغ طاقته وأداء الأمانة في سر أمره وجهره، مدة شهور الشتاء الى مراح عرفاها وتواصفاها، وفي الصيف إلى مواضع من أرض فلان بهذه القرية القيام بمئونتها ...وعرفا قدر المئونة في ذلك.

وثيقة استئجار راع غنم بأعيانها[1]

[1] وثائق المرابطين والموحدين، ص 480.

ملحق رقم 10:

اشترك فلان وفلان الحدادان أو الكمادان في عمل الحديد أو الكمد بسوق كذا، يقعدان في حانوت واحد ويعملان فيه على السواء بعد ان يقيما على اموالهما بالسواء ما تحتاج اليهما صناعتهما من آلة ورأس مال، ويكون ما أفاء الله عليهما فيها من رزق بينهما بنصفين، وعلى كل واحد منهما تقوى الله تعالى وبذل النصيحة وإخلاص النية والاجتهاد ثم تكمل العقد.

عقد شركة الأبدان بالصنع[1]

[1] الجزيري ، **المقصد المحمود** ، ص 252.

ملحق رقم 11 :

إستأجر فلان فلانة بنت فلان لخدمة بيته من العجين والخبز والطبخ والكنس وفرش السرير واتقاء الماء وغسل الثياب والغزل والنسج وغير ذلك من التصرف خارجا وداخلا لمدة كذا أولها كذا بكذا وكذا دينارا يدفعها في وقت كذا وعليه نفقتها وكسوتها للمهنة واللباس والرقاد المدة المذكورة إجارة صحيحة ، ثم تكمل العقد .

عقد اجارة خادم(1)

(1)الجزيري ، **المقصد المحمود** ،ص 229.

ملحق رقم 12:

" إستأجر فلان فلانا الفلاني ومن نعته كذا لينوب عنه في غزاة كذا إلى بلد كذا ويجاهد عنه عدو الله ، بما استطاع وينكبه بما قدر عليه من تحريق ثمارهم وخراب ديارهم وإفساد زروعهم مما لا يرتجى بقاؤه للمسلمين ويامر به أميرهم بكذا وكذا دينارا قبضها فلان وصارت في يده وارثة طيبة وشرع في الخروج الى الغزاة المذكورة بسلاله وآلة ح...وزاده .

وعليه في ذلك تقوى الله تعالى وبذل النصيحة والاجتهاد بأبلغ طاقته وأقصى مجهوده ، إجارة صحيحة عرفا قدرها ومنتهى مسافة الغزالة المذكورة ، ومدة الإقامة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار ثم تكمل العقد "

عقد إجارة غاز لجندي آخر لينوب عنه في إحدى الغزوات[1]

([1])الجزيري ، المقصد المحمود ،ص 246.

ملحق رقم 13:

إكترى فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع السفينة المنسوبة إليها التي يقال لها كذا بجميع أداتها القائمة فيها من القلوع والصواري والأطراف والهواحل والحبال وغير ذلك من آلتها وبجميع خدمتها ونواتيها وهم فلان وفلان وفلان بكذا وكذا، دفع فلان جميعها الى فلان وقبضها منه.فان كان الكراء مؤخرا ذكرت ذلك ثم تقول على أن يحمل فلان بن فلان في السفينة فلان بن فلان وما معه وذلك من الدقيق كذا وكذا ومن السلع كذا وكذا، العروض كذا وكذا وتذكر بأي وزن تكون وبأي كيل ثم تقول ويحمل له مع ذلك يصلحه ويصلح من معه من الغطاء والوطاء والزاد والماء على أن يخرج فلان بن فلان بفلان بن فلان وما معه مما وصف فوق هذا من موضع كذا في يوم كذا شهر كذا من سنة كذا ، على أن يسلك بهم المجاري المعروفة بكذا ، ان شاء الله تعالى شهد .

وثيقة باكتراء سفينة بعينها[1]

[1] وثائق المرابطين والموحدين، صص **470-471**.

ملحق رقم14 :

إستأجر فلان بن فلان البناء ليبني له في داره التي بموضع كذا بربض كذا أو في جناته التي بموضع كذا وحدوده كذا دارا عرضها كذا وكذا ذراعا وطولها كذا وكذا ذراعا ويخدمها بجدران الطوابي بعد أن يقيم لها أساسا من صخر من جميع جهاتها يكون تحت الارض شبرا وعليها شبرين وعرضه وغلظه شبرين وترتفع على الأساس حيطان طوابي أو طوب بحيط في الدار ارتفاعها كذا...ويسقفه بالقراميد ويبني على اسطوانها غرفة ارتفاعها كذا ويصنع جوائر سقفها...ويقرمدها بالطين والقرامد وعلى رب الدار فلان إقامة الآجر للبناء فلان والقفاف والطين والتراب والمجارف يعني المساحي وغير ذلك مما يكون به البنيان.

وثيقة إستئجار البناء والحفار[1]

---

[1] نفسه ، ص 497.

ملحق رقم15:

قبض فلان بن فلان **الصخار** من فلان بن فلان كذا وكذا في انتقال صخر جبلي مرخم لتبليط كذا وكذا ذراعا رشاشية في الهبط الذي يمر عليه من ناحية كذا الى موضع كذا ، أو لتبليط اصطبل فلان أو اصطوانه بموضع كذا على أن يشرع في انتقاله وايراده في الموضع المذكور، أو دار فلان يوما كذا لكذا وكذا خلت أو بقيت من شهر كذا، ويصل ايراده ويكون صخرا مبسوطا، مرتفعا غليظا جيدا، ان شاء الله، وعرف فلان الصخار وفلان بن فلان قدر ذلك وأحاطا علما به، بمبلغ ما تعاملا عليه منتهى خطره ، وفلان بن فلان مصدق في مقتضاه الصخر المذكور دون يمين تلزمه ، في دعوى القضاء .

السلم في الصخر الجبلي[1]

[1]وثائق المرابطين والموحدين ، ص 309.

ملحق رقم 16:

إستأجر فلان بن فلان الناظر في أحباس مسجد كذا بحاضرة كذا بموضع كذا بتقديم القاضي فلان إياه على النظر في الاحباس ...لخدمة المسجد وكنسه والقيام بوقيده وفتحه وإغلاقه الآذان فيه وارتقاب أوقات الصلوات والصلاة بأهله الفرائض وقيام شهر رمضان عاما أوله شهر كذا من سنة كذا بكذا وكذا ، دفعا إليه منهما كذا مما استقر على أيديهما من أحباس المسجد المذكور...ويقبض القيم فلان بقية الأجرة المذكورة عند مرور نصف عام المذكور أو عند انقضائه استئجارا مبتولا بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار عررفوا قدره ومبلغه شهد على اشهاد فلان بن فلان وفلان بن فلان المستأجرين فلان بن فلان القيم على أنفسهم بما ذكر عنهم في هذا الكتب من عرفهم وسمعه منهم وهم بحال الصحة وجواز الامر في شهر كذا من سنة كذا ....

وثيقة استئجار خادم المسجد ليصلي بأهله[1]

[1] وثائق المرابطين والموحدين ، ص 508.

ملحق رقم17 :

عامل فلان فلانا فلانا **النجار** على ان ينشيء له قاربا قرليا طوله كذا وعرض وسط قاعدته كذا وكذا شبرا، وارتفاعه كذا وكذا ذراعا بذراع الانشاء، وشبره ببلد كذا، تكون قرابيسه وتخاتيله وأقفاله وقوسه من عود البلوط، وألواحه من عود الأرز بقطنيس، ركنه مشرب وأربعة اقفال اقراط وأقفال الطارمة وقفلين على الحواجب القدمية وآخرين على الورانية، وجسر اللقصة باقفالها وصفتين قطيس ولقصة، مقفلة ومناطق الخشبة والتعريق واللبريلات، ويكمل إنشاؤه ونجارته بما يحتاج إليه من مسامير الى حد القلفطة، وعلى فلان النقش وزفت التشبيك بكذا وكذا دينارا، قبضها فلان أو قبض منها كذا وبقي له سائرها على الحلول يأخذها متى شاء، معاملة صحيحة عرفا، قدرها ومبلغها ومنتهى خطرها وتواصفا جميع ما يقوم به إنشاء القارب المذكور من خشب ومسامير، صفة حضراها قامت عندهما مقام العيان، بلا شرط ولا مثنوية ولا خيار، وشرع فلان النجار في إنشاء القارب المذكور، وتولى عمله في تأريخ عقد المعاملة المذكورة على سنة المسلمين في معاملتهم، ثم تكمل العقد، فان ضربا أجلا ذكرته ولا يكون إلا مدة يصح فيها الإنشاء المذكور، ويصح العقد دونه .

عقد معاملة انشاء قارب[1]

[1] **المقصد المحمود في تلخيص العقود ، صص 244_245.**

ملحق رقم : 18

إستاجر فلان فلانا ليحرث له بأثواره وآلته في أملاكه التي بقرية كذا من عمل كذا كذا وكذا شهرا أولها شهر كذا من سنة كذا، ليقلبها في إبان قليبها ويعمرها ويزرعها في أوقات زرعها ، ويعلف البقر التي يحرث بها ويسقيها ، ويقوم بمؤنتها ويجتهد في ذلك بأبلغ طاقته وأقصى مجهوده، وعليه في ذلك تقوى الله تعالى ، وآداء الأمانة في سره وجهره، إجارة صحيحة عرفا قدرها، وتطوفا على الأرض كلها وعرفا اماكنها، بلا شرط في ذلك ولاثنية ولا خيار ، بكذا وكذا يدفعها المستأجر إلى الأجير فلان في وقت كذا، وعليه نفقته وكسوته المدة المذكورة ، ثم تبني على ما تقدم، وإن فسرت الكسوة قلت " وعليه من كسوته جبة صوف بلدي وسلهامة وتبان وهركاستان منعلتان وأمنقان وطربوقان ، وتذكر من ذلك ما يقع عليه الإتفاق .

عقد إجارة حراث[1]

([1])المقصد المحمود في تلخيص العقود ، صص 238-239.

ملحق رقم : 19

وبنى بمدينة مراكش بيمارستانًا ما أظن أن في الدنيا مثله ؛ وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه؛ فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح؛ وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياهًا كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداها رخام أبيض؛ ثم أمر له من الفُرُش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت.

وأجرى له ثلاثين دينارًا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارجًا عما جلب إليه من الأدوية. وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال؛ وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم، من جهاز الصيف والشتاء؛ فإذا نقه المريض فإن كان فقيرًا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنًّيا دفع إليه ماله وترك وسببه، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت،وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله، يعود المرضى ويسأل عن أهل بيت أهل بيت، يقول: كيف حالكم؟ وكيف **القَومة** عليكم؟ إلى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج ؛ لم يزل مستمًّرا على هذا إلى أن مات -رحمه الله-.

وصف بيمارستان مراكش[1]

(1) المراكشي ، **المعجب** ، صص 78 .

ب/ جداول وصور

ملحق رقم :20

الرقم	اسم الكاتب	الخليفة (الامام) الذي عاصره	المصدر
1	أبو الربيع سليمان الحضرمي ملول بن ابراهيم الصنهاجي	ابن تومرت	أخبار المهدي
2	أبو جعفر بن عطية ، عطية بن عطية ،عبد الرحمن القالمي ، عياش بن عبد الملك ، ميمون الهواري ، عبد الله بن جبل ، أبو علي الأشيري، أخيل بن ادريس الرندي ، أبو الحكم بن عبد العزيز .	عبد المؤمن بن علي	الحلة السيراء، النظم، روض القرطاس ، المن البيان المغرب ج3 المعجب للمراكشي
3	أبو محمد عياش بن عبد الملك ، أبو القاسم القالمي ، ابن محشرة	يوسف	رسائل موحدية ، روض القرطاس ، البيان المغرب ج3 ، المن ، المعجب ، عنوان الدراية
4	ابن محشرة ، محمد بن عبد الرحمن بن عياش	المنصور	المعجب للمراكشي البيان المغرب ج3
5	محمد بن عبد الرحمن بن عياش ، أبو الحسن علي بن عياش ، محمد بن يخلفتن الفازازي	الناصر	البيان ج3 ، المعجب ،
6	احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عياش، محمد بن يخلفتن الفازازي	المستنصر	المعجب

جدول لبعض كتاب الرسائل في العهد الموحدي حسب ذكرها في المصادر

ملحق رقم21 :

الرقم	اسم القاضي	الخليفة الذي عاصره	المصدر
1	أبوعمران موسى حجاج بن يوسف	عبد المؤمن بن علي	المن ، نظم الجمان ، البيان المغرب
2	حجاج بن يوسف أبو موسى عيسى التازي ابو جعفر احمد بن مضاء	يوسف	روض القرطاس البيان المغرب المعجب للمراكشي
3	ابو جعفر احمد بن مضاء أبو عبد الله محمد بن مروان أبو القاسم احمد بن بقي	المنصور	روض القرطاس البيان المغرب المعجب للمراكشي
4	أبو القاسم احمد بن بقي أبو عبد الله محمد بن مروان أبو مروان موسى بن عيسى	الناصر	المعجب للمراكشي
5	أبو مروان موسى بن عيسى أبو محمد عبد الحق بن عبد الله	المستنصر	البيان ج3
6	أبو زيد المكيدي	المامون	البيان ج3

قضاة الجماعة في العهد الموحدي حسب ذكرها في المصادر.

ملحق رقم :22

الخليفة	اسم المشرف المالي	المكان	المصدر
عبد المؤمن بن علي	عبد الله بن خيار الجياني	فاس	البيان المغرب
يوسف بن عبد المؤمن	ابن عبد العزيز البلنسي	مراكش	أعمال الاعلام
	أبو بكر يوسف الكومي	مراكش	مناقب أبو
	أبو الحسن بن هردوش	مراكش	العباس
	علي بن الرند	سلا	البيان المغرب
	محمد بن عبد الملك	سلا	العبر
	ابراهيم بن اسماعيل	فاس	المغرب في
	ابن مفاخر	سجلماسة	حلي المغرب
			البيان المغرب
			البيان المغرب
المنصور	أبو الحسن الهوزني	مراكش	البيان المغرب
	أبو محمد الكاتب	مراكش	/////
	أبو محمد الكباشي	مراكش	//////
	أبو موسى بن ومازير	فاس	//////
الناصر	محمد بن عبد الرحمن الغرناطي	مراكش	الإحاطة
	موسى بن عيسى بن المناصف	مراكش	المغرب في...
	ابن عبد الصمد	سبتة	المغرب في ...
	ناصح مملوك الناصر	سبتة	الإحاطة
	محمد بن يحي بن تاكفت	سبتة	البيان المغرب
	ابن يوجان	فاس	البيان المغرب
	أبو الحسن بن أبي بكر	فاس	البيان المغرب
	داود بن أبي داود	فاس	البيان المغرب
	أبو الربيع بن أبي عمران	مكناسة	البيان المغرب

المشرفون في العهد الموحدي حسب ذكرها في المصادر.

ملحق رقم 23 :





الدرهم الموحدي المربع

ملحق رقم **24** :



مسجد حسان بالرباط

ملحق رقم25 :



خط الثلث مع زخرفة نباتية من كتاب الشفا للقاضي عياض .

مصور عن (خ م ر) رقم 986 .

عمر أفا ومحمد المغراوي، **الخط المغربي**، ص 112.

ملحق رقم :26

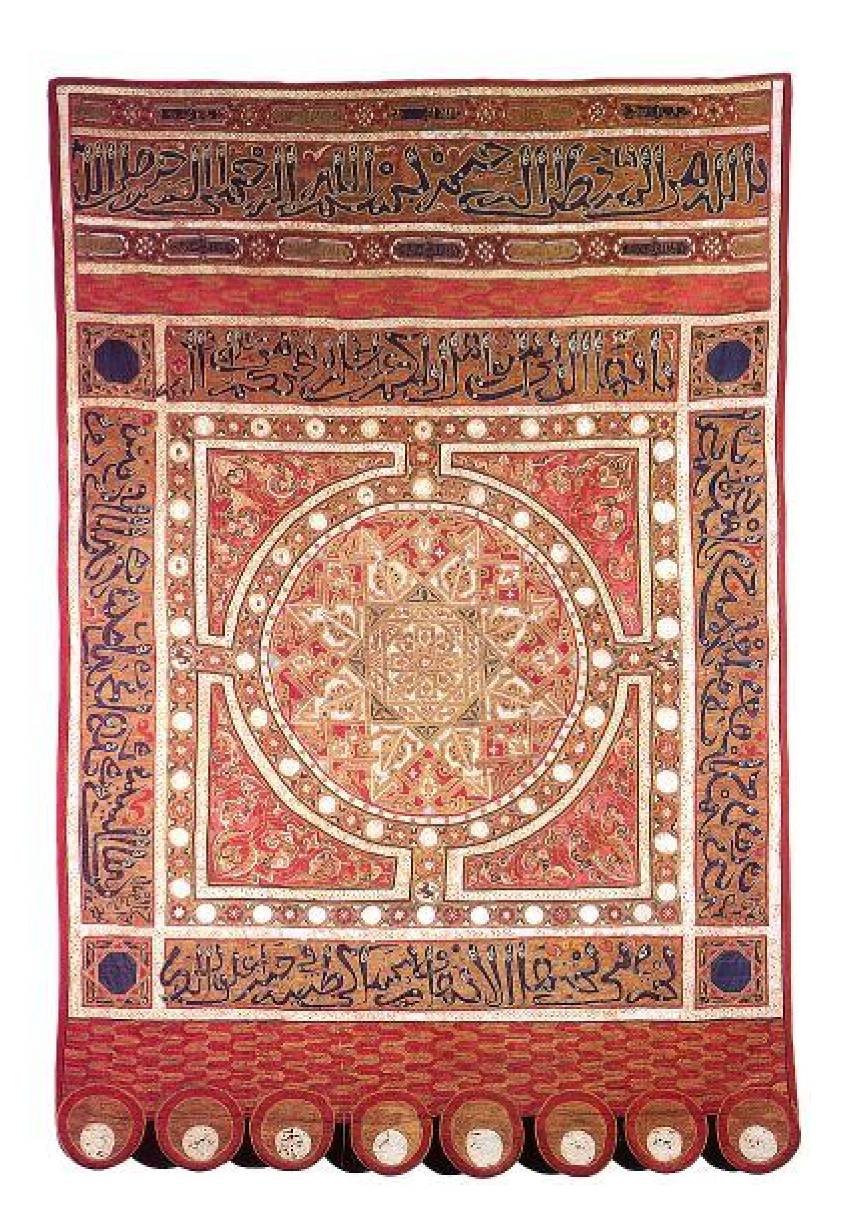


صورة رسالة الخليفة عمر المرتضى الموحدي الى البابا اينوصانت الرابع (وجه)

الخط المجوهر والتوقيع بخط الثلث (رسالة الخليفة المرتضى الى البابا اينوصانت الرابع) محفوظة بالفاتيكان، نسخة بدورية الوثائق الملكية

عمر أفا ومحمد المغراوي، **الخط المغربي**، ص 118.

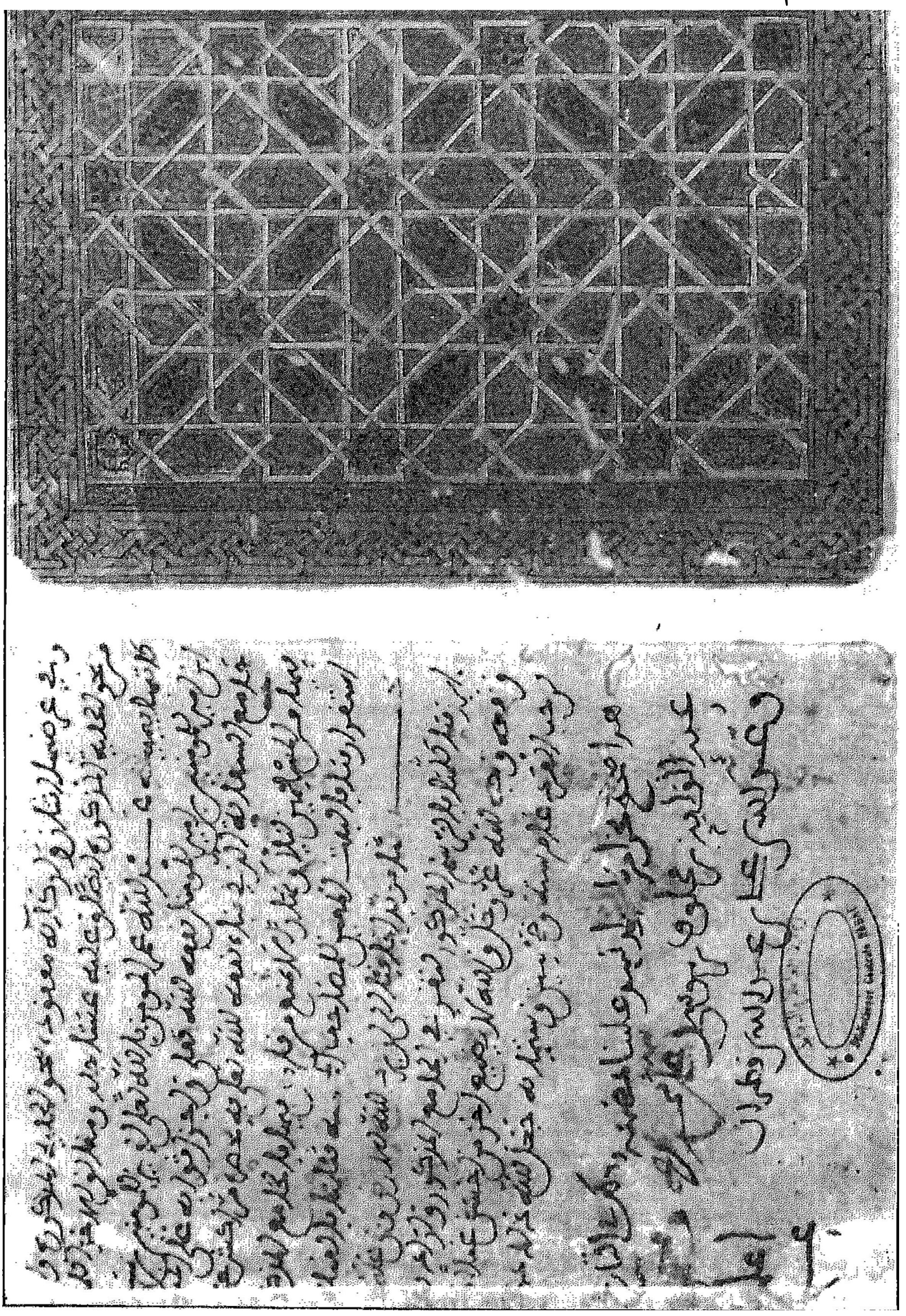
ملحق رقم27 :.



راية الموحدين التي غنمها الإسبان بعد معركة الُعقاب .

Batalla de Las Navas de Tolosa

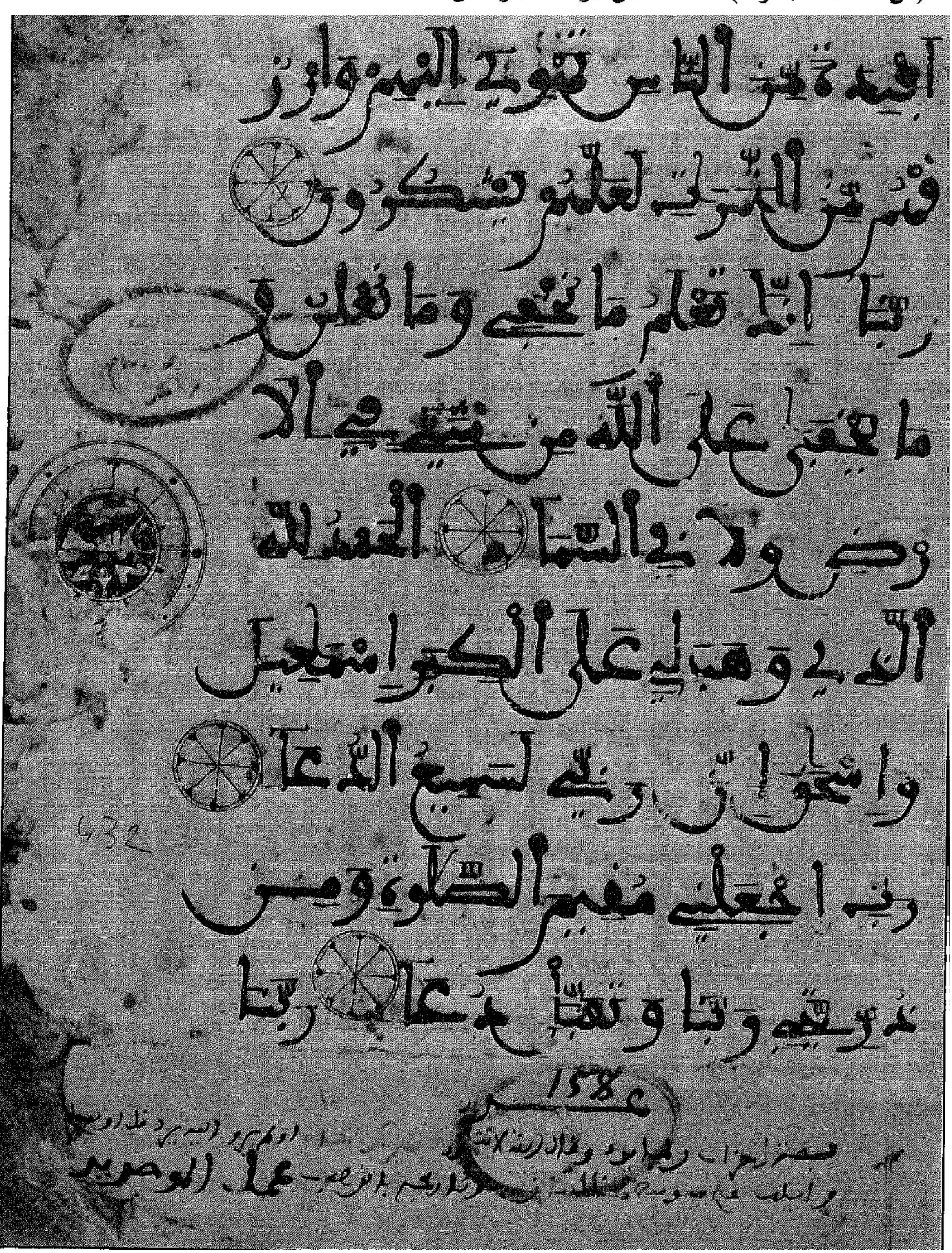
ملحق رقم28 :



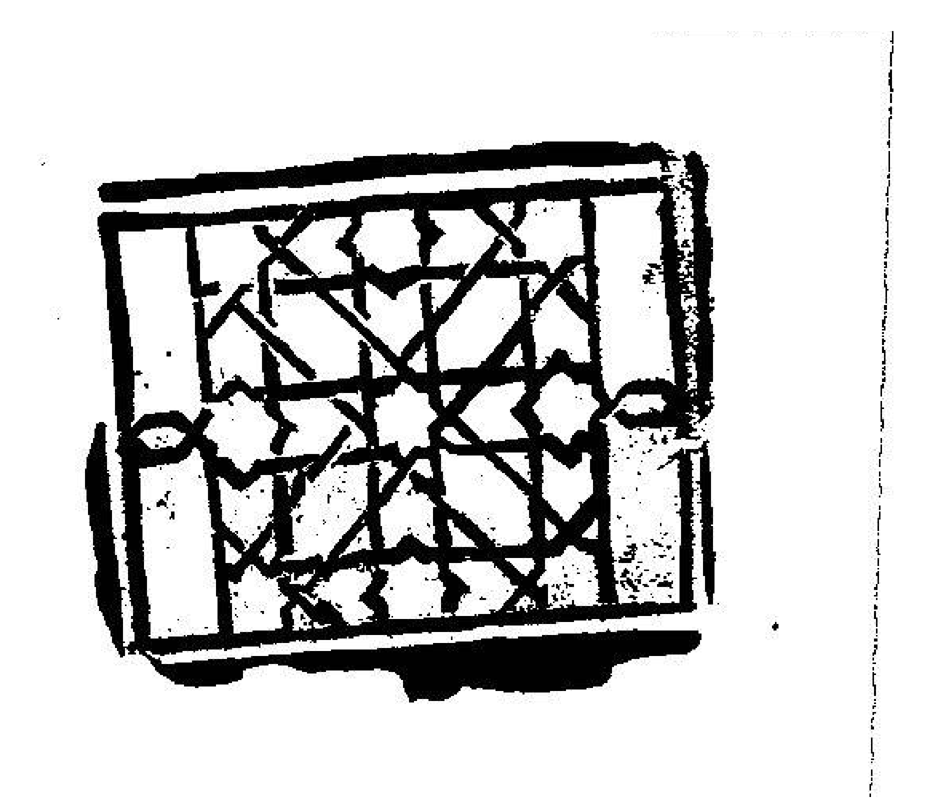
زخرفة موحدية على ربعة قرآنية، خ ع ر رقم ج 1278.

ملحق رقم29:

صفحة من ربعة قرآنية : ج 6، كتبها ــ بخطه ــ الخليفة الموحدي عمر المرتضي : عام 654/1256 (من صنف المبسوط)، مكتبة ابن يوسف بمراكش، 432.


افئدة من الناس تهوى اليهم وارز
قهم من الثمرت لعلهم يشكرون
ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن و
ما يخفى على الله من شىء فى الا
رض ولا فى السما الحمد لله
الذى وهب لى على الكبر اسمعيل
واسحق ان ربى لسميع الدعا
رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن
ذريتى ربنا وتقبل دعا ربنا

ملحق رقم30 :



غلاف مذهب عُثر عليه في جامع الكتيبة يحمل تاريخ صنعه (654هـ/1206م)

المرجع : محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية

ملحق رقم31 :



خط مبسوط من مصحف على الرق يعود إلى القرن 6 هـ/ 12 م.

(م.و.ر) رقم : ج 608

المصدر ، الخط المغربي ، ص 103.

ملحق رقم32



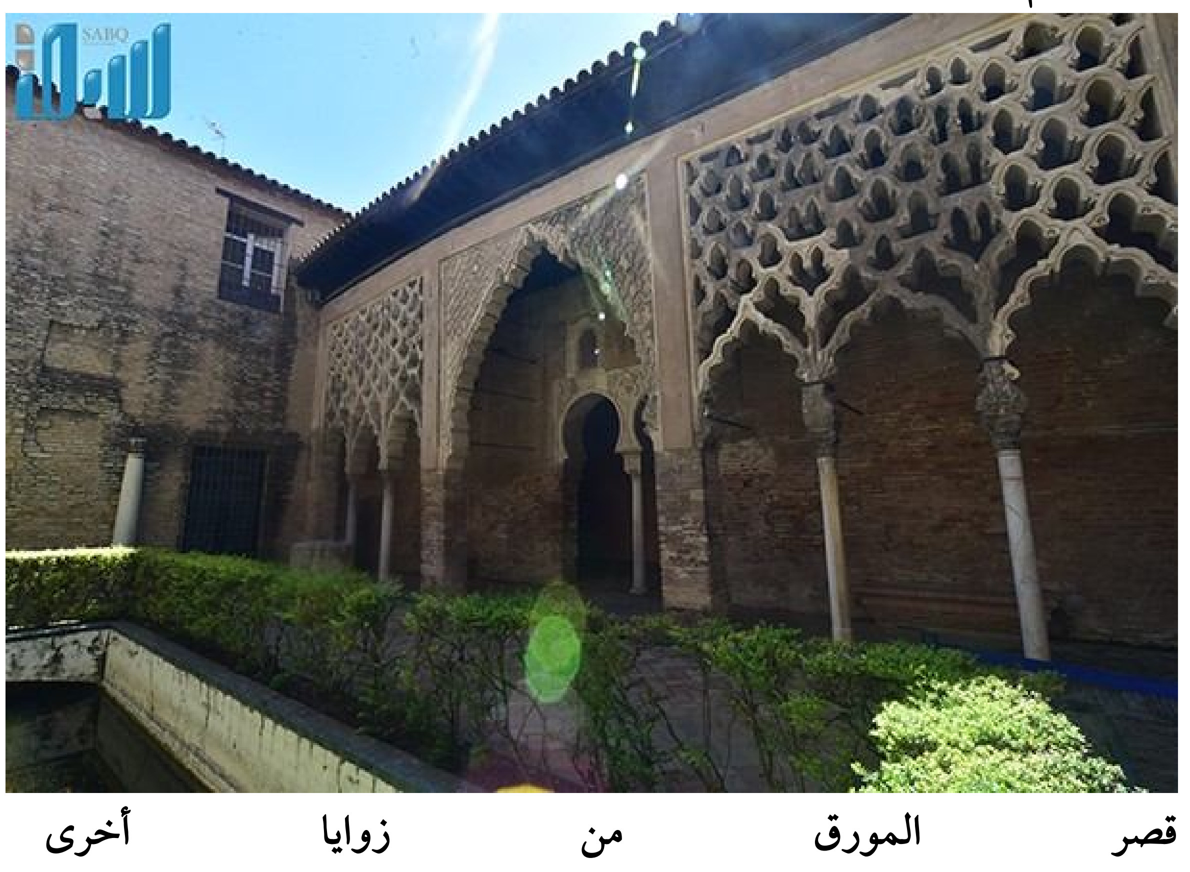
: قصر المورق بإشبيلية

(الكازار) حاليا أنشأ سنة 567هـ/1173م.

من طرف الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي

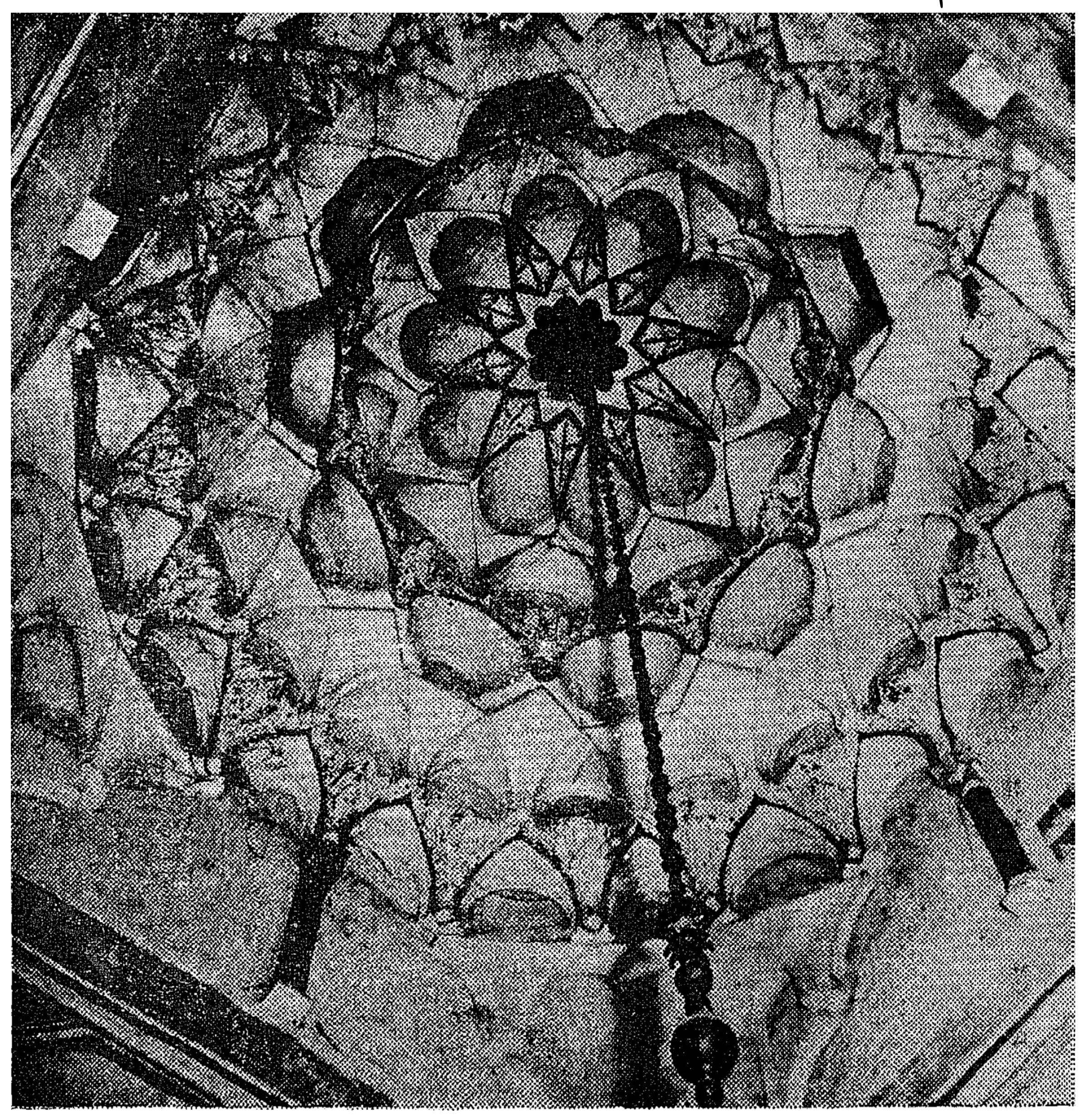
المصدر: مجلة (المملكة العربية السعودية) ، عدد 02يوليو 2015، 15 رمضان 1436هـ _ عدد خاص عن قصر المورق.

ملحق رقم33



قصر المورق من زوايا أخرى

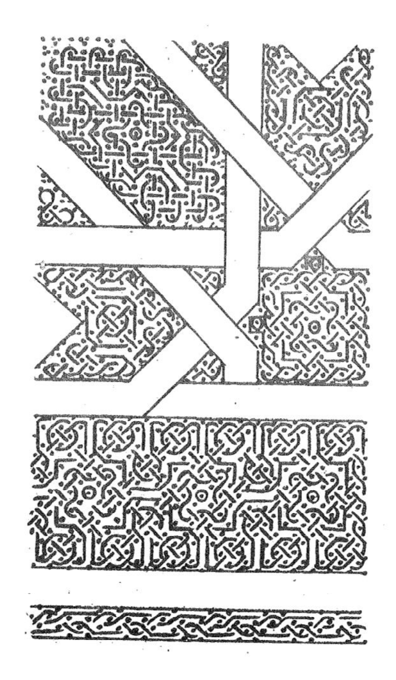
ملحق رقم**34** :

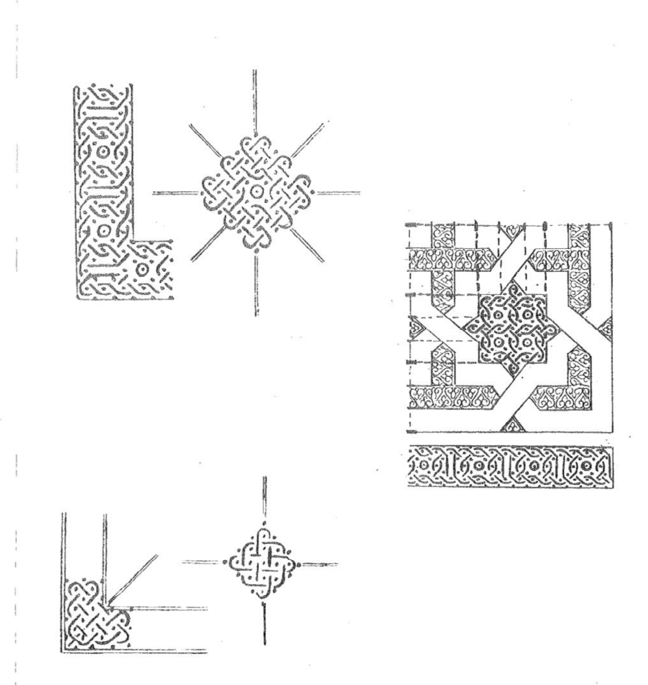


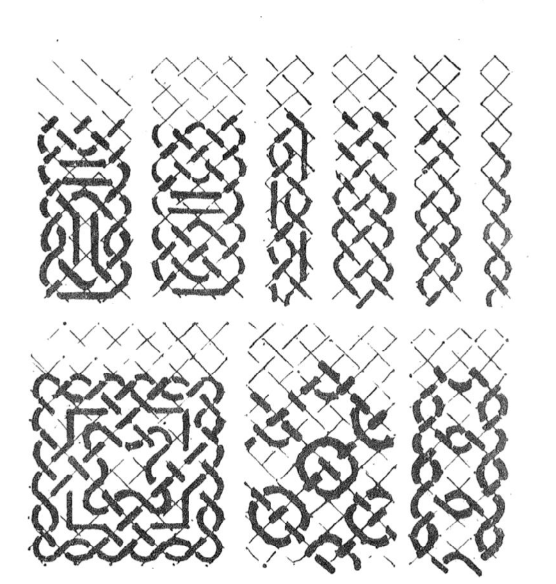
قبة من المقربصات في البلاط الأوسط بجامع القرويين (فاس)

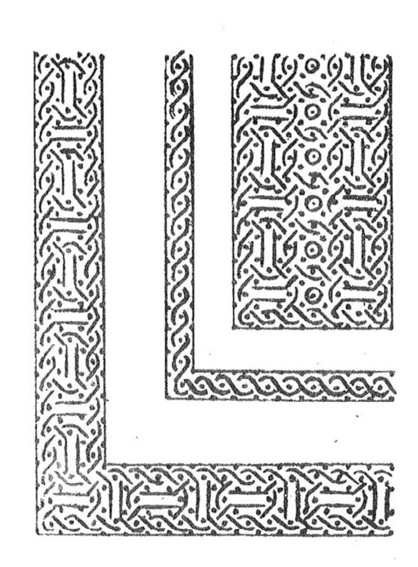
المصدر، ليوبولدو توريس بالباس، **الفن المرابطي والموحدي**، ص 85.

ملحق رقم35 :









نماذج زخرفية موحدية ، المصدر: السعيد بنموسى، تسفير وتذهيب الكتب، صص **50-54**.

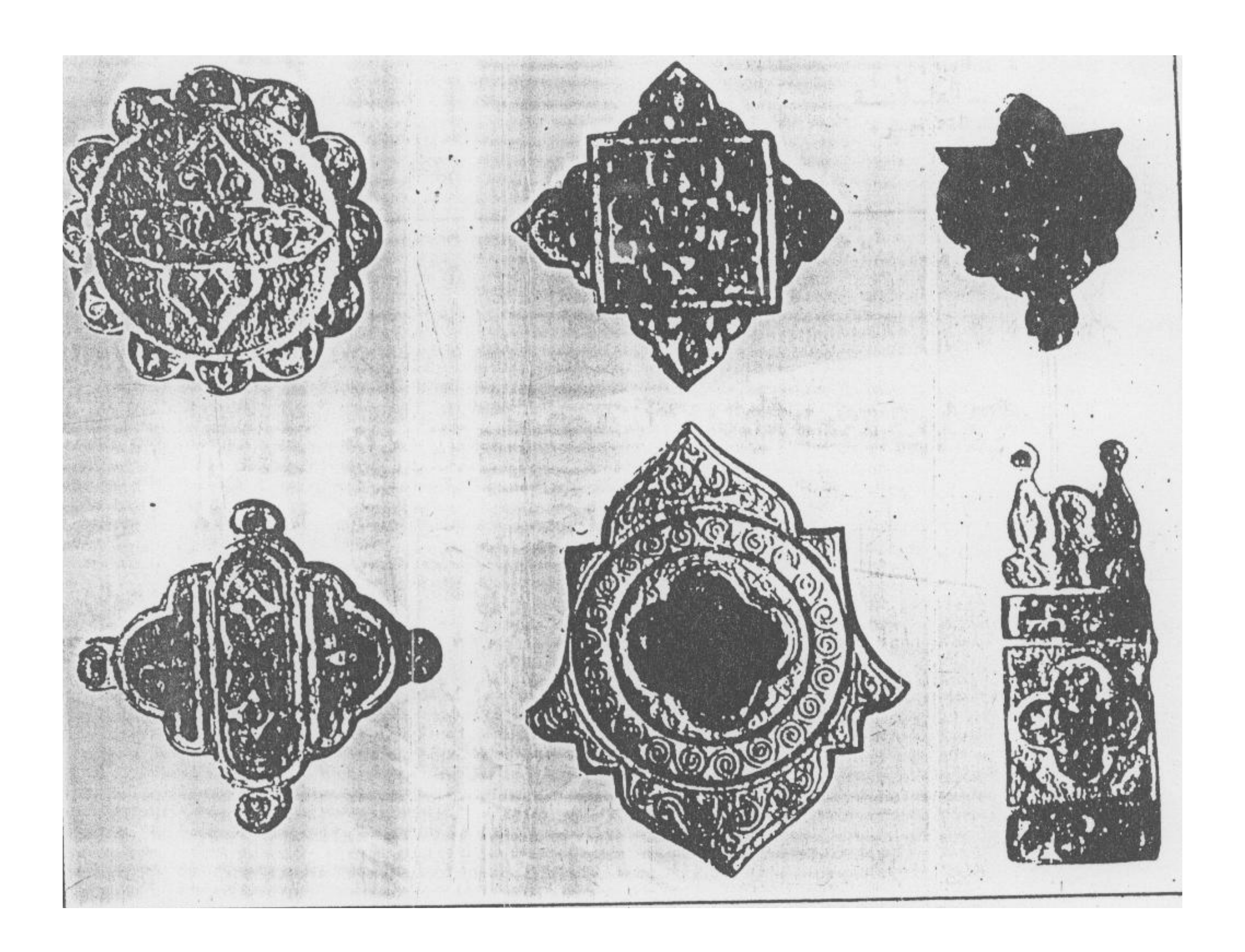
ملحق رقم 36:





كسكاس عثر عليه في حفريات هنين، يعود للعصر الموحدي، محفوظ بمتحف تلمسان رقم الجرد : **H3447** المصدر: حورية شريد ، تطور الطبخ المغربي، ص **430.**

ملحق رقم : **37**



قطع برونزية تعود لأواخر العهد الموحدي (متحف بلنسية، إسبانيا)

قائمة المصادر والمراجع:

❁ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .**

أولا: المصادر المخطوطة:

❁ ابن بشتغير (أحمد بن سعيد اللخمي، ت 516هـ/1122م) ، **نوازل ابن بشتغير**، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط، رقم 11690.

❁ التومبكتي (احمد بابا)، **حكم بيع العبيد المجلوبين من السودان**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع، رقم د 1079.

❁ ابن الحاج القرطبي(أبو عبد الله محمد بن خلف التجيبي، ت 529هـ/1135/م)، **نوازل ابن الحاج** ، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط ، رقم ج55 ..

❁ الدمردائي(إبراهيم) ، **تحفة الخلان في أحكام الآذان** ، مخطوط مصور عن المكتبة الأزهرية تحت رقم 644، عدد الأوراق 128.

❁ ابن الرامي (محمد بن ابراهيم اللخمي) ، **الإعلان في أحكام البنيان** ، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط ، رقم 668.

❁ ابن زكون (حسن بن ابراهيم) ، **اعتماد الحكام في مسائل الأحكام** ، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط ، رقم 413.

❁ ابو زيد عبد الرحمن الفاسي ، **تقييد في الحسبة** ، مخطوط مصور ضمن مجموع عن الخزانة العامة بالرباط ، رقم د194، (عدد الأوراق 07) .

❁ ابن سلمون(أبو القاسم بن علي الغرناطي ، ت 767هـ/ 1335م) ، **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام** ، مخطوط مصور ميكروفيلم عن المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1366.

❁ ابن صعد (أبو عبد الله محمد التلمساني ، ت901هـ/1495م) ، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب** ، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة يالرباط، رقم ك1292.

❁ ابن قزمان (محمد بن ابي بكر بن القطان) ، **ديوان شعر** ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 31717 .

❁ ابن مرزوق التلمساني، **جنى الجنتين في شرف الليلتين**، مخطوط مصور ميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط، رقم 1128.

❁ ابن مناصف (محمد بن عيسى) ،**تنبيه الحكام في سيرة القضاة و قبول الشهادات وتنفيذ الأحكام** ،مخطوط مصور عن مخطوطات الأزهر الشريف ، تحت رقم 3031.

ثانيا: المصادر المطبوعة :

❁ **ابن الأبار**:(أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت658هـ/1286م) ، التكملة لكتاب الصلة: القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدارة زيدين في مجريط سنة 1886-1889 ومن طبعة الشيخ قنزالش بلنسية في مجريط سنة 1915، تعليق: ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية فونطانا، الجزائر، 1919.

❁ =======، المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،مصر، د ط ، 1967/1387.

❁ ========، المقتضب من تحفة القادم، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1989.

❁ ========، ديوان ابن الأبار ، تع عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، د ط ، 1985.

❁ ======== ، إعتاب الكُتاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، ط1، 1961.

❁ **ابن الأثير**:(أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق: مجموعة من العلماء، جزء9، طبعة6، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.

❁ **أحمد بن القاضي المكناسي** (ت960هـ)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973 .

❁ **ابن الأحمر**:(الغرناطي ، ت 810هـ/1407م)، بيوتات فاس الكبرى، نشر عبد الوهاب منصور ، دار المنصور ، الرباط ، د ط ، 1972.

❁ **ابن الأخوة**:(محمد بن محمد القرشي ، ت 729هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كيمردج ، 1937 .

❁ **الإدريسي**:(الشريف أبو عبد الله، ت548هـ/1158م) ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ،مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863

❁ **الإشبيلي** :(أبو نصر الفتح بن محمد ، ت 529هـ) ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حققه وعلق عليه حسين يوسف ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 ، 1989 .

❁ **ابن أبي أصيبعة:**(موفق الدين أبو العباس، ت 668هـ/1270م)، عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1401هـ1981.

❁ **الأعمى التطيلي**:(أبو جعفر أحمد بن عبد الله، ت525ه/1144م) ، ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د ط ، 1986م.

❁ **أبو اسحاق الغرناطي:**(ابراهيم بن أحمد الأنصاري، ت 579هـ/1183م) ، الوثائق المختصرة ، إعداد مصطفى ناجي ، مركز إحياء التراث العربي ، الرباط ، ط1 ، 1988م.

❁ **الأمير أبو عبد الله** :(الربيع الموحدي) ، الديوان ، تحقيق محمد ين تاويت الطنجي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس ، د ت .

❁ **الأندلسي**(أبو عبد الله جمال الدين محمد، عاش في العصر الغرناطي) ، المعيار في نقد الأشعار ، تحقيق وتعليق عبد الله محمد سليمان ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط1 ، 1987.

❁ **الأنصاري**:(محمد بن القاسم السبتي)، اختصار الأخبار: عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، طبعة2، الرباط، 1983.

❁ **الباجي** :(أبو الوليد سليمان بن خلف الإدريسي ، ت 474هـ)، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، دار ابن حزم ، السعودية ، ط1 ، 2002 .

❁ **البادسي**: (عبد الحق بن اسماعيل ، كان حيا سنة 722هـ/1252م) ، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد اعراب ، المطبعة الملكية، الرباط ، ط2 ، 1414ه- 1993م.

❁ **البرزلي**:(أبو القاسم بن احمد البلوي التونسي، ت 841هـ/1438م) ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2002 ،.

❁ **ابن بسام**:(أبو الحسن علي الشنتريني، ت 546هـ/1151م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1998.

❁ **ابن بشكوال**:(أبو القاسم خلف بن عبد الله، ت578هـ)، الصلة، مجلد12، جزء2، طبعة1، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989.

❁ **ابن بطوطة**:(محمد بن عبد الله الطنجي، ت779هـ/1377م) ، تحفة الأنظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، تحقيق الكتاني علي المنتصر، مؤسسة الرسالة، ط4 ، 1405هـ .

❁ **بكر بن إبراهيم الإشبيلي** ، كتاب التيسير في صناعة التسفير، تقديم: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع والثامن، 1959 _1960.

❁ **البكري**:(أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/1094مـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بيروت، د.ت.

❁ --------، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1981.

❁ **البهوتي**:(منصور بن يونس)، الروض المربع شرح زاد المستقنع، دار الفكر، بيروت.

❁ **البيدق**:(أبي بكر بن علي الصنهاجي، ت أواخر ق6هـ) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971.

❃ ========، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دارالمنصور، الرباط، 1971 .

❃ **البيروني:**(أبو الريحان محمد)، كتاب الصيدنة، تحقيق: محمد سعيد،رانا إحسان، مؤسسة همدود الوطنية، كراتشي، باكستان، 1973.

❃ **التادلي**:(أبو يعقوب يوسف بن الزيات، ت 627هـ/1229م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، د ط، 1984.

❃ **التجيبي**:(أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي، ت 598هـ/1201)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، اعداد وتعليق عبد القادر محداد ، دار الرائدالعربي ، بيروت ، 1980.

❃ **التنبكتي**:(أحمد بابا، ت1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف و تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، جزءان، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس،ط1، 1989.

❃ **التميمي**:(أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ت 603 أو 604هـ) ، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد ، تحقيق محمد الشريف ، (جزءان) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، تطوان ، ط1، 2002 .

❃ **ابن تومرت**:(محمد المهدي، ت524هـ)، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1997.

❃ **ابن أبي دينار**:(محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، طبعة1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286.

❁ **بـن زهـر**:(أبـو مـروان عبـد الملـك ابـن أبـي العـلاء الإيـادي الإشـبيلي، ت 557هـ، 1162م)، الطب العربي في الأندلس، مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير ، تقديم فضيلة بوعمران ، منشورات ثالة ، الجزائر ، ط1 ، 2007.

❁ **الجاحظ**: (أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت 255هـ/868م) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط1 ، 1986.

❁ **الجزري**:(أبو المؤيد محمد بن الصائغ العنتري ، ت 570هـ/1175م)، مستخلص الأوزان والاكاييل الطبية من كتاب الأقراباذين ، تح محمد الطاهر العقبي ، تونس، 2008.

❁ **الجزيزي** : (علي بن يحي، ت 585هـ)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق اسونثيون فريرس ، نشر المعهد الاسباني للدراسات ، د ت .

❁ **الجزنائي**:(علي)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، طبعة2، المطبعةالملكية، الرباط، 1991.

❁ **الجزنائي**:(أبو العباس أحمد حمدون)، الأصداف المنفضة عن أحكام صنعة الدينار والفضة، تحقيق: خالد بن رمضان وعبد الكريم القفصي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988.

❁ **ابن الحاج**: (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري) ، ت 737هـ ، المدخل ،3 أجزاء ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د ت .

❁ **ابن الحاج النميري**: (ابراهيم بن عبد الله ، ت بعد 774هـ) ، فيض العباب ، تحقيق ابن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1987 .

❁ **ابن حزم الأندلسي:** رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

❁ **الحسن الوزان:** (بن محمد الفاسي ، ت947هـ/1550م) ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط2 ،د ت .

❁ **الحميري:** (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، ت بعد 866هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت ، ط2 ، 1988.

❁ **ابن حنبل:** (أحمد أبو عبد الله)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط1، 2001.

❁ **ابن حوقل** : (أبو القاسم النصيبي ، ت 368هـ/979م) ، كتاب المسالك والممالك صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979.

❁ **الخزاعي:**(أبو الحسن علي التلمساني)، مختصر تخريج الدلالات السمعية، إعداد: أحمد المبارك البغدادي، مكتبة السندس،الكويت، 1990.

❁ **ابن الخطيب:** (لسان الدين السلماني ، ت 776هـ/1375م) :أعمال الأعلام أو تاريخ اسبانيا الاسلامية ، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط1 ،2004م.

❁ ======،الإحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 1973.

❁ =======، جيش التوشيح ، تحقيق هلال ناجي ، مطبعة المنار ، تونس، ط1 ، 1967.

❁ =======، رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس، د ط ، 1316هـ.

❁ =======، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

❁ =======، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق: عبد المجيد التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

❁ **ابن خلدون**:(أبو زيد عبد الرحمن، ت808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 6مجلدات، ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، لبنان، 1983.

❁ =====، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت، **د ط** ،1979.

❁ ======، المقدمة، ، الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس- الجزائر، 1984.

❁ **ابن خلدون**:(يحي)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مجلد1، بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

❁ **ابن خلكان**:(أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، 7 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1980.

❁ **ابن خير الاشبيلي**:(ت575هـ/1179م) ، فهرسة ابن خير، تحقيق فرنسشكة قدارة وفليان رباره ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، مكتبة المثنى ، بغداد ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، ط1 ، 1993.

❁ **ابـن دحيـة**: (أبـو الخطـاب عمـر بـن الحسـن ، ت 633هـ/ 1235م) ، المطـرب فـي أشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد ، احمد بدوي ، دار العلم للجميع ، بيروت ، د ت .

❁ **الدمشقي:** (شمس الدين بن عبد الله)، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1977.

❁ **الرازي:** (أبو بكر محمد بن زكريا، ت **313**هـ) ، أخلاق الطبيب ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط**1** ، **1397**هـ،**1977**.

❁ **ابن رزين التجيبي** : (أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم ، ت بعد 640هـ) ، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1984.

❁ **ابن رشد الجد**: (أبو الوليد محمد بن احمد القرطبي، ت 520هـ/1126م) : البيان والتحصيل ، تحقيق سعيد أعراب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1 ، 1988م .

❁ ==== فتاوى ابن رشد ،تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ،1987 .

❁ **ابن رشد الحفيد**:(محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي، ت 595هـ/ 1199م) الكليات في الطب ، تحقيق محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ن ط1 ، 1999م.

❁ **الرصافي** : (أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي، ت 572هـ/1176م)، ديوان الرصافي، جمع وتقديم احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1960.

❁ **ابن الزبير**:(أبو جعفر العاصمي ، ت708هـ/1308م) ، صلة الصلة، تحقيق سعيد اعراب وعبد السلام الهراس ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية، دط، 1995م.

❁ **الزجالي**:(أبويحي عبيد الله بن احمد ، عاش في ق 7هـ) ،أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة منشورات وزارة الدولة للشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ، مطبعة محمد الخامس الجامعية ،فاس 1971، (جزءان).

❁ **ابن أبي زرع**: (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ،ت 726هـ/1340م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس، مراجعة عبد الوهاب منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420.

❁ **الزركشي**: (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت ق9هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، طبعة2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

❁ **الزركلي**:(خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، طبعة15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002.

❁ **ابن زهر**: (أبو مروان بن أبي العلاء بن عيد الملك الاشبيلي، ت 525هـ/1130م) ، التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الفكر، دمشق، 1403هـ/1983م.

❁ =======، الطب العربي في الأندلس: مقدمة لكتاب التيسير في المداواة والتدبير، تقديم: فضيلة بوعمران، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

❁ **الزهري**: (أبو عبد الله محمد، ت556هـ/1160م) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، دط ، دت .

❀ **ابن زيدان** : (عبد الرحمن بن محمد، ت 1365هـ) ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط1 ، 2008 .

❀ **ابن سحنون**: (أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، ت256هـ)، آداب المعلمين، دار المعارف، مصر، 1968.

❀ **السخاوي**:(أبو الخير شمس الدين محمد ت 902هـ) ، عُمدة المُحتج في حكم الشطرنج ، تحقيق وتعليق أسامة الحريري ، نذير كعكة ، دار النوادر ، دمشق ، ط1 ، 2007.

❀ **ابن سعيد** :(أبو الحسن علي بن موسى المغربي)، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت ، ط1 ، 1970.

====== ، المُغرب في حلي المغرب ، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية لبنان، ط1،جزءان، 1997م .

❀ =======، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق: سيد حنفي حسين، القاهرة،1983.

❀ **السقطي** : (أبو عبد الله محمد المالقي ، ت631هـ/1234م) ، في آداب الحسبة، نشر وتعليق ليفي بروفنسال ،باريس، 1931.

❀ **السلاوي** : (أبو العباس احمد بن خالد الناصري) ، الإستقصا لأخبار المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1954.

❀ **السملالي**: (عباس بن إبراهيم)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب ابن منصور، _8أجزاء، طبعة2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.

❃ **السنوسي** :(محمد بن يوسف بن عمر الحسني، ت 895هـ) ، تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية ، تحقيق هيا محمد الدوسري وعبد القادر أحمد ، دار ابن النديم، الكويت، ط1، 1999.

❃ **الشيباني**:(محمد بن الحسن)، الإكتساب في الرزق المستطاب، علق حواشيه: محمود عرنوس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

❃ **ابن الصفار** ، العمل بالإسطرلاب وذكر آلاته وأجزائه، تحقيق مياس بياكروزا، مجلة المعهد المصري، المجلد الأول ، العدد الثالث ، 1955.

❃ **الصفدي**:(صلاح الدين خليل)، الوافي بالوفيات، اعتنى به: سي يدرينغ، دار النشر فرانز شتايتر بيفيسبادن، 1970.

❃ **الصنهاجي**: (المعز بن باديس التميمي)عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب، تحقيق وتقديم: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، طبعة1، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409هـ.

❃ **الصومعي**: (أبو أحمد التادلي)، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق:علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط د.ت.

❃ **الضبي**:(محمد بن يحي بن عميرة ، ت 599هـ/1203م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1999.

❃ **طاهر الصدفي**: السر المصون فيما أكرم به المخلصون، تحقيق وتقديم: حليمة بن فرحاة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.

❃ **ابن الطواح**:(عبد الواحد محمد)، سبك المقال لفك العقال، تح محمد مسعود جبران منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالية ، ليبيا، ط1، 2008.

❁ **ابن صاحب الصلاة**:(أبو مروان عبد الملك بن محمد، ت594هـ)، المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، طبعة1، دار الغرب الإسلامي لبنان،1964م.

❁ **الطرطوشي** :(أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري، ت 520هـ/1126م) ، سراج الملوك ، المطبعة المحمودية التجارية ، القاهرة ، د ط ، 1965.

❁ **ابن عبد الملك**، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب الأقصى، القسم الاول، 1984

❁ **ابن عذارى المراكشي**: (أبو عبد الله محمد، ت حوالي712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.

❁ **ابن عربي**:(محي الدين، ت 640هـ)، الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري تحقيق وتعليق سعيد عبد الفتاح ، دار الانتشار العربي ، ط1 ، 2002 .

❁ **العقباني**: (أبو عبد الله محمد)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، 1967.

❁ **ابن العوام**: (أبو زكريا يحي بن أحمد ، ت 539هـ/1146)، كتاب الفلاحة، مع ترجمة اسبانية لـ ج ج كليمان مولى ، ج1 ، المطبعة الملكية ، مدريد ، 1902 .

❁ --------: الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 2012 (07اجزاء) .

❁ **ابن عيشون**: (أبو عبد الله محمد الشراط، ت 1109هـ/1519م)، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهرة النظام ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط1، 1997م.

❁ **بن غازي العثماني**:(أبو عبد الله أحمد بن محمد ، ت 919هـ/1519م) ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ،ط3 ،1999م.

❁ **ابن غالب**: (محمد بن أيوب الغرناطي، عاش في ق 6هـ/12م) ، قطعة من كتاب فرحة الانفس من كور الأندلس ومدنها ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، 1955م.

❁ **الغبريني**: (أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله، ت708هـ/1308)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

❁ **الفارابي**(أبو نصر محمد)، **كتاب** الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك، دار الكتاب العربي، القاهرة . د ت .

❁ **أبو الفداء**: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت732هـ)، تقويم البلدان، تصحيح: رينود، ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830.

❁ **القابسي**: (أبو الحسن علي، ت ق4هـ)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق وتعليق وفهرسة: أحمد خالد، طبعة1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

❁ **القاضي عياض وولده محمد**: (ت575هـ/1179م)، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بنشريفة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990.

❁ **ابن قتيبة** :(ت276هـ) ، رسالة الخط والقلم ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الرابع ، المجلد التاسع والثلاثون ، 1988م.

❁ **القروي**: (أبو القاسم خلف بن أبي فراس، من أهل القرنهـ)، كتاب أكرية السفن، دراسة وتحقيق: عبد السلام الجعماطي، تقديم: جعفر ابن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2009.

❁ **ابن قزمان**: (محمدبن عيسى القرطبي ، ت 554هـ/1149م) ، ديوان ابن قزمان ، دراسة وتحقيق ف كورنيطي ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، د ط ، 1980.

❁ **ابن القف**: (أبو الفرج بن موفق)، كتاب العمدة في الجراحة، مطبعة حيدر أباد بالدكن، الهند، د.ت.

❁ **القفطي** : (جمال الدين أبو الحسن) ،كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، د ت.

❁ **القشتالي** (أحمد بن ابراهيم بن يحي الأزدي)، تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان ، تحقيق فرناندو دي جرانخا ، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، 1972_1973 .

❁ **ابن القطان** (أبو الحسن علي بن محمد الفاسي ،ت628هـ) ، النظر في احكام النظر بحاسة البصر ، ضبطه وعلق عليه فتحي ابو عيسى ، دار الصحابة للتراث ، مصر ، ط1 ، 1994.

❃ **ابـن القطـان**:(أبـو محمـد حسـن الكتـامي، ت منتصـف ق7هـ/13م) ، نظـم الجمـان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990.

❃ **القلقشندي**: (أبو العباس احمد بن علي، ت 821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987م.

❃ **ابن قنفذ القسنطيني**: (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، توفي بعد 807هـ) ، الوفيات ، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، طبعة4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

❃ -------------، أنـس الفقيـر وعـز الحقيـر، تحقيـق: محمـد الفاسـي، الرباط،1965.

❃ **القوصي**:(أبو حاتم أسامة)، كتاب الآذان، قدمه: عبد الرحمن مقبل، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1987.

❃ **الكاتب**:(الحسن بن احمد علي، ت ق 6هـ)، كمال أدب الغناء، تحقيق: غطاس عبد الملك، جزء2-1، طبعة1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975.

❃ **الكتاني**: (محمد بن عبد الحي الإدريسي)، تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة، تحقيق:محمد بن عزوز، دار بن حزم، لبنان ، ط1، 2008.

❃ --------، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية العلية، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان،1998.

❁ **الكتبي**:(محمد بن شاكر، ت764هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، جزء2، طبعة1، دار صادر، بيروت، 1974.

❁ **الكلاباذي**:(أبو بكر محمد ،ت 380هـ) ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 2001.

❁ **المازري** (أبو عبد الله محمد التميمي، ت 536هـ)، فتاوى المازري، تحقيق: الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس 1994.

❁ **مالك:** (بن أنس، ت 179هـ) ، موطأ الإمام مالك ، رواية يحي ين يحي الليثي ، إعداد أحمد عرموش ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982.

❁ **الماوردي**: (أبو الحسن علي، ت 540هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: نبيل عبد الرحمن، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، ط1، 2003.

❁ **مؤلف مجهول**، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار،عبد القادر زمامة ، دارالرشادالحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1979.

❁ **مؤلف مجهول**، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد التاسع والعاشر ، 1961-1962.

❁ **مؤلف مجهول**، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة الموحدية ،نشر ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، رباط الفتح، 1941.

❁ **مجموعة من المؤلفين**، رسائل موحدية: مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، جزءان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،جزءان، 2001.

❃ **محمد بن عياض السبتي:** التعريف بالقاضي عياض، منشورات وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية والثقافية، المغرب الأقصى، د.ت.

❃ **المراكشي**:(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأوسي الأنصاري، ت703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: السفر الخامس، تحقيق: إحسان عباس، جزء1، طبعة1، دار الثقافة، لبنان، 1965.

❃ **المراكشي**:(عبد الواحد، ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994.

❃ **ابن مرزوق :** (ابو عبد الله التلمساني) المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس ، تقديم محمود بوعياد ، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر ، 2007م .

❃ **ابن مريم** :(أبو عبد الله محمد التلمساني المديوني)، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان ، منشورات السهل بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها ، الجزائر ، 2008 .

❃ **المعداني:** (الحسن بن رحال)، كشف القناع عن تضمين الصناع، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

❃ **المغراوي**:(أحمد بن أبي جمعة، ت ق9هـ)، جامع جوامع الاختصار والتبيان: فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلولي البدوي، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

❃ **المقدسي**:(شمس الدين أبو عبد الله ، ت 380هـ/990م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط3 ، 1991.

❁ **المقري**:(شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عباس، 6أجزاء، طبعة1، دار صادر، بيروت، 1968.

❁ **ابن مناصف:**(محمد بن عيسى)، تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، أعده للنشر: عبد الحفيظ منصور، معهد الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، دط دت

❁ **ابن منظور**:(محمد بن مكرم الافريقي، ت 711هـ/1311م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د ت.

❁ **المهدي بن تومرت**:(محمد ، ت 524هـ/1129م) ، أعز ما يطلب ، تحقيق عمار طالبي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1985م.

❁ ======= ، كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين ، مطبعة بيار فونطانا، الجزائر 1901م.

❁ **النباهي:**(أبو الحسن بن عبد الله المالقي ، ت793ه/1390م) ، تاريخ قضاة الاندلس ، تحقيق مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995م.

❁ **النووي**:(أبي زكريا محي الدين بن شرف، ت676ه)، آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم، تقديم ومراجعة: أبو حنيفة إبراهيم بن محمد، طبعة1، دار الصحابة، طنطا، 1987.

❁ **الهروي**:(علي بن أبي بكر ، ت 611ه) ، كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، دت.

❁ **ابن ورد الأندلسي**:(أبو القاسم أحمد ، ت 540ه) ، أجوبة ابن ورد، دراسة وتحقيق محمد الشريف ، مطابع طوب بريس ، الرباط ، ط1 , 2008 .

❃ **الونشريسي**:(أبو العباس احمد بن يحي، ت914هـ/1514م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د ط ، 1401ه/1981م (13 جزء) .

❃ ---------، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، الجزائر، 1983.

❃ **ياقوت الحموي** :(شهاب الدين بن عبد الله، ت626هـ/1228م) ، معجم الادباء، مراجعة دائرة المعارف ، مطبعة دار المامون ، د ت .

❃ ======== ، مُعجم البلدان ، تصحيح محمد امين الخانجي، مطبعة السعادة ،مصر، ط1، 1906.

❃ **يحي بن عمر**، أحكام السوق، نشر: محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الرابع، العدد الأول والثاني، 1956.

❃ **اليعقوبي** :(أحمد بن يعقوب، ت 284هـ/897م)، البلدان، تعليق محمد امين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2002م.

❃ **أبو يوسف** (يعقوب بن ابراهيم، ت 182هـ)، كتاب الخراج، نشره قصي محي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط5 ، 1396هـ.

ثالثا : المراجع العربية والمعربة :

❃ إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2002 .

❁ ============،**الإسلام السري في المغرب العربي،** سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995 .

❁ =========،**تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،لبنان ، ط1، 1994.

❁ =========،**حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006.

❁ =========، **مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998.

❁ =========،**مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين** ، مطبعة سجلماسة الزيتون ، مكناس ، ط2 ، 2014.

❁ إبراهيم سليمان عيسى، **العلماء المسلمون وفضلهم في علوم الأحياء**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 1999.

❁ أبو صالح الألفي، **الفن الإسلامي** ، المطبعة العالية، القاهرة، 1966.

❁ أحمد جمال طه، **الحياة الإجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء للدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2004.

❁ أحمد عزاوي، **رجال الإدارة والأعيان في العصر المريني من خلال رسائل شخصية لابن الخطيب** ،مطبعة الرباط نات ، الرباط ، ط1 ، 2011 .

❁ أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، لبنان، ط1، 1981.

❁ أحمد متفكر، **الطب والأطباء بمراكش عبر العصور**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2016.

❁ أحمد المحمودي ، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي** ، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 ، 2009 .

❁ أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهظة العربية، لبنان، ط1، 1969.

❁ إدريس كرم، **العلاقات الإجتماعية من خلال النوازل الفقهية بالمغرب**، دار ايدي جيال، الرباط، ط1، 1985.

❁ أرسلان شكيب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ، طبعة1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936.

❁ إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الاسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

❁ ألكساندر خاتشاتريان، **أهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي** ، تقديم، صالح زهر الدين ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ط1 ، 1998 .

❁ أنيس الأبيض ، **بحوث في تاريخ الحضارة**، جروس براس، طرابلس، ط1، 1994.

❁ بالنثيا أنخل جنثالث ، **تاريخ الفكر الاندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهظة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1955.

❁ بل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 .

❁ بلغيث محمد الأمين، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006.

❁ توفيق مزاري عبد الصمد ، **التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين** ، منشورات المكتبة الوطنية المغربية ، 1988.

❁ بنحمادة سعيد، **الماء والإنسان في الأندلس**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط1 ، 2007.

❁ بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها اعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2000.

❁ الجابري محمد عابد ، **العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي** دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1982م.

❁ جان وجيروم طارو، **أزهار البساتين في اخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة أحمد بلافريج، محمد الفاسي، المطبعة الوطنية ، الرباط ، 1349هـ .

❁ الجنحاني الحبيب، **المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية في القرن 3و4هـ** ، دار النشر التونسية .

❁ =========، **دراسات مغربية في التاريخ الإقتصادي للمغرب الأقصى**، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1980.

❁ جواتياين س.د.، **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.

❁ جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى** ترجمة عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991.

❁ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، دار العلوم الحديثة، بيروت، د.ت.

❁ حركات ابراهيم ، **المغرب عبر التاريخ** ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1987.

❁ حسن أحمد محمود ، **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الكتاب الحديث، اللقاهرة، ط2 ، 1996م.

❁ حسن حافظي علوي، **الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط،** منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1، 2008.

❁ حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية** ، مكتبة المنار، تونس، 1964.

❁ حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1980م.

❁ الحسين أسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، المغرب الأقصى، ط1، 2009.

❁ الحسين بولقطيب، **حفريات في تاريخ المغرب الوسيط**، جذور للنشر، الرباط، ط1 2004.

❁ -----------، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين،** منشورات الزمن، المغرب، 2002.

❁ حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع خلال العصر المريني، إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية** ، مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدار البيضاء ، دط ، د ت .

❁ خالد كبير علال، **نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف،** دار المحتسب،الجزائر، ط1، 2014.

❁ خلف الله ابتسام مرعي، **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524هـ- 939هـ)** ، دار المعارف، مصر ، 1985.

❁ دندش عصمت عبد الحميد، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،** دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1988م.

❁ ديب صفية، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين،** كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

❁ دي لاسي أوليري، **الفكر العربي ومركزه في التاريخ،** نقله للعربية اسماعيل البيطار دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972م.

❁ راتب الزيات، **موسوعة الأولون،** دار راتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ت.

❁ رينهارت دوزي ، **تكملة المعاجم العربية** ، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي ، 6 أجزاء ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ط1 ، 1981 .

❁ زرهوني نور الدين، **الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي** ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، ط1، 2006.

❁ زكي محمد حسن، **فنون الإسلام**، مكتبة النهظة العربية، مصر، ط1، 1984.

❁ زنبير محمد ، **المغرب في العصر الوسيط ، الدولة المدينة الإقتصاد ،** منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1999 .

❁ سالم محمد محمود، **أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر هجري،** دار الفكر، دمشق، د.ت.

❁ سامية مصطفى سعد، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين** ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط1 ، 2003.

❁ =========، **صور من المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية** ،عين للدراسات و البحوث الإنسانية ،مصر ،ط1، 1998.

❁ السعيد بنموسى، **تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات،** شركة بابل للطباعة والنشر، المغرب، ط2، 1994.

❁ سلمان يوسف أحمد، **الغاية من الوجود**، دار التوافق للنشر، تونس،ط1 ، 1980 .

❁ سليمان حريتاني، **الخمرة وظاهرة إنتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع الإسلامي** ، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1996.

❁ السيد عبد العزيز سالم، **بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار،** دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

❃ صباح ابراهيم الشيخلي:**الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي** ،دار الحرية للطباعة ، العراق ، ط.1 1976.

❃ =====، **الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها**، نشر بيت الوراق، ط1 ، 2000.

❃ أبو ضيف مصطفى أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية** ، دار النشر المغربية الدار البيضاء، 1986 .

❃ ============، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين** ، الدار البيضاء ، 1982 .

❃ الطاهر مكي، **دراسات عن ابن حزم الأندلسي كتاب طوق الحمامة** ، دار المعارف، مصر .د ت .

❃ الطهطاوي علي عبد العال، **أسرار السحر**، دار الروضة للنشر والتوزيع، مصر. د.ت.

❃ عبد الجليل العلمي ، **في أصول التصوف بالمغرب (القرن السادس هجري ــ الثاني عشر ميلادي)** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية بالرباط، ط1، 2014.

❃ عبد الحميد حسين، **تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين،** دار شموع الثقافة، ليبيا، ط1، 2002.

❃ عبد الرزاق ورقية، **التطور المصطلحي في الإقتصاد الإسلامي** ،منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب الأقصى ، 2010م .

❁ عبد الاله بنمليح، **ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي،** منشورات الزمن ، المغرب الأقصى ، ط1 ، 2002.

❁ عبد الحليم حسين الهروط، **الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر**، دار جرير للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2006.

❁ عبد الحميدالنجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1983م.

❁ عبد الرؤوف المناوي، **التعاريف**، تح محمد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1 ،1410هـ .

❁ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994م.

❁ عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1988 .

❁ عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979.

❁ عبد السلام الجعماطي، **تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي**، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1 ، 2012.

❁ عبد العزيز اللبدي، **تاريخ الجراحة عند العرب**، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، العراق ط1، 1991.

❁ عبد العزيز بن عبد الله ، **مظاهر الحضلرة المغربية**، دار السلمي ، الدار البيضاء ، ط1 1957م.

❃ عبد القادر الجزائري، **رسالة إلى الفرنسيين**، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2006.

❃ عبد اللطيف الخلابي ، **الحرف والصنائع وأدوارها الإقتصادية والإجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669- 960هـ)** ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ط1 ، 2001 .

❃ عبد الله علي علام، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر، 1968.

❃ عبد المنعم حباس، **الحس الجمالي وتاريخ الفن**، دار النهظة، مصر، ط1، 1998.

❃ عبد الهادي أحمد الحسين، **مظاهر النهظة الحديثية في عهد يعقوب المنصور**، مطابع الشويخ، تطوان، 1983.

❃ عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ)** ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008.

❃ عبد الهادي التازي، **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية**، منشورات المكتبة الوطنية المغربية ، ط2 2003.

❃ عز الدين عمر موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2003.

❃ ===========، **الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1991م .

❁ عصمت عبد اللطيف دندش، **المرأة بين التراث والمعاصرة قضايا وبحوث**،دار الغرب الاسلامي، تونس ، ط1 ، 2009.

❁ =============، **دراسات أندلسية، من مظاهر الحياة_الاجتماعية بالأندلس** دار الغرب الإسلامي ،تونس ، ط1 ، 2009 .

❁ علام عبد الله ، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي** ، القاهرة ، د ط ، 1971م.

❁ عمار طالبي، **آراء ابن بكر بن العربي الكلامية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،د.ت.

❁ عمر ابراهيم توفيق، **صور من المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة**،دار غيداء للنشر والتوزيع،الأردن، ط1،2011.

❁ عمر أفا، محمد المغراوي ، **الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب الاقصى ، 2007.

❁ عمر فروخ ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، دار العلم للملايي بيروت ، ط4 ، 1983.

❁ --------، **تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين**، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 1997.

❁ عميرة (ابن) محمد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1984 .

❁ الغناي مراجع عقيلة، **قيام دولة الموحدين**، منشورات جامعة قاريونس، طرابلس، ليبيا،د ط، 1988م.

❁ بن قربة صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 1986.

❁ فاطمة بوعمامة ، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14_15ميلادي** ، كنوز الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، 2011 .

❁ كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996.

❁ ============، **تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين** ، مركز الاسكندرية للكتاب ، مصر ، د ت .

❁ لطفي عبد البديع، **الإسلام في إسبانيا**، مكتبة النهظة المصرية، مصر، ط1، 1969.

❁ ليفي بروفنسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة سيد عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 1990.

❁ ==========، **محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها**، ترجمها إلى العربية: محمد عبد الهادي شعيرة، راجعها: عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، مصر، القاهرة، 1951 .

❁ =======، **نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى**، مكتبة ايميل لاروس باريس ، 1923م.

❃ محمد أديب السلاوي، **الفنون والحرف التقليدية المغربية**، مطابع الرباط، المغرب الأقصى ، ط1 ، 2014.

❃ محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، إفريقيا للشرق، المغرب،ط1، 1991.

❃ محمد رضا الشبيبي، **أدب المغاربة والأندلسيين**، دار إقرأ للنشر، لبنان، ط2، 1984.

❃ محمد الشريف، **نصوص جديدة في تاريخ الغرب الإسلامي**، مطبعة الحداد يوسف تطوان ، المغرب ،ط1 ، 1996.

❃ محمد طيب عقاب، **الأواني الفخارية الإسلامية –دراسة تاريخية فنية مقارنة-** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

❃ محمد المغراوي، **الموحدون وأزمات المجتمع**، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2006.

❃ محمد بن شريفة، **ابن عبد ربه الحفيد فصول من سيرة منسية** ، دار الغرب الإسلامي،بيروت ، ط1 ، 1992 .

❃ محمد حلمي عبد الوهاب ، **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في اسلام العصر الوسيط**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان ، ط1 ، 2009.

❃ محمد ضياء الدين الريس، **الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية**، دار الانصار القاهرة ، ط4، 1977.

❃ محمد عابد الجابري، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994 .

❃ محمد علي أحمد، **التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين، مصر.**

❁ محمد مجيد السعيد، **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس**، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ط2 ، 1985.

❁ محمد عبد العزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والأندلس**، دار الثقافة ، بيروت ، د ت.

❁ محمد عبده حتاملة، **الأندلس: التاريخ الحضارة والمحنة،** مطابع الدستور التجارية،الأردن، ط1، 2000.

❁ محمد فتحة، **تنظيم المجال الحضري داخل المدينة المغربية نهاية العصر الوسيط،** منشورات كلية الآداب، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2000.

❁ محمد نيازي، **مشكلة البغاء في الواقع وفي نظر القانون،** منشورات المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، أعمال الحلقة الأولى، القاهرة، 1961.

❁ محمد ولد داده، **مفهوم الملك في المغرب من إنتصاف القرن الأول إلى إتنصاف القرن السابع**، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1،1977.

❁ مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، الجزائر، 2000.

❁ مصطفى أبو أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية عصري الموحدين وبني مرين**، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1982.

❁ مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط1، .1996 .

❁ مصطفى نشاط، **السجن والسجناء : نماذج من تاريخ المغرب الوسيط**، منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، مطابع إفريقيا الشرق، المغرب الأقصى، ط1،2012.

❁ المنوني محمد، **حضارة الموحدين**، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ط1، 1989.

❁ ----------، **تاريخ الوراقة المغربية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991.

❁ هوبكنز (ج.ف.ب.)، **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، نقله من الإنجليزية للعربية: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980.

❁ موسى لقبال، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

❁ ميسون مسلاتي، **قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي**، دار افنطة للنشر والتوزيع، ستوكهولم السويد ، ط1 ، 1997.

❁ النجار عبد المجيد، **المهدي بن تومرت**، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1983م.

❁ نجية إسحاق عبد الله محمد، **سيكولوجية البغاء دراسة نظرية وميدانية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983.

❁ ولد داده محمد، **مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الاول إلى انتصاف القرن السابع الهجري** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1977.

❁ يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ط2 ، 1958.

رابعا : المراجع باللغات الأجنبية :

1) Burckardt (Titus) ,***l'art de ' Islam (langage et signification)*** , Tarby Quercy , France , 1985 .
2) Danielle jaque.
3) Farhat (Halima), **le Maghreb au 13 éme siècle/ les siècle de la fois** , wallaha, casablanca, 1993 .
4) Lévis provençal, document indits d'histoire almohade , paris, 1928.
5) Massingnon , L , Essai **sur les origines de lexique technique de la mystique musulmane** , nouvelle édititíon , paris , 1968 .
6) Rene millet , **les almohades**,société d' éditions , paris, 1923 .
7) Simon de beauvior**, the second sex** ,translated from the french Henrie ; par shleylondon a four square book ,1963.
8) SLOUSH NAHOUM. **Etude Sur L'HISTOIRE DES JUIFS DU MAROC**.Archives Marocaine. vol4 .1905 .
9) Terrasse ,H :**Histoire du Maroc** ,2vol, casablanca,1949,1950 .
10) ---------------. **Trois bains merinides** . paris.1950.

.

خامسا : المقالات باللغة العربية:

❁ إبراهيم القادري بوتشيش، **علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين**، ضمن متنوعات حليمة فرحات ، جامعة محمد الخامس، السويسي ، معهد الدراسات الافريقية بالرباط ، 2005 .

❁ أحمد الطاهري، **طبقة العامة في المجتمع الإسلامي الوسيط**، ضمن ندوة جوانب من التاريخ الإجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، منشورات مولاي إسماعيل، مكناس، 1991.

❁ أحمد المحمودي، **المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، أعمال الملتقى الدولي:التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور،منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل **2011**.

❁ حسين جهاد الحساني، **زخرفة وتذهيب المصاحف عبر القرون**، مجلة ينابيع، العدد 32، العراق، 1430هـ.

❁ ظافر القاسمي، **المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصناعات الشامية**، مجلة التراث العربي، العدد الأول، نوفمبر 1979، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .

❁ سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحياة الإجتماعية في المدينة الإسلامية**، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الحادي عشر، 1979.

❁ سناء عطابي، **واقع اليهود في المغرب الأوسط من خلال النصوص الفقهية**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبر القادر بقسنطينة، العدد 12، 2011 .

❁ صلاح حسين، **الحمال، نماذج من صوره على الآثار العربية**، مجلة كلية الآداب، العدد 21 ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ، المجلد الأول .

❁ ---------، **الحجامون والفصادون نماذج من صورهم على الآثار العربية**، مجلة كلية الآداب، العدد 26 ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ، 1979.

❁ عبد الرحمن زكي، **صناعة السيوف الإسلامية في العصور الوسطى**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد5، 1956.

❁ علي جمعان الشكيل، **صناعة العطور في الحضارة الإسلامية**، مجلة آفاق للثقافة والتراث، السنة السابعة، العدد 25 و26، مركز ماجد، الإمارات العربية المتحدة، 1999.

❁ علي خيلة، **الانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الاوسط**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر ، العدد الرابع، 2013.

❁ فاطمة بلهواري، **الصناعة في المنظور المغربي**، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي ، جامعة وهران ، العدد 6_7 ، جوان _ديسمبر 2005م ، 1426هـ .

❁ كاظم عبد نقيش الخفاجي، **الخدمات العامة لخلفاء الدولة الموحدية في المغرب والأندلس**، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، المجلد 39، العدد الثالث، العراق، 2014.

❁ كمال السيد أبو مصطفى، **صور من المجتمع الاندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي**، المجلة التاريخية المصرية، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، المجلد37، 1990.

❁ لويس ماسينيون، **الهيئات الحرفية والمدينة الاسلامية**، ترجمة أكرم فاضل، مجلة المورد، وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الثاني، العدد الثالث، ايلول 1973.

❁ محمد المغراوي، **ملاحظات حول مسألة الحسبة في الدولة الموحدية**، مجلة دراسات، المغرب الأقصى، العدد الثاني، 1988 .

❁ محمد حناوي، **جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن 11م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، تتنسيق محمد حمام، الرباط ، 1995 .

❁ موفق الدين شريف، **الحق في العمل ومكانة الحرف والمهن في الاسلام**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العدد الرابع، 2013.

❁ نصيرة عزرودي، **الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العدد الرابع، 2013.

سادسا : المقالات باللغة الاجنبية:

❁ George jehel , **les relations entre Gene et le maghreb occidental au moyen age** , Aspects politique économique , université de picardie , Amiens , paris, 1995 .

❁ Khaled sabeur cherif , **l'islamisation de l'espace senegambien et laperratration colonial** , university d'alger , 1997 .

❁ Mohammed Hammam , **la péche et la commerçe du poissons en mèditerranèe occidentale (5 dèbut 6)** , facultè lettres ,Mohammed 5 , rabat , maroc , 1995 .

سابعا : الرسائل الجامعية:

❁ أحمد سلمان محمود، **الفكر الإقتصادي عند الإمام محمد بن الحسن الشيباني** ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.

❁ بختة خليلي، **الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13 و15 ميلادي)** ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور التاريخ الوسيط، جامعة معسكر، 2015-2016.

❁ بغداد غربي، **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، 2014 _ 2015.

❃ بوحسون عبد القادر، **الأندلس في عهد بني الأحمر(635هـ-897هـ/1238م-1492م)،** أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2012.

❃ حبيب مصطفى عز الدين ، **جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين** ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، الرباط ، 1998_1999.

❃ حكيم ميلود ، **الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان من خلال مدونة ابن مريم البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان ، 1997_1998.

❃ حورية سكاكو، **التحولات الإقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني-دراسة مقارنة-** رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013.

❃ حورية شريد، **تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني (دراسة تاريخية ــ أثرية)** ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2010-2011.

❃ رضا بن النية، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين،** مذكرة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006/2005 .

❃ رضا رافع، **الاقتصاد في المغرب الأقصى في عهد الموحدين**، رسالة ماجستير ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر 2 ، بوزريعة ، 2007.

❃ سلسبيل محمد محمود نوفل، **شعر الأطباء في الأندلس في القرن السادس الهجري** رسالة ماجستير في اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2009.

❃ سمية مزدور، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط من أواخر القرن 6هـ إلى أواخر القرن9هـ** ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، جامعة قسنطينة، 2010.

❃ شعبان عبد الرحيم، **المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط**، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995-1996.

❃ صباح عويناتي، **النظام العسكري الموحدي**، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة محمد الخامس ، شعبة التاريخ ، الرباط ، 2004-2005 .

❃ عبد الرزاق ازريكم، **أغمات وما إليها بالعصر الوسيط**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1992- 1993.

❃ عبد الصمد حمزة، **إقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر1، 2010-2011.

❃ عبد العزيز حاج لوكة، **الحياة الإجتماعية والإقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين (5و6هـ-11و12م)** ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر2 ، 2009/2010م.

❃ عبد العزيز لعرج، **الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العهد التركي**، رسالة ماجستير في الآثارالإسلامية، كلية الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، مصر، 1986.

❃ عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية في امارة تلمسان الزيانية**، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1999.

❁ عبد القادر ربوح، **الأحباس ودورها في المجتمع الاندلسي**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 2006/2005م.

❁ عياد المبروك، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس خلال عصر الموحدين**، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط ، 2002-2003.

❁ عيسى بن الذيب، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2008-2009.

❁ فاطمة الزهراءجدو، **السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2007-2008.

❁ قدور أحمد ، **المدن الموحدية وعلاقاتها بالأقاليم**، دراسة اجتماعية إقتصادية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998-1988.

❁ محمد الأمين (بلغيث)، **الحياة الفكرية بالأندلس في عهد المرابطين**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2002-2003.

❁ محمد العمراني، **الموحدون في الأندلس: الوجود العسكري وعلاقة السلطة بالمجتمع** أُطروحة لنيل دكتوراه دولة ، جامعة محمد الخامس، شعبة التاريخ ، الرباط ، 2003-2002.

❁ محمد بن ساعو، **التجارة والتجار في المغرب الاسلامي (القرن 7-10هـ/13-15م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2014/2013.

❃ محمد حجي، **النقل والتنقل خلال العصر الوسيط** ، أطروحة دكتوراه دولة مخطوطة، شعبة التاريخ ، جامعة محمد الخامس، الرباط،السنة الجامعية 1996_1997.

❃ محمد رابطة الدين، **مراكش على عهد الموحدين(جوانب من تاريخ المجال والإنسان)** ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب ، جامعة محمد الخامس،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط، 2002 .

❃ محمد عبد المنعم حمدان صوالحة، **صورة الممدوح في أزجال ابن قزمان**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013.

❃ محمود محمد أبو ندى، **الدور الجهادي للعلماء في الاندلس (422-609هـ)**، رسالة ماجستير في التاريخ كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 1426هـ ، 2006 .

❃ مزوزية حداد، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2013/2012.

❃ مغراوي محمد، **خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية**، بحث ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس ، الرباط، 1986-1987.

❃ مليكة حميدي، **المرأة المغربية في عهد المرابطين**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 2 ، 2001-2002.

❃ موسى هواري ، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة الموحدين**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2 ، 2008-2009.

❃ موسى هيصام ، **الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ)**، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، جامعة الجزائر2 ، 2001/2000 م .

❁ نوارة شرقي، **الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط ، جامعة الجزائر2 ، 2007/2006م.

❁ الهلالي محمد ياسر، **مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي، العامة والخاصة الطبقة والمرتبة**، أطروحة الدكتوراه مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 2000.

الفهارس :

أولا : فهرس الملاحق.

ثانيا : فهرس الأعلام .

ثالثا : فهرس الأماكن والجماعات والقبائل .

رابعا : فهرس المهن والصنائع والحرف .

خامسا : الفهرس العام.

أولا : فهرس الملاحق :

ثانيا : فهرس الأعلام :

ثالثا : فهرس الأماكن والجماعات والقبائل والمذاهب :

رابعا : فهرس المهن والصنائع والحرف :

"ك"

خامسا : الفهرس العام للمحتويات :

تمت

بحمد الله تعالى

وتوفيقه